

الاصحح

عن نبينا النبي الاعظم

للجنة النافع والعشيرة

السلامة الحنيفة

السيد جعفر بن محمد بن جعفر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الصحيح

من نبينا النبي الاعظم ﷺ

الغلام المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء التاسع والعشرون

الصحيح من سيرة النبي الاعظم ﷺ
(الجزء التاسع والعشرون)

للعامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر

المطبعة: دار الحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ٢٠٠٧ م - ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دوزة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ - ٧٧٤٠٥٢٣ / فاكس: ٧٧٤٠٥٧١ / ص.ب ٢٥١ / ٣٧١٨٥ / ٤٤٦٨

لبنان - بيروت - حارة حريك - خلف الضمان الاجتماعي - بناية فروزان. تليفاكس: ٢٧٢٦٦٤ - ١ - ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

<http://www.hadith.net>

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

hadith@hadith.net

ISBN: 978 - 964 - 493 - 201 - 4



9 789644 931710

* جميع الحقوق محفوظة للنشر *

الفصل الحادي عشر:

الكيد السفيفاني في حديث المباهلة

11. *Handwritten text in a box*

12. *Handwritten text in a box*

إهمال ذكر علي عليه السلام:

إن إشراك علي، والحسين، وفاطمة «عليهم السلام» في المبالهة مما تواترت به الأخبار، واجتمعت عليه كلمة المسلمين، فقد قال الطبرسي: «أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا: الحسن والحسين»^(١).

وقال الطوسي: «أجمع أهل النقل والتفسير على ذلك»^(٢).

وقال الرازي وغيره: «هذا الحديث كالمحقق عليه بين أهل التفسير والحديث»^(٣).

وقال الجصاص: «نقل رواية السيرة، ونقله الأثر، ولم يختلفوا في أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم،

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٤٢ والبحار ج ٣٥ ص ٢٦٦ ومجمع البيان ج ٢ ص ٤٥٢ وراجع: التبيان ج ٢ ص ٤٨٥ ونهج الحق (مطبوع مع دلائل الصدق) ج ٢ ص ٨٣ وتفسير الرازي ج ٨ ص ٨٠ وحقائق التأويل ص ١١٤ وفيه: أجمع العلماء الخ..

(٢) تلخيص الشافي ج ٣ ص ٦.

(٣) التفسير الكبير للرازي ج ٨ ص ٨٠.

ثم دعا النصارى الذين حاجوه في المباهلة^(١).

وقال الحاكم: «تواترت الأخبار في التفاسير عن عبد الله بن عباس وغيره: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخذ يوم المباهلة بيد علي والحسن والحسين، وجعلوا فاطمة وراءهم الخ..^(٢)».

غير أننا نجد في مقابل ذلك: أن ابن كثير تبعاً للشعبي لم يذكر علياً «عليه السلام» في حديث المباهلة^(٣).

قال الطبري في تفسيره: «حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، قال: فقلت للمغيرة: إن الناس يروون في حديث أهل نجران أن علياً كان معهم، فقال: أما الشعبي فلم يذكره، فلا أدري، لسوء رأي بني أمية في علي، أو لم يكن في الحديث؟^(٤)».

ونقول:

والصحيح هو الأول؛ لأن ذكره في الحديث متواتر ولا شك. ولكنهم حين لم يجدوا مبرراً لإقحام أي من محبيهم في هذا الحدث الهام جداً، ولم يمكنهم إنكار أو دلالة هذا الحدث على عظيم فضل أمير المؤمنين، إلى حد أنه يجعله أفضل من سائر الأنبياء باستثناء نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله»، لجأوا إلى ما ربما يثير شبهة، أو على الأقل يبعد علياً «عليه السلام»

(١) أحكام القرآن ج ٢ ص ١٦.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٥٠.

(٣) البداية والنهاية ج ٥ ص ٦٥.

(٤) جامع البيان للطبري ج ٣ ص ٢١١ و (ط أخرى) ص ٤٠٧ وعن زاد المعاد ج ٣

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٩

عن الذاكرة، إلى أن يجدوا مخرجاً من هذه الورطة، وكان الشعبي هو الرائد في تنفيذ هذه الرغبة.. فله موقف بين يدي الله، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وسيجد فيه أن تجاهله هذا لعل «عليه السلام» سيجر عليه من البلاء ما لا قبل له به ولا قدرة له على تحمله.

أبو بكر وعمر وحفصة وعائشة في المباهلة:

وقد ذكر بعضهم: أن عمر قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «لو لاعتهم بيد من تأخذ؟!»

قال: آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، وعائشة، وحفصة. وهذا (أي زيادة عائشة وحفصة) يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾^(١)، وعن الصادق «عليه السلام» عن أبيه، في هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(٢) قال: «فجاء بأبي بكر وولده، وبعمر وولده، وبعثان وولده، وبعلي وولده» والظاهر: أن الكلام في جماعة من المؤمنين^(٣).

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢١٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٤٤ و ١٤٥ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٥٠٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٣٦.

(٣) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٤) الدر المنثور ج ٢ ص ٤٠ عن ابن عساكر، وتفسير المنار ج ٣ ص ٣٢٢ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٥٠٧ وكنز العمال ج ٢ ص ٣٧٩ وتفسير الميزان ج ٣ ص ٢٤٤ وفتح القدير ج ١ ص ٣٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ١٧٧.

ونقول:

١ - إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخذ بيد علي وفاطمة والحسين «عليهم السلام»، فعلاً، ولم يأخذ بيد عائشة ولا حفصة..

٢ - إن كلمة: «نساءنا ونساءكم» لا تقتضي إضافة عائشة وحفصة، وسيأتي توضيح ذلك، لأن المقصود هو إشراف جنس المرأة الكاملة التي هي المثل الأعلى للتربية الإلهية، وليس ذلك غير الزهراء «عليها السلام»، وليس المراد مطلق امرأة حتى لو قادت حروباً بين المسلمين، وضد إمام زمانها بالذات..

وسيأتي: أن لذلك نظائر في الآيات القرآنية، التي تتحدث عن جماعة ويكون المقصود بها أفراد بأشخاصهم، كآية التطهير، وآيات أخرى..

٣ - إن حديث مجيئه «صلى الله عليه وآله» بأبي بكر، وعمر وعثمان، وعلي وولدهم بالإضافة إلى أنه مما تكذبه الروايات المتواترة، قد جاء موافقاً لترتيب الخلافة.

واللافت: أن أحداً من أتباع الخلفاء ومحبيهم لم يذكر هذه الرواية ولا أشار إليها في سياق تشكيكاتهم بصحة أو بدلالة حديث المباهلة.. فكيف فاتهم ذلك، حتى انفرد به الإمام الصادق «عليه السلام» حسبما نسبته إليه ابن عساكر؟!!

٤ - قد المحت بعض النصوص المتقدمة إلى أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخرج فاطمة «عليها السلام» دون سائر نسائه، حيث قالت: «وفاطمة تمشي خلف ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة». أي أنه أخرجها دون نسائه رغم تعددهن، وذلك يدل على عدم صحة إضافة كلمتي: «وعائشة وحفصة» إلى

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيناني في حديث المباحلة ١١
الجماعة التي أخرجها «صلى الله عليه وآله» إلى المباحلة.

البعض يفتنت ويناقش:

وقد حاول البعض التشكيك في حديث المباحلة، بأنحاء أخرى، فنقل عن أستاذه الشيخ محمد عبده: «أن الروايات متفقة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» اختار للمباحلة علياً وفاطمة وولديهما. ويحملون كلمة «نساءنا» على فاطمة، وكلمة «أنفسنا» على علي فقط».

ومصادر هذه الروايات الشيعة، ومقصدهم منها معروف، وقد اجتهدوا في ترويحها ما استطاعوا، حتى راجت على كثير من أهل السنة.

ولكن واضعها لم يحسنوا تطبيقها على الآية، فإن كلمة «نساءنا» لا يقولها العربي ويريد بها بنته، لا سيما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم. وأبعد من ذلك أن يراد بأنفسنا علي عليه الرضوان.

ثم إن وفد نجران الذين قالوا: إن الآية نزلت فيهم، لم يكن معهم نساؤهم وأولادهم.

وكل ما يفهم من الآية أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يدعو المحاجين والمجادلين في عيسى من أهل الكتاب إلى الاجتماع رجالاً ونساءً، وأطفالاً، ويبتهلون إلى الله بأن يلعن هو الكاذب فيما يقول عن عيسى.

وهذا الطلب يدل على قوة يقين صاحبه، وثقته بما يقول. كما يدل امتناع من دعوا إلى ذلك من أهل الكتاب، سواء كانوا نصارى نجران أو غيرهم، على امترائهم في حجاجهم، ومماراتهم فيما يقولون، وزلزالهم فيما يعتقدون، وكونهم على غير بينة ولا يقين. وأنى لمن يؤمن بالله أن يرضى بأن

١٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

يجتمع مثل هذا الجمع من الناس المحقين والمبطلين في صعيد واحد، متوجهين إلى الله تعالى في طلب لعنه، وإبعاده من رحمته؟! وأي جراءة على الله، واستهزاء بقدرته وعظمته أقوى من هذا؟!

قال: أما كون النبي «صلى الله عليه وآله» والمؤمنين كانوا على يقين مما يعتقدون في عيسى «عليه السلام» فحسبنا في بيانه قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(١) فالعلم في هذه المسائل الاعتقادية لا يراد به إلا اليقين. وفي قوله: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ..﴾^(٢) وجهان:

أحدهما: أن كل فريق يدعو الآخر، فأنتم تدعون أبناءنا، ونحن ندعو أبناءكم، وهكذا الباقي.

وثانيهما: أن كل فريق يدعو أهله، فنحن المسلمين ندعو أبناءنا ونساءنا وأنفسنا، وأنتم كذلك.

ولا إشكال في وجه من وجهي التوزيع في دعوة الأنفس، وإنما الإشكال فيه على قول الشيعة ومن شايعهم من القول بالتخصيص^(٣). ونقول:

إن هذه المناقشات ظاهرة الوهن بينة السقوط، فلاحظ ما يلي:
أولاً: إن ما زعمه من أن مصادر هذا الحديث هم الشيعة غير صحيح، فإن هذا الحديث قد روي في صحاح أهل السنة ومجاميعهم الحديثية

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٣) المنارج ٣ ص ٣٢٢ و ٣٢٣ وتفسير الميزان ج ٣ ص ٢٣٦.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ١٣
والتفسيرية. ومن غير المعقول أن يكون الشيعة قد دسوا هذه الروايات في
تلك المجاميع.. إذ إن ذلك يؤدي إلى سقوطها، ومنها صحيح مسلم
والترمذي وتفسير الطبري، والدر المنثور، وسائر صحاح ومصادر أهل
السنة عن الاعتبار..

كما أن ذلك لو صح، لأفسح المجال للقول: بأن الدس في كتب أهل
السنة ميسور لكل أحد، وأن حصره في الشيعة لا وجه له، وتكون النتيجة
هي: أن تصبح روايات أهل السنة كلها مسرحاً لتلاعب جميع الفئات،
فتصبح موضع شك وريب، وتسقط بذلك عن الاعتبار..

وإن كان المقصود بالشيعة هو خصوص الصحابة والتابعين الذين
رووا هذا الحديث فالأمر يصبح أشد خطورة، إذ هو يؤدي إلى نسبة جماعة
من أئمة أهل السنة، ورواة حديثهم، وفقهائهم، إلى التشيع والشيعة، مع أنه
لا يرتاب أحد في تسننهم، بل فيهم من هو من الأركان في التسنن..

ثانياً: بالنسبة لقوله عن الشيعة: «ويحملون كلمة نساءنا على فاطمة،
وكلمة أنفسنا على علي فقط» نقول:

إن المقصود من التعبير بالنساء والأبناء هو: إيراد الكلام وفق ما يقتضيه
طبعه العام، وإن كان مصداقه ينحصر في فرد واحد تماماً كما هو الحال في قوله
تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١). إذ لا مصداق للمفهوم العام سوى علي بن أبي طالب
«عليه السلام» في قضية تصدقه بالخاتم التي يعرفها كل أحد.

١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

وكذلك الحال في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١)، التي لا يقصد بها سوى الأئمة الإثني عشر..

ومنه: آية التطهير التي قصد بها خصوص الخمسة أصحاب الكساء، مع أن كلمة أهل البيت يمكن أن تشمل العباس وأولاده أيضاً. ولكن الله أخرجهم منها. ويّين أن المراد بالآية أشخاص بأعيانهم.

وكذلك الحال في قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢)، مع أن المقصود بها خصوص أصحاب الكساء والأئمة الاثني عشر كما دلت عليه الروايات.

ومنه: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾^(٣) في حين أن إثبات بنات للنبي «صلى الله عليه وآله» غير الزهراء «عليها السلام» صعب المنال، فراجع كتابنا «بنات النبي أم رباته»، وكتاب: «القول الصائب في إثبات الربات»..

ثالثاً: بالنسبة لقوله: «إن العربي لا يطلق كلمة نساءنا على بنت الرجل، لا سيما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم» نقول:

ألف: إن الذين أوردوا هذه الروايات التي طبقت الآية على علي وفاطمة «عليهما السلام»، كانوا من العرب الأقحاح الذين عاشوا في عصر النبوة وبعده، وقد سجلها أئمة اللغة، وعلماء البلاغة في كتبهم ومجاميعهم، ولو كان

(١) الآية ٩٢ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٣) الآية ٥٩ من سورة الأحزاب.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المبالهة ١٥

الأمر كما ذكره هذا الرجل لسجلوا تحفظهم على هذه الروايات أيضاً..

ب: إن إشكال هذا الرجل لو صح، فهو وارد على قوله هو على جميع الأحوال، فإنه يزعم: أن وفد نجران لم يكن معه نساء ولا أولاد، فما معنى أن تقول الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾؟! فكيف يمكنه تطبيق الآية؟!.

ج: إن المقصود هو أن يُبْلَغَهم أنه يباهلهم بجميع الأصناف البشرية التي لها خصوصية اشتراك في العلم والأهلية، وهم النساء والأطفال والرجال، حتى لو لم يكن الجامعون للشرائط سوى فرد واحد من كل صنف، فهو كقول القائل: شرفونا وسنخدمكم نساءً ورجالاً وأطفالاً. أي أن جميع الأصناف سوف تشارك في خدمتهم، حتى لو شارك واحد أو اثنان من كل صنف.

رابعاً: زعم هذا القائل: أن ظاهر الآية هو أن المطلوب هو دعوة المحاجين والمجادلين في عيسى من أهل الكتاب جميع نسايتهم ورجالهم وأبنائهم، ويجمع النبي جميع أبناء ونساء ورجال المؤمنين، ثم يتهلون. وهذا من طلب المحال. ويحق للنصارى أن يرفضوا هذا الطلب، وبذلك يثبت أن ثمة تعنتاً، وطلباً لما لا يكون. وهو يستبطن الإعتراف بصحة ما عليه النصارى..

وإن كان المقصود هو: نساء وأبناء الوفد، ونساء وأبناء النبي فيرد إشكال: إنه لم يكن مع الوفد نساء..

والجواب:

إن ما زعمه: من أنه لم يكن لدى الوفد أبناء ولا نساء، غير ظاهر المأخذ، فإن الناس كثيراً ما كانوا يسافرون ومعهم نساؤهم وأبنائهم. وكان

١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

النبي «صلى الله عليه وآله» يصطحب معه في حروبه إحدى زوجاته، وكان المشركون يأتون بنسائهم في حروبهم، كما كان الحال في بدر، وأحد. أما في موضوع الوفود فلا يوجد فيها احتمال مواجهة أخطار، وتعرض لأذى وأسر وسبي، فالداعي إلى استصحاب النساء والأطفال، لا يواجهه أي مانع أو رادع..

خامساً: لقد زعم هذا القائل: أن النبي «صلى الله عليه وآله» والمؤمنين كانوا على يقين مما يعتقدون في عيسى «عليه السلام». ونقول: إن الآية تدل على يقين النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد دل فعل النبي «صلى الله عليه وآله» في المباهلة على أن الذين أخرجهم معه كانوا على يقين من ذلك أيضاً.

ودل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَتَجَعَلَ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١). حيث إنهم جميعاً كانوا شركاء في الدعوى، وعلى يقين من صحتها. وأما بالنسبة لسائر المؤمنين فلا شيء يثبت أنهم كانوا على يقين من ذلك، فلعل بعضهم كان خالي الذهن عن كثير من التفاصيل.

بل لقد صرح القرآن بأن الشكوك كانت تراود أكثرهم، فقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٢).

سادساً: لا معنى لقوله: إن الآية قد تعني أن يفوض إلى النصارى دعوة الأبناء والنساء من المؤمنين، ويدعو المؤمنون أبناء ونساء النصارى في

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٠٦ من سورة يوسف.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيناني في حديث المباهلة ١٧

المباهلة، إذ كيف يسلط النبي «صلى الله عليه وآله» النصارى على أبناء ونساء المؤمنين، ثم يطلب من النصارى أن يسلطوه على دعوة نسائهم وأبنائهم.. في حين أن المباهلة لا تحتاج إلى ذلك، بل يمكن أن يأتي كل فريق بمن أحب لكي يباهل الجماعة التي تأتي من قبل الفريق الآخر؟!.

سابعاً: بالنسبة لدعوة النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه نقول: إن الشيعة لا يقولون بأن الآية تفرض ذلك، بل هم يقولون: إن المراد بقوله: وأنفسنا هو الرجال من أهل بيت الرسول «صلى الله عليه وآله»، الذين يكون حضورهم بمثابة حضور نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، وهم إنما يحضرون بدعوة بعضهم بعضاً^(١).

المباهلة بأعز الناس:

زعم بعضهم: أن آية المباهلة قد دلت على لزوم إحضار كل فريق أعز شيء عنده، وأحب الخلق إليه في المباهلة، والأعز والأحب هو الأبناء، والنساء، والأنفس (الأهل والخاصة).

ثم تقدم بعض آخر خطوة أخرى فزعم: أن إشراك أهل البيت في المباهلة أسلوب اتبعه النبي «صلى الله عليه وآله» للتأثير النفسي على الطرف الآخر ليوحى لهم بثقته بما يدّعيه.

ونقول:

١ - إن هذا يؤدي إلى إبعاد قضية المباهلة عن أن تكون بمستوى الجدية

(١) راجع: تفسير الميزان ج ٣ ص ٢٤٢ و ٢٤٣.

١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

الحقيقية، لتصبح أسلوب مناورة، يهدف للتأثير النفسي على الطرف الآخر، لينسحب من ساحة المواجهة.

٢ - إن اللافت هنا: أن هذا البعض قد نسب هذه المبادرة إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، مع أن الآية قد صرحت: بأن الأمر للنبي «صلى الله عليه وآله» قد جاء من الله تبارك وتعالى، فهي تدبير إلهي، وقرار رباني.

٣ - إن كون هذا الأمر تدبيراً إلهياً يعطي: أن هؤلاء الصفوة الذين أخرجهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» قيمة كبرى ومقاماً خاصاً عنده تبارك وتعالى، وليست القضية هي حب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لولده أو سبطه، أو لصهره الذي يوحى بأن سبب محبته ومعزته لهم هو الرابطة النسبية، وكونهم أبناء ونساءه، وأهله «صلى الله عليه وآله»..

٤ - إننا لا نريد أن ننفي أن يكون في خروج هؤلاء إلى المباهلة دلالة على قيمتهم عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودلالة على معنى أن إشراك الحسنين والزهراء وعلي «عليهم السلام» في قضية لها مساس بحقيقة دين الإسلام، من حيث إن ما يراد إثباته، هو بشرية عيسى «عليه السلام»، ونفي الألوهية عنه يدل دلالة قاطعة على أن من يباهل النبي «صلى الله عليه وآله» بهم قد بلغوا في الفضل والكرامة والسؤدد حداً يصبح معه جعل الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» لهم في معرض الخطر، من أعظم الوثائق الدالة على صدق الرسول «صلى الله عليه وآله» فيما يدّعيه من حيث إن التفريط بهم وهم أكرم الخلق عليه، والنموذج الأمثل للإنسان الإلهي في أسمى تجلياته يكون تفريطاً بكل شيء، حيث لا قيمة لشيء في هذا الوجود

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ١٩
بدونهم، وهو ما أشير إليه في الحديث الشريف^(١).

وأنفسنا:

وزعم بعضهم: أن المراد بـ «أنفسنا» الرجال^(٢)، أي بقول مطلق، فتطبيق ذلك على علي «عليه السلام» لا لخصوصية فيه، بل لكونه رجلاً، وحسب.
وجوابه واضح:

فأولاً: روي عن علي «عليه السلام»، قوله يوم الشورى: أنشدكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الرحم مني، ومن جعله نفسه، وأبناءه أبناءه، ونساءه نساءه غيري؟! قالوا: اللهم لا^(٣).

وعن الشعبي: أنه قال: أبناءنا الحسن والحسين ونساؤنا فاطمة، وأنفسنا علي بن أبي طالب^(٤).

-
- (١) الكافي ج ١ ص ١٧٩ و ١٩٨ والغيبة للنعماني ص ١٣٩ و ١٣٨ وبصائر الدجات ص ٤٨٨ و ٤٨٩ وإكمال الدين للصدوق ص ٢٣٣ وغيبة النعماني ص ١٤٢ والبحار ج ٢٣ ص ٤٣ وتاريخ آل زرارة للزراري ص ١٧٠.
(٢) راجع كلام الفضل بن روزبهان في دلائل الصدق ج ٢ ص ٨٣.
(٣) دلائل الصدق ج ٢ ص ٨٥ والبحار ج ٣٥ ص ٢٦٧ والغدير ج ١ ص ١٦١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٤٣٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ١١٦١ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٧٧.
(٤) دلائل الصدق ج ٢ ص ٨٥ والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ص ٤٧ والبحار ج ٣٥ ص ٢٦٢ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص ٦٨ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٣٤٦.

٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

فإن ذلك كله يدل على أن المراد: هو خصوص شخص بعينه، لا مطلق الرجال..

مساواة علي عليه السلام للنبي ﷺ:

وقال العلامة الحلي «رحمه الله»: إن الله تعالى جعل علياً «عليه السلام» نفس محمد «صلى الله عليه وآله»، فساواه بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فأجاب الفضل بن روزبهان بأن دعوى المساواة خروج من الدين.

فرد عليه الشيخ محمد حسن المظفر: بأن المقصود هو: المساواة في الخصائص والكمال الذاتي عدا خاصة أوجبت نبوته، وميزته عنه، وهو مفاد ما روي: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: ما سألت الله شيئاً إلا سألت لك مثله، ولا سألت الله شيئاً إلا أعطانيه، غير أنه قيل لي: إنه لا نبي بعدك^(١).

ويدل عليه: ما روي مستفيضاً عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إن علياً

(١) دلائل الصدق ج ٢ ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٥ والحديث الأخير نقله عن كنز العمال في فضائل علي «عليه السلام» عن ابن أبي عاصم، وابن جرير وصححه، وابن شاهين في السنة، والطبراني في الأوسط. والعقد النضيد للقمي ص ٧٩ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥٨٢ وأمالى المحاملي ص ٢٠٤ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٨ ص ٤٧ ونظم درر السمطين للحنفي ص ١١٩ وكنز العمال ج ١٣ ص ١٧٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣١١ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ١٥٠ وراجع: كشف اليقين للحلي ص ٢٨٣.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٢١
مني وأنا منه^(١).

فتدل الآية الشريفة على إمامة أمير المؤمنين «عليه السلام» لأن مساواته للنبي «صلى الله عليه وآله» في خصائصه عدا مزية النبوة تستوجب أن يكون مثله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأفضل من غيره بكل الجهات، وأن يمتنع صيرورته رعية ومأموراً لغيره كالنبي «صلى الله عليه وآله»^(٢).

ونقل الرازي عن الشيخ محمود بن حسن الحمصي: أنه استدل بجعل علي «عليه السلام» نفس النبي «صلى الله عليه وآله» على كونه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد «صلى الله عليه وآله»، لأن النبي «صلى الله عليه وآله»^(٣).

(١) دلائل الصدق ج ٢ ص ٨٥ والكافي ج ٨ ص ٣٢١ ودعائم الإسلام ج ١ ص ٣٨٣ وأمالى الصدوق ص ٢٦٤ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج ١ ص ٤٤٩ وأمالى الطوسي ص ١٣٤ ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٦٠ وج ٣ ص ١٤ والعمدة لابن البطريق ص ١٩٨ و ٢٠٣ والطرائف لابن طاووس ص ٦٥ وذخائر العقبى للطبري ص ٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ١٠٨ وج ٢٤ ص ٢٦١ وج ٣١ ص ٦٥٥ وج ٣٧ ص ٢٢١ و ٢٣٥ وج ٣٨ ص ٦٧ و ٩٧ و ١١٩ وج ٣٩ ص ٣٣٣ وج ٥٦ ص ٢٥٦ والغدير ج ٣ ص ٢١٥ ومسند احمد ج ٤ ص ٤٣٨ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٢٩٦ وفصائل الصحابة للنسائي ص ١٥ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٤ ومسند أبي داود الطيالسي ص ١١١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٥ و ١٢٦ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص ٨٧ وصحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٧٤ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٦ ص ١٦٢ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٨ ص ١٢٩ وتفسير فرات الكوفي ص ٨١.

(٢) دلائل الصدق ج ٢ ص ٨٥ والصراط المستقيم لابن يونس العاملي ج ٢ ص ٢٦.

٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩ وآله» أفضل منهم، وعلي «عليه السلام» نفسه.

ثم رد الرازي على ذلك بقيام الإجماع على أن الأنبياء «عليهم السلام» أفضل من غيرهم.

وأجاب المظفر «رحمه الله»: بأن المجمع عليه هو تفضيل صنف من الأنبياء على صنف آخر منهم، وتفضيل كل نبي على جميع أمته، لا تفضيل كل شخص من الأنبياء على جميع من عداهم، حتى لو كان من أمم غيرهم. فذلك نظير تفضيل صنف الرجال على صنف النساء، فإنه لا ينافي تفضيل امرأة بعينها على كثير من الرجال. والقول بما قاله الحمصي قال به الشيعة قبل الحمصي..

سبب إثارة الشبهات:

وأخيراً.. فإننا لانجد مبرراً لكل تلك التمحلات البالية، والتوهّمات والخيالات الخاوية سوى التخلص من شبح إثبات كرامة وفضيلة لأهل البيت «عليهم السلام»، وذلك بعد أن وجدوا: أن علماءهم مرغمون على الإقرار بهذا الأمر، والبخوع له، حتى لقد قال الزنجشيري وغيره: «وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء»^(١).

(١) راجع: الكشف ج ١ ص ٣٧٠ والصواعق المحرقة ص ١٥٣ عنه، وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٢ ص ٣٥١ والطرائف لابن طاووس ص ٤٣ وكشف الغمّة للإربلي ج ١ ص ٢٣٥ والصراط المستقيم لابن يونس العاملي ج ١ ص ٢٤٩ والبحار ج ٢١ ص ٢٨٢ وج ٣٥ ص ٦٠ وراجع: الإرشاد للمفيد ص ٩٩ وتفسير الميزان ج ٣ ص ٢٣٨ وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج ١ ص ٢٩٤ وتفسير =

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيناني في حديث المباهلة ٢٣

تناقضات الشعبي:

ويلاحظ هنا: أن الشعبي يقع في المتناقضات، فقد روى تارة: أن علياً «عليه السلام» هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا﴾ كما تقدم^(١). ولكنه في مورد آخر يروي قضية المباهلة ولا يذكر علياً «عليه السلام»، فتحرّر الراوي في ذلك، وعزاه إما إلى سقط في رواية الشعبي، أو لسوء رأي بني أمية في علي^(٢). ولا ريب في أن الثاني هو الأصوب، حسبما عرفناه وألفناه من أفاعيلهم.

ونحن لا نستطيع في هذه العجالة أن نتعرض لجميع الجوانب التي لا بد من بحثها في حديث المباهلة، فإن ذلك يحتاج إلى تأليف مستقل، ولكننا نكتفي هنا بالإشارة إلى الأمور التالية:

الأمر الأول: النموذج الحي:

إن إخراج الحسين «عليهما السلام» في قضية المباهلة لم يكن بالأمر العادي، أو الإتفاقي.. وإنما كان مرتبطاً بمعاني ومداليل هامة، ترتبط بنفس شخصية الحسين «عليهما السلام»، فقد كانا صلوات الله وسلامه عليهما ذلك المصدق

= البحر المحيط لابي حيان الأندلسي ج ٢ ص ٥٠٣.

(١) دلائل الصدق ج ٢ ص ٨٥ والطرائف لابن طاووس ص ٤٧ والبحار ج ٢١ ص ٣٤٩ وج ٣٥ ص ٢٦٢ وتفسير فرات الكوفي ص ٨٧ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج ٢ ص ٣١١ وأسباب نزول الآيات الواحدي النيسابوري ص ٦٨ وشواهد التنزيل ج ١ ص ١٥٩ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٣٤٦.

(٢) راجع: جامع البيان ج ٣ ص ٢١١ وفي (ط دار الفكر) ج ٣ ص ٤٠٤.

٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

الحقيقي، والمثل الأعلى، والثمرة الفضلى التي يعنى الإسلام بالحفاظ عليها، وتقديمها على أنها النموذج الفذ لصناعته الخلاقة، والبالغة أعلى درجات النضج والكمال.. حتى إنه ليصبح مستعداً لتقديمها على أنها أعز وأغلى ما يمكن أن يقدمه في مقام التدليل على حقانيته وصدقته، بعد أن فشلت سائر الأدلة والبراهين - رغم وضوحها، وسطوع نورها، وقاطعيتها لكل عذر - في التخفيف من عنت أولئك الحاقدين، وصلفهم، وصدودهم عن الحق الأبلج..

فالنبي «صلى الله عليه وآله» حينما يكون على استعداد للتضحية بنفسه، وبهؤلاء، الذين هم القمة في النضج الرسالي، بالإضافة إلى أنهم أقرب الناس إلى الله، وهم النموذج الأعلى للتربية الإلهية، فإنه لا يمكن أن يكون كاذباً - والعياذ بالله - في دعواه.

كما لاحظته نفس رؤساء أولئك الذين جاؤوا لياهلوه، وذلك لأن محبة النفس، ثم محبة الأقارب، وإن كانت قد تجعل الإنسان على استعداد للتفريط بكل شيء، قبل أن يفكر في التفريط بنفسه وبهم، إلا أن الأنبياء لا يفكرون بهذه الطريقة، وإنما يفكرون بما من شأنه حفظ الدين والرسالة، وهم لا يبخلون عليها بهال ولا بنفس ولا بولد حتى لو كان هذا الولد يملك من المزايا والفضائل والكمالات، ما لا يملكه أحد على وجه الأرض^(١).

(١) ويرى المحقق العلامة الأحمدي «رحمه الله»: أن من الممكن أن يكون العباس قد اقتدى بالنبي «صلى الله عليه وآله»، حينما أخرج العباس الحسين «عليهما السلام» للإستسقاء، ومنع عمر من الإلتحاق بهم، وقال له: لا تخلط بنا غيرنا - وذلك في قضية تبرك عمر بهم في حادثة الإستسقاء. راجع: تبرك الصحابة والتابعين ص ٢٨٣ - ٢٨٧.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٢٥

فإذا كان على استعداد للتضحية بنفسه، وبنوعيات كهذه - من أهل بيته - فإن ذلك يكون أدل دليل على صدقه، وعلى فنائه المطلق في هذا الدين، وعلى ثقته بما يدعو إليه - وليس هدفه هو الدنيا الفانية، وحطامها الزائل، لأنه يعلم أن أي ضرر يلحق به وبهؤلاء سوف يسقط محل هذه الدعوة التي جاء بها، لأنهم هم المحور والأساس لها..

وهذا بالذات هو ما حصل في قضية المباهلة، التي كان النزاع يدور فيها حول بشرية عيسى عليه الصلاة والسلام، وإبطال ما يقوله النصارى فيه، تمهيداً للتأكيد على صحة الإسلام، وأحقية ما جاء به النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله».

بل إن بعض الإخوة قد ذكر أن من المحتمل أن لا يريد النصراني في: «إذا باهلكم بأهل بيته فهو صادق» الإشارة إلى قاعدة عامة، وأن لكل نبي - أو كل من باهل - بأهل بيته فهو صادق، لأنهم أغلى ما عنده، ولا يمكنه التفريط بهم، بل يكون ذلك للإشارة إلى بعض المآثر عندهم في كتبهم من أن نبي آخر الزمان يباهلهم بأهل بيته الذين هم خير الناس وأفضلهم.

الأمر الثاني: التخطيط.. في خدمة الرسالة:

ولربما يتصور البعض: أن اعتبارنا هذا الوليد اليافع، وأخاه عليها الصلاة والسلام ذلك المثل الأعلى، والنموذج الفذ لصناعة الإسلام وخلقته.. نابع عن متابعة غير مسؤولة للعواطف والأحاسيس المتأثرة بتعصب مذهبي، أثارته لاجحة الخصوم..

لكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً، فإن ما ذكرناه نابع عن وعي عقائدي

سليم، فرضته الأدلة والبراهين، التي تؤكد - بشكل قاطع - على أن الأئمة الأطهار «عليهم السلام» كانوا حتى في حال طفولتهم في المستوى الرفيع الذي يؤهلهم لتحمل الأمانة الإلهية، وقيادة الأمة قيادة حكيمة وواعية، كما كان الحال بالنسبة لإمامنا الجواد والإمام الهادي عليهما الصلاة والسلام، وكذلك الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، حيث شاءت الإرادة الإلهية أن يتحملوا مسؤوليات الإمامة في السنين المبكرة من حياتهم. تماماً كما كان الحال بالنسبة لنبي الله عيسى «عليه السلام»، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابُ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا..﴾ (الآيات^(١)).

وكما كان الحال بالنسبة لنبي الله يحيى عليه الصلاة والسلام، الذي قال الله سبحانه عنه: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٢).

نعم.. لقد كان الحسنان «عليهما السلام» حتى في أيام طفولتهما الأولى في المستوى الرفيع من الكمال الإنساني، ويملكان كافة المؤهلات التي تجعلهما محلاً للعناية الإلهية، وأهلاً للأوسمة الكثيرة التي منحها إياها الإسلام على لسان نبيه الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وتجعلهما قادرين على تحمل المسؤوليات الجسام، حتى يصح إشراكهما في الدعوى، وفي المباحلة لإثباتها.. حسبما أشار إليه العلامة الطباطبائي والمظفر رحمهما الله تعالى، على

(١) الآيتان ٢٩ و ٣٠ من سورة مريم.

(٢) الآية ١٢ من سورة مريم.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٢٧
اعتبار أن قوله تعالى: ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١) يراد منه: الكاذبون الذين هم في أحد طرفي المباهلة، وإذا كانت الدعوى، والمباهلة عليها هي بين شخص النبي «صلى الله عليه وآله»، وبين السيد والعاقب والأهتَم، فكان يجب أن يأتي بلفظ صالح للإنطباق على المفرد والجمع معاً، كأن يقول: (فنجعل لعنة الله على الكاذب)، أو (على من كان كاذباً) مثلاً..
ولكن الآية أوردت صيغة الجمع، لتشير إلى وجود جماعة كاذبة، ولا بد من طلب إهلاكها.

وهذا يعطي: أن الحاضرين للمباهلة شركاء في الدعوى، فإن الكذب لا يكون إلا فيها.. وعليه.. فعليّ، وفاطمة، والحسنان «عليهم السلام» شركاء في الدعوى، وفي الدعوة إلى المباهلة لإثباتها. وهذا من أفضل المناقب التي خص الله بها أهل بيت نبيه^(٢).

وتقدم قول الزمخشري: «وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء».

وقال الطبرسي وغيره: «قال ابن علان - وهو أحد أئمة المعتزلة -: هذا يدل على أن الحسن والحسين كانا مكلفين في تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.

وقال أصحابنا: إن صغر السن ونقصانها عن حد البلوغ لا ينافي كمال

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) راجع: تفسير الميزان ج ٣ ص ٢٢٤ ودلائل الصدق ج ٢ ص ٨٤.

٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

العقل، وإنما جعل بلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية^(١).

وقد كان سنهما في تلك الحال سنّاً لا يمتنع معها أن يكونا كاملي العقل.

على أن عندنا يجوز أن يخرق الله العادات للأئمة، ويخصهم بها لا

يشاركهم فيه غيرهم، فلو صح أن كمال العقل غير معتاد في تلك السن،

لجاز ذلك فيهم: إبانة لهم عن سواهم، ودلالة على مكانهم من الله تعالى،

واختصاصهم.

ومما يؤيده من الأخبار قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «ابناني هذان

إمامان، قاما، أو قعدا»^(٢).

أضف إلى ما تقدم: أن مما يدل على ما ذكره الطباطبائي والمظفر

وغيرهما: نزول سورة هل أتى، في أهل الكساء، ومنهم الحسنان «عليهما

السلام»، وقد وعدهم الله تعالى جميعاً بالجنة.

(١) ومن الواضح: أنه قد لوحظ في ذلك عامة الناس وغالبهم.

(٢) مجمع البيان ج ٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٣ وغنية النزوع للحلي ص ٢٩٩ والسرائر لابن

إدريس ج ٣ ص ١٥٧ وجامع الخلاف والوفاق للقمي ص ٤٠٤ والإرشاد

للمفيد ج ٢ ص ٣٠ والفصول المختارة للشریف المرتضى ص ٣٠٣ والمسائل

الجارودية للمفيد ص ٣٥ والنكت في مقدمات الأصول للمفيد ص ٤٨ والمناقب

لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٤١ والبحار ج ١٦ ص ٣٠٧ وجوامع الجامع

للطبرسي ج ٣ ص ٧٠ ومجمع البيان للطبرسي ج ٢ ص ٣١١ وإعلام الوری

للطبرسي ج ١ ص ٤٠٧ وراجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٦٨. وكلام

ابن أبي علان موجود في التبيان أيضاً ج ٢ ص ٤٨٥، وراجع الإرشاد للمفيد.

وفي البحار للمجلسي بحث حول إيمان علي «عليه السلام»، وهو لم يبلغ الحلم.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٢٩
ويؤيد ذلك أيضاً: إشراكهما «عليهما السلام» في بيعة الرضوان، ثم
استشهاد الزهراء «عليها السلام» بهما في قضية نزاعها مع أبي بكر حول
فدك^(١)، إلى غير ذلك من أقوال ومواقف للنبي «صلى الله عليه وآله» منهما
في المناسبات المختلفة..

كما أن ذلك كله - كان يتجه نحو إعداد الناس نفسياً ووجدانياً لقبول
إمامة الأئمة «عليهم السلام»، حتى وهم صغار السن، كما كان الحال
بالنسبة للأئمة: الجواد والهادي والمهدي «عليهم السلام».

الأمر الثالث: سياسات لا بد من مواجهتها:

هذا وقد كان ثمة سياسات ومفاهيم منحرفة، لا بد من مواجهتها،
والوقوف في وجهها.. ونشير هنا إلى أمرين:

عنصر المرأة:

إن إخراج عنصر المرأة ممثلة بفاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه
عليها، والتي تعتبر النموذج الفذ للمرأة المسلمة - في أمر ديني ومصيري
كهذا. من شأنه أن يضرب ذلك المفهوم الجاهلي البغيض، الذي كان لا يرى
للمرأة أية قيمة أو شأن يذكر، بل كانوا يرون فيها مصدر شقاء وبلاء،
ومجلبة للعار، ومظنة للخيانة، وقد قدمنا بعض الكلام حول هذا الموضوع
في بعض فصول هذا الكتاب؛ فلم يكن يتصور أحد أن يرى المرأة تشارك في
مسألة حساسة وفاصلة، بل ومقدسة كهذه المسألة، فضلاً عن أن تعتبر

(١) ستأتي بعض المصادر لذلك إن شاء الله تعالى..

٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

شريكة في الدعوى، وفي الدعوة لإثباتها ولو بمواجهة أعظم الأخطار.
ويرى البعض: أن إخراج الزهراء «عليها السلام» للمباهلة، دون سائر نسائه «صلى الله عليه وآله»، رغم أن الآية قد جاءت عامة، حيث عبرت بـ «نساءنا» ومع أن زوجاته «صلى الله عليه وآله» من أجلى مصاديق هذا التعبير - إن ذلك - له مغزى يشبه إلى حد كبير المغزى من إرسال أبي بكر بآيات سورة براءة، ثم عزله، استناداً إلى قول جبرئيل: لا يُبْلَغُ عنك إلا أنت أو رجل منك!!.

وهكذا يقال بالنسبة للعموم في قوله: «وأنفسنا»، ولم يخرج سوى أمير المؤمنين «عليه السلام»، وفي قوله: «وأبناءنا» ولم يخرج سوى الحسين «عليهما السلام». انتهى.

ونقول:

إننا نلاحظ على ما ذكره هذا الأخ الكريم ما يلي:

أولاً: إن إطلاق كلامه حول النساء غير مقبول، فإن بعض نساء النبي «صلى الله عليه وآله» - كأم سلمة - لم يكنَّ ممن يستحقن التعريض بهن.. لأنها كانت من خيرة النساء، ومن فضلياتهنَّ.

إلا أن يقال: إن المقصود هو: أنه ليس أحد منهن أهلاً لأن يباهل النبي «صلى الله عليه وآله» به سوى فاطمة «عليها السلام»، لأنها وحدها المرأة التي بلغت أعلى درجات الكمال حتى استحقت أن تشارك الأنبياء والأوصياء في مثل هذه المهات الكبرى..

وثانياً: إن هذا المحقق يريد: أن قوله: «نساءنا» لا يقصد به الزوجات، وإن كان قد أطلق في القرآن عليهن في بعض الموارد.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٣١

بل المقصود هو: المرأة المنسوبة إليه، وبنت الرجل تنسب إليه، ويطلق عليها: أنها من نسائه.

وعلى هذا نقول:

إن ما ذكره هنا يناقض ما ذكره هو نفسه في موضع آخر حيث قال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخرج فاطمة «عليها السلام» للمباهلة بعنوان: «المرأة المسلمة من ذوات الأزواج، من أهل هذه الدعوة، لا باعتبار أنها من نساء النبي «صلى الله عليه وآله».

وإن كان كلامه هذا الأخير ليس في محله، كما ستأتي الإشارة إليه.

الحسنان أبناء النبي ﷺ:

إن إخراج الحسين «عليهما السلام» إلى المباهلة بعنوان أنها أبناء الرسول الأكرم، محمد «صلى الله عليه وآله»، مع أنها ابنا ابنته الصديقة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليها له دلالة هامة، ومغزى عميق كما سنرى..

لكننا قبل أن نشير إلى ذلك، وإلى مغزاه، لا بد من الإجابة على مناقشة طرحها بعض المحققين^(١)، مفادها:

أن الآية لا تدل على أكثر من أن المطلوب هو إخراج أبناء أصحاب هذه الدعوة الجديدة، حيث قال: «أبناءنا»، ولم يقل «أبنائي». وليس في الآية ما يدل على لزوم إخراج ابني صاحب الدعوة نفسه، فكون الحسين «عليهما السلام» ابنين لبعض أصحاب الدعوة كاف في الصدق.. انتهى.

(١) هو المحقق البهائي السيد مهدي الروحاني «رحمه الله»..

ونقول:

١ - إن الإمام علياً «عليه السلام» قد استدل بهذه الآية يوم الشورى على أن الله سبحانه قد جعله نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، وجعل ابنه إبنه، ونساءه نساءه..

واحتج بها أيضاً الإمام الكاظم «عليه السلام» على الرشيد.
 واحتج بها أيضاً يحيى بن يعمر.

وكذلك سعيد بن جبير على الحجاج - كما سيأتي - فلم يكن استدلالهم بأمر تعدي بحث، وإنما بظهور الآية، الذي لم يجد الخصم سبيلاً إلا التسليم به، والخضوع له..

٢ - لو كان المراد مطلق أبناء أصحاب الدعوة، لكان المقصود بأنفسنا مطلق الرجال الذين قبلوا بهذا الدين، وليس شخص النبي «صلى الله عليه وآله» فقط.. وعليه فقد كان الأنسب أن يقول: «ورجالنا ورجالكم» بدل قوله: «وأنفسنا».

أضف إلى ذلك: أن من غير المناسب أن يقصد من الأنفس شخص النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم يقصد من الأبناء والنساء أبناء ونساء رجال آخرين، إذ الظاهر: أن الأبناء والنساء هم لنفس من أرادهم بقوله: «وأنفسنا»، ولو كان المقصود بأنفسنا شخص النبي «صلى الله عليه وآله»، وبأبنائنا أبناء الآخرين، لكان من قبيل قولنا: «إن لم يكن ما أدعيه صحيحاً فليمتني الله، وليمت ابن فلان» مثلاً!!..

٣ - إن كلمات: «أنفسنا»، و «أبناءنا»، و «نساءنا» كلها جاءت بصيغة الجمع.. فلماذا اقتصر من الأنفس على اثنين، وكذلك من الأبناء، ومن

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٣٣
النساء، على واحدة؟! فإن ذلك إنما يدل على مزيد من الخصوصية لهؤلاء
الذين أخرجهم بالذات..

ولو كان المقصود مجرد النموذج، فلماذا لم يكتف بواحد واحد من
الأنواع الثلاثة؟.

ولو كان المقصود تخصيص جماعة بشرف معين، للتعبير عن أنهم
وحدهم هم الذين بلغوا الذروة في فنائهم بهذه الدعوة، التي يراد المباهلة
من أجلها.

فيصح قولهم: إن هذه الآية تدل على فضيلة لا أعظم منها لأصحاب
الكساء. ولا سيما بملاحظة ما تقدم عن العلامتين - الطباطبائي والمظفر -:
من أن هؤلاء شركاء في الدعوى، وفي الدعوة للمباهلة لإثباتها.

وهكذا يتضح: أن دعوى أن الآية لا تدل على أكثر من الأمر بإخراج
نموذج من أبناء من اعتنق هذه الدعوة لا يمكن القبول بها، ولا الاعتماد
عليها بوجه.

عود على بدء:

كانت تلك هي المناقشة التي أحببنا الإشارة إليها، وكان ذلك هو
بعض ما يمكن أن يقال في الإجابة عنها..

وبعد ذلك.. فإننا نشير إلى أن إخراج الحسين «عليهما السلام» في
المباهلة، يدل دلالة واضحة على أنها ابنان للنبي «صلى الله عليه وآله»، مع
أنهما ابنا ابنته، فلا مجال لإنكار ذلك، أو للتشكيك فيه، حتى إنهم ليعترفون
صراحة بأن: في الآية دلالة على أن الحسن والحسين، وهما ابنا البنت يصح

٣٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

أن يقال: إنها ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه وعد أن يدعو أبناءه، ثم جاء بهما^(١).

وظاهر الآية: أن كلمة الأبناء قد أريد بها المعنى الحقيقي، سواء بالنسبة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، أو بالنسبة إلى النصارى والكافرين.

وذلك له دلالات هامة، أشرنا إلى بعضها آنفاً، ونضيف هنا ما يلي:

أولاً: إن ذلك يسقط المفهوم الجاهلي البغيض، القائل: بأن أبناء الأبناء هم الأبناء في الحقيقة، دون بني البنات، الأمر الذي ينشأ عنه أن يتعرض جماعات من الناس لكثير من المشاكل النفسية، والمصاعب الاجتماعية، والإقتصادية، وغيرها. تلك المشاكل التي لا مبرر لها، ولا منطق يساعدها، إلا منطق الجاهلية الجهلاء، والعصبية العمياء..

ولكن مما يؤسف له هو: أن المروجين لهذه المفاهيم العمياء قد أصروا بعده «صلى الله عليه وآله» على الأخذ بها إلى حد أنها انعكست حتى على آرائهم الفقهية أيضاً، ومن ذلك جعلهم قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي

(١) تفسير الرازي ج ٨ ص ٨١ وفتح القدير ج ١ ص ٣٤٧ وتفسير النيسابوري (بهاشم تفسير الطبري) ج ٣ ص ٢١٤ والبيان ج ٢ ص ٤٨٥ عن أبي بكر الرازي (وهو غير الفخر الرازي)، ومجمع البيان ج ٢ ص ٤٥٢ والغدير ج ٧ ص ١٢٢ عنه، وعن الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ ص ١٠٤ والسرائر لابن إدريس ج ٣ ص ٢٣٨ والكافي ج ٨ ص ٣١٧ والاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٥٨ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٤٢ والبحار ج ٤٣ ص ٢٣٢ وج ٩٣ ص ٢٣٩ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٠٩.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٣٥
أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ^(١) مختصاً بعقب الأبناء، دون من عقبته
البنات.

قال ابن كثير: «قالوا: إذا أعطى الرجل بنيه، أو وقف عليهم، فإنه
يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه، «أي دون بني بنته»، واحتجوا بقول
الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا، وبنائنا بنوهن أبناء الرجال الأبعد^(٢)
«وقال العيني: هذا البيت استشهد به النحاة على جواز تقديم الخبر،
والفرضيون على دخول أبناء الأبناء في الميراث، وأن الإنتساب إلى الآباء،
والفقهاء كذلك في الوصية، وأهل المعاني والبيان في التشبيه»^(٣).
ونقل القرطبي: أن الإمام مالك بن أنس هو الذي لا يدخل ولد
البنات في الوقف الذي يكون على الولد، وولد الولد^(٤).
ومالك هذا هو الذي كان خلفاء بني العباس يعظمونه، وقد بلغ من
اهتمامهم بأمره: أن أرادوا حمل الناس على العمل بالموطأ بالقوة^(٥).
وحينما أخذ المنصور أموال عبد الله بن الحسن، وباعها، وجعلها في بيت

(١) الآية ١١ من سورة النساء.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ١٥٥ والغدير ج ٧ ص ١٢١ عنه.

(٣) الغدير: ج ٧ ص ١٢٢ وخزانة الأدب ج ١ ص ٣٠٠ وفي (ط دار الكتب العلمية).

(٤) الغدير: ج ٧ ص ١٢٣ عن تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣١.

(٥) جامع بيان العلم ج ١ ص ١٦٠، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد

الأول ص ١٦٥، وأضواء على السنة المحمدية ص ٢٩٨ عن الانتقاء ص ٤١

وعن الشافعي.

مال المدينة «أخذ مالك بن أنس الفقيه رزقه من ذلك المال بعينه اختياراً»^(١).
كما أن المنصور كان إذا أراد أن يولي أحداً على المدينة يستشيرهُ أولاً^(٢).
كما أن محمد بن الحسن الشيباني يقول: إن من أوصى لولد فلان، وله ابن، وولد بنت «إن الوصية لولد الابن، دون ولد البنت»^(٣).

نعم.. لقد ألغى الله سبحانه ذلك المفهوم الجاهلي البغيض بنص المباشلة، ولكن هؤلاء قد احتفظوا به، حتى حكّموه في آرائهم الفقهية، وذلك انصياعاً للجو السياسي، وتنفيذاً لمآرب الحكام، الذين كانوا - سواء منهم الأمويون أو العباسيون - يحاولون تركيز هذا المفهوم وتثبيته، كما سنرى..

وثانياً: لقد كان لا بد من تقويت الفرصة على أولئك الحاقدين والمنحرفين، الذين سوف يستفيدون من ذلك المفهوم الجاهلي لمقاصد سياسية، فيما يتعلق بموضوع الإمامة والخلافة والزعامة بعد رسول «صلى الله عليه وآله»، وبالذات فيما يختص بشخص هؤلاء الذين أخرجهم عليه وآله الصلاة والسلام للمباشلة، وكرمهم في حديث الكساء، وآية التطهير، وغير ذلك مما لا مجال له هنا..

وذلك لأن الذين استأثروا بالأمر بعد النبي محمد «صلى الله عليه وآله» قد احتجوا في السقيفة بأنهم: أولياء النبي «صلى الله عليه وآله»، وعشيرته،

(١) أنساب الأشراف، بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ٨٨..

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، المجلد الأول ص ٤٩٤ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و

٥٠٦ و ٥٠٧ و ١٦٤ و ١٦٥.

(٣) حقائق التأويل ص ١١٥.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٣٧

وبأنهم عترة النبي، وبأنهم أمسُّ برسول الله «صلى الله عليه وآله» رحماً^(١).

وجاء الأمويون أيضاً، واتبعوا نفس الخط، وساروا على نفس الطريق، وكانت الخطط الجهنمية لهؤلاء وأولئك تتجه نحو تضعيف شأن أهل البيت «عليهم السلام»، وعزلهم عن الساحة، بل والقضاء عليهم وتصفيتهم بشكل نهائي: إعلامياً وسياسياً، واجتماعياً، ونفسياً، بل وحتى جسدياً، أيضاً..

وكان رأس الحربة يتجه أولاً وبالذات إلى أولئك الذين طهرهم الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه، وأخرجهم نبيه الأكرم محمد «صلى الله عليه وآله» ليباهل بهم أهل الكفر، واللجاج والعناد.. حيث إن تصفية هؤلاء على النحو الذي قدمناه هي الأصعب، والأهم، وذلك بسبب ما سمعته الأمة من النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وبسبب ما عرفته من آيات قرآنية نزلت في حقهم وبيان فضلهم.. فضلاً عن كثير من المواقف التي لا يمكن تجاهلها أو على الأقل لا يمكن تشويهها، أو التعتيم عليها بسراً وسهولة..

نعم.. لقد كان الأمويون يحاولون إظهار أنفسهم على أنهم هم دون غيرهم أهل بيت النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، وذوو قرباه.. وقد أثرت

(١) راجع: نهاية الإرب ج ٨ ص ١٦٨ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٣٣ والعقد الفريد ج ٤ ص ٢٥٨ وتاريخ الأمم والملوك للطبري (ط دار المعارف بمصر) ج ٣ ص ٢٢٠ والإمامة والسياسة (ط الحلبي بمصر) ج ١ ص ١٤ و ١٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٧ و ٨ و ٩ و ١١ والأدب في ظل التشيع ص ٢٤ نقلاً عن البيان والتبيين للجاحظ، والإمام الحسين للعلالي ص ١٨٦ و ١٩٠ والبحار ج ٢٨ ص ٣٣٥ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٥٧ والإمامة والسياسة لابن قتيبة (تحقيق الشيري) ج ١ ص ٢٤ والشافي للشريف المرتضى ج ٣ ص ١٨٧ وغيرهم.

٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

جهودهم في تضليل كثير من الناس حتى ليحلف للسفاح عشرة من قواد أهل الشام، وأصحاب الرياسة فيها: أنهم ما كانوا يعرفون إلى أن قُتل مروان أقرباء للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية^(١).

كما أن أروى بنت عبد المطلب تُذكَر معاوية بهذا الأمر، وتقول له: «ونبينا (صلى الله عليه وآله) هو المنصور، فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله الخ...»^(٢).

ويقول الكميت:

وقالوا: ورثناها، أبانا وأمنا ولا ورثتهم ذاك أم ولا أب وقال إبراهيم بن المهاجر، الذي كان يسير في الاتجاه العباسي:

أيها الناس اسمعوا أخبركم عجباً زاد على كل عجب
عجباً من عبد شمس إنهم فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله ما نعلمه يحرز الميراث إلا من قرب^(٣)

(١) النزاع والتخاصم للمقريزي ص ٢٨ ومروج الذهب ج ٣ ص ٣٣ والفتوح لابن أعمش ج ٨ ص ١٩٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ٧ ص ١٥٩ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٣ ص ١٥٩.

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٢٠ وراجع: الغدير ج ١٠ ص ١٦٧ والطوائف لابن طاووس ص ٢٨ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج ٢ ص ٢٤٩.

(٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٣٣ والنزاع والتخاصم ص ٢٨.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيناني في حديث المباهلة ٣٩

هذا كله.. رغم أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخرج بني عبد شمس من قرباه، حينما قسّم خمس بني النضير، أو خيبر، فاعترض عليه عثمان، وجبير بن مطعم، بأن: قرابة بني أمية وبني هاشم واحدة، فلم يقبل النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك منه. والقصة معروفة ومتواترة^(١).

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٩ و (ط دار المعرفة) ٤٧٦ و ٤٧٧ و مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٤١ عن أحمد، ونيل الأوطار ج ٨ ص ٢٢٨ عن أحمد، والبخاري، والنسائي، وابن ماجه، وأبي داود، والبرقاني. وسنن أبي داود ج ٣ ص ١٤٦ و ١٤٥ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٩٦١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٩٦ والإصابة ج ١ ص ٢٢٦ وبداية المجتهد ج ١ ص ٤٠٢ والخراج لأبي يوسف ص ٢١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٠٠ عن البخاري، ومسند أحمد ج ٤ ص ٨٥ و ٨٣ و ٨١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٨٤ وتشديد المطاعن ج ٢ ص ٨١٨ و ٨١٩ عن زاد المعاد، وسنن البيهقي - بأسانيد - ج ٦ ص ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ والدر المنثور ج ٣ ص ١٨٦ عن ابن أبي شيبة، والبحر الرائق ج ٥ ص ٩٨ وتبيين الحقائق ج ٣ ص ٢٥٧ ونصب الراية ج ٣ ص ٤٢٥ و ٤٢٦ عن كثيرين جداً، فليراجع. ومصابيح السنة ج ٢ ص ٧٠ ولبخاري (ط سنة ١٣١١ هـ) ج ٤ ص ١١١ و ج ٦ ص ١٧٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣١٢ وفتح القدير ج ٢ ص ٣١٠ وتفسير الخازن ج ٢ ص ١٨٥ والنسفي (بها مشه) ج ٢ ص ١٨٦ وتفسير جامع البيان للطبري ج ١٠ ص ٥ والكشاف ج ٢ ص ٢٢١ وسنن النسائي ج ٧ ص ١٣٠ و ١٣١ ومقدمة مرآة العقول ج ١ ص ١١٨ ونقل ذلك بعض المحققين عن المصادر التالية: الأموال لأبي عبيد ص ٤٦١ و ٤٦٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٧ ص ١٢ وفتح الباري ج ٧ ص ١٧٤ و ج ٦ ص ١٥٠ وتفسير المنارج ج ١٠ ص ٧ وترتيب مسند الشافعي ج ٢ ص ١٢٥ و ١٢٦ وإرشاد الساري ج ٥ ص ٢٠٢ والمحلى ج ٧ ص ٣٢٨.

٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

وبعد هذا.. فإن العباسيين قد اتبعوا نفس هذا الأسلوب أيضاً، فأظهروا أنفسهم على أنهم هم ذوو قريى النبي محمد «صلى الله عليه وآله»، بهدف إضفاء صفة الشرعية على حكمهم وسلطانهم، حتى لنجد الرشيد يأتي إلى قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن عم، فيتقدم الإمام الكاظم «عليه السلام» إلى القبر الشريف ويقول: السلام عليك يا أبة، فتغير وجه الرشيد، وتبين الغيظ فيه^(١).

هذا.. وقد ربط العباسيون دعوتهم وحبل وصايتهم في البداية بأمر المؤمنين «عليه السلام»، ونجحوا في الإستفادة من عواطف الناس تجاه ما تعرض له العلويون وأهل البيت «عليهم السلام» من ظلم، واضطهاد، وآلام، على يد أسلافهم الأمويين..

ولكنهم بعد ذلك رأوا: أنهم في مجال التمكين لأنفسهم لا يسعهم الإستمرار بربط دعوتهم بأمر المؤمنين علي عليه الصلاة والسلام، لوجود من هم أمس بعلي «عليه السلام» رحماً منهم، فاتجهوا نحو التلاعب ببعض

(١) كشف الغمة ج ٣ ص ٢٠ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٢٣٤ والفصول المختارة للشرif المرتضى ص ٣٦ وكنز الفوائد للكرجكي ص ١٦٦ والإحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ١٦٧ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٤٣٤ والبحار ج ٢٥ ص ٢٤٣ وج ٤٨ ص ١٣٦ وج ٩٣ ص ٢٣٩ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢ وتهذيب الكمال ج ٢٩ ص ٥٠ وسير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٧٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١٢ ص ٤١٨ وإعلام الوري للطبرسي ج ٢ ص ٢٨ والدر النظيم لابن حاتم العاملي ص ٦٥٤ وكشف الغمة للإربلي ج ٣ ص ٢٢.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيناني في حديث المباهلة ٤١

الركائز والمنطلقات الفكرية والعقائدية للناس، فأسس المهدي - والظاهر أن هذه هي فكرة أبيه المنصور من قبل - فرقة تدّعي: أن الإمام بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو العباس بن عبد المطلب، ثم ولده عبد الله، ثم ولده.. وهكذا.. إلى أن ينتهي الأمر إلى العباسيين.

ولكنهم أجازوا بيعة علي «عليه السلام»، لأن العباس نفسه كان قد أجازها.. وادّعوا: أن الإرث للعم دون البنت، ولذلك فإن حق الخلافة لا يصل إلى الحسن والحسين «عليهما السلام»، عن طريق فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

واهتموا في إظهار هذا الأمر وتثبيته كثيراً، حتى قال شاعرهم:

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثه الأعمام
فقال على هذا البيت مالا عظيماً.

وهذا موضوع واسع ومتشعب، وقد تحدثنا عنه وأوردنا له بعض الشواهد في كتابنا: «الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام»» ص ٧٨ - ٨١ فليراجع من أراد.

الخطة.. ومواجهتها:

ولكن هذا الخط السياسي، وإن حظي بكثير من الدعم والإصرار من قبل الحكام، وكل أعوانهم.. وقد جندوا كل طاقاتهم المعنوية والمادية من أجل تأكيده وتثبيته.. إلا أنه قد كان ثمة عقبة كؤود تواجههم، وتعرض سبيل نجاحهم في تشويه الحقيقة، وتزوير التاريخ، وهي وجود أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الذين يملكون أقوى الحجج، وأعظم

الدلائل والشواهد من القرآن، ومن الحديث المتواتر، ومن المواقف النبوية المتضافرة، التي يعرفها ورآها وسمعها عدد هائل من صحابة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وسمعها منهم التابعون، ثم من بعدهم..

وكان من جملة تلك الحجج الدامغة «آية المباهلة» بالذات.. وكم رأينا من مواقف للأمويين وللعباسيين على حد سواء يصرون فيها على نفي بنوة الحسين «عليهما السلام» له «صلى الله عليه وآله».. فكانت تواجه من قبل أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، والمنصفين من غيرهم بالاحتجاجات القوية والفاصلة.. الأمر الذي جعل «السحر ينقلب على الساحر»..

وسرعان ما أدركوا: أن أسلوب الحجاج والمنطق، من شأنه أن يظهر الحق الذي يجهدون في إخفائه، وتشويهه.. فكانوا يعملون على عزل الأئمة وشيعتهم عن الساحة، وإبعادهم عن الأنظار، عن طريق الإرهاب والإضطهاد والتنكيل، حتى إذا وجدوا أن ذلك لا يجدي، تصدوا لتصفيتهم جسدياً.. بالسّم تارة، وبالسيف أخرى..

أمثلة تاريخية هامة:

ونستطيع أن نذكر هنا بعض ما يتضمن محاولتهم نفي بنوة الحسين «عليهما السلام» له «صلى الله عليه وآله»، واحتجاجات الأئمة وغيرهم عليهم في ذلك.. وبعضه يتضمن الإستدلال بآية المباهلة.. وذلك في ضمن النقاط التالية:

١ - عن ذكوان، مولى معاوية، قال: «قال معاوية: لا أعلم أحداً

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيناني في حديث المباهلة ٤٣
سمى هذين الغلامين^(١) ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولكن قولوا:
ابني علي «عليه السلام».

قال ذكوان: فلما كان بعد ذلك، أمرني أن أكتب بنيه في الشرف.
قال: فكتبت بنيه وبني بنيه، وتركت بني بناته.. ثم أتيت بالكتاب، فنظر
فيه، فقال: ويحك، لقد أغفلت كُبر بني!
فقلت: من؟

فقال: أما بنو فلانة - لابنته - بني؟ أما بنو فلانة - لابنته - بني؟
قال: قلت: الله!! أ يكون بنو بناتك بنيك، ولا يكون بنو فاطمة بني
رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!
قال: ما لك؟ قاتلك الله! لا يسمعن هذا أحد منك؟!^(٢).

٢ - جاء عن الإمام الحسن «عليهما السلام» محتجاً على معاوية قوله:
«فأخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الأنفس معه أبي، ومن البنين
أنا وأخي، ومن النساء فاطمة أُمي، من الناس جميعاً، فنحن أهلُه، ولحمه
ودمه، ونفسه، ونحن منه وهو منا»^(٣).

٣ - قال الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾

-
- (١) الغلام: الكهل. والطار الشارب، فهو من الأضداد، راجع: أقرب الموارد ج ٢
ص ٤٨٤، والبحار ج ٣٣ ص ٢٥٨ وكشف الغمة للإربلي ج ٢ ص ١٧٢.
(٢) كشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ١٧٦ والبحار ج ٣٣ ص ٢٥٨.
(٣) ينابيع المودة ص ٤٧٩ عن الزرندي المدني، وص ٤٨٢ و ٥٢ وتفسير البرهان ج ٢
ص ٢٨٦ وأمال الطوسي ج ٢ ص ١٧٢ وفي (ط دار الثقافة قم) ص ٥٦٤
والبحار ج ١٠ ص ١٤١ وج ٦٩ ص ١٥٤ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٨٦.

٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩
وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ.. ﴿ إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَى﴾^(١) - بعد أن ذكر
دلالة الآية على بنوة الحسين «عليه السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله» -
قال -: «ويقال: إن أبا جعفر الباقر استدل بهذه الآية عند الحجاج بن
يوسف»^(٢).

٤ - إحتج أمير المؤمنين علي «عليه السلام» يوم الشورى على المجتمعين،
بأن الله، تعالى جعله نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، وجعل ابنه ابنه،
ونساءه نساءه»^(٣).

٥ - عن الشعبي، قال: كنت عند الحجاج، فأتي بيحيى بن يعمر، فقيه
خراسان، من بلخ، مكبلاً بالحديد فقال له الحجاج: أنت زعمت: أن
الحسن والحسين من ذرية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟
فقال: بلى.

فقال الحجاج: لتأتيني بها واضحة بيّنة من كتاب الله (!!!)، أو لأقطعنك
عضواً عضواً.

فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله يا حجاج.
قال: فتعجبت من جرأته بقوله: يا حجاج.

(١) الآيتان ٨٤ و ٨٥ من سورة الأنعام.

(٢) تفسير الرازي ج ١٣ ص ٦٦ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٤١ عنه.

(٣) ينابيع المودة ص ٢٦٦ عن الدارقطني، والصواعق المحرقة ص ١٥٤ وفضائل الخمسة
ج ١ ص ٢٥٠ وحياة أمير المؤمنين «عليه السلام» للسيد محمد صادق الصدر
ص ٢٠٥ عن الصواعق، والبحار ج ٣٥ ص ٢٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢
ص ٤٣٢ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٣٨٥ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٧٧.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيناني في حديث المباهلة ٤٥

فقال له: ولا تأتني بهذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾.

فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله، وهو قوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى﴾^(١). فمن كان أبو عيسى، وقد ألحق بذرية نوح؟!.

قال: فأطرق الحجاج ملياً، ثم رفع رأسه فقال: كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله حلّوا وثاقه الخ...^(٢).

وفي نور القبس: أن الحجاج طلب منه أن لا يعود لذكر ذلك، ونشره.

٦ - لسعيد بن جبير قصة مع الحجاج شبيهة بقصة يحيى بن يعمر، فلا نطيل بذكرها^(٣).

٧ - سأل هارون الرشيد الإمام الكاظم «عليه السلام»، فقال له: كيف قلت: إنا ذرية النبي، والنبي لم يعقب، وإنما العقب للذكر لا للأُنثى، وأنتم ولد البنت، ولا يكون له عقب؟

فسأله «عليه السلام» أن يعفيه، فلم يقبل، فاحتج «عليه السلام» بأن

(١) الآيتان ٨٤ و ٨٥ من سورة الأنعام.

(٢) تفسير الرازي ج ٢ ص ١٩٤ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٦٤ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨ عن ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم، والبيهقي، والغدير ج ٧ ص ١٢٣ عن تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ١٥٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٨٩، وراجع: العقد الفريد ج ٥ ص ٢٠ ونور القبس ص ٢١ و ٢٢ والكنى والألقاب ج ١ ص ١٢.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٨٩ و ٩٠ والبحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٢٩ والخصائص الفاطمية للكجوري ج ٢ ص ٥٥٨.

٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

القرآن قد اعتبر عيسى من ذرية إبراهيم في آية سورة الأنعام، مع أنه ينتسب إليه عن طريق الأم. ثم احتج عليه بآية المباهلة، حيث قال الله تعالى فيها: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾^(١).

٨ - إن عمرو بن العاص أرسل إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» يعييه بأشياء، منها: أنه يسمي حسناً وحسيناً ولَدَيَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله». فقال لرسوله: «قُلْ للشانيء ابن الشانيء: لو لم يكونا ولديه لكان أبتَر، كما زعم أبوك»^(٢).

٩ - قال الحسين صلوات الله وسلامه عليه في كربلاء: «اللهم إنا أهل بيت نبيك، وذريته وقرابته، فاقصم من ظلمنا، وغصبنا حقنا، إنك سميع قريب». فقال محمد بن الأشعث: أي قرابة بينك وبين محمد؟!.

فقال الحسين «عليه السلام»: «اللهم إن محمد بن الأشعث يقول: ليس بيني وبين محمد قرابة، اللهم أرني فيه في هذا اليوم ذلاً عاجلاً، فاستجاب الله دعاءه الخ...»^(٣).

(١) نور الأبصار ص ١٤٨ و ١٤٩ و عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٨٤ و ٨٥ تفسير نور الثقلين ج ١ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ و تفسير الميزان ج ٣ ص ٢٣٠ و تفسير البرهان ج ١ ص ٢٨٩ و ذخيرة المعاد (ط. ق) للسبزواري ج ١ ق ٣ ص ٤٨٧ و جواهر الكلام ج ١٦ ص ٩٥ و عيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج ٢ ص ٨٠ والإحتجاج ج ٢ ص ١٦٤ والبحار ج ٤٨ ص ١٢٨ و ج ٩٣ ص ٢٤٠.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٣٣٤.

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٤٩ ومقتل الحسين للمقرم ص ٢٧٨ عنه، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢١٥ والبحار ج ٤٥ ص ٣٠٢.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٤٧

١٠ - وقد أوضح الباقر «عليه السلام» لنا: أنه قد كانت سياسات الآخرين تقضي بنفي بنوة الحسين «عليهما السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»، فراجع ما قاله «عليه السلام» في ذلك^(١).

هذا ولهم «عليهم السلام» احتجاجات أخرى بآية المباهلة على خلافة أمير المؤمنين، وعلى أفضليته «عليه السلام»، وغير ذلك، لا مجال لذكرها هنا^(٢).

مفارقة:

وبعد أن اتضح: أن السياسة الأموية كانت تقضي بأن يستبعد اسم علي «عليه السلام» من جملة من باهل بهم النبي «صلى الله عليه وآله» ثم الإصرار على نفي بنوة الحسين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

فإننا نجدهم يصرون على خؤولة معاوية للمؤمنين، ويجعلون ذلك ذريعة للإنكار على من ذكر معاوية بسوء، ولكنهم إذا ذكر محمد بن أبي بكر

(١) راجع: تفسير القمي ج ١ ص ٢٠٩ والحدائق الناضرة للبحراني ج ١٢ ص ٣٩٨ وج ٢٢ ص ٢٤٤ وجواهر الكلام ج ١٦ ص ٩٣ والكافي ج ٨ ص ٣١٧ والبحار ج ٤٣ ص ٢٣٢ وج ٩٣ ص ٢٣٩ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٣٤٨ وتفسير الميزان ج ٧ ص ٢٦٣ والعدد القوية للحلي ص ٤٠.

(٢) لا بأس بمراجعة البحار ج ٣٥ ص ٢٥٧ وج ٤٩ ص ١٨٨ وتفسير الميزان ج ٢ ص ٢٣٠ و ٣٢٩ وتفسير البرهان ج ١ ص ٢٨٦ و ٢٨٧ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص ٣٨ وغير ذلك.

بسوء رضوا أو أمسكوا، ومالوا مع ذاكره، وخؤولته - حسب منطقهم - ظاهرة بائنة.

وقد نفرت قلوبهم من علي بن أبي طالب «عليه السلام»، لأنه حارب معاوية وقتله، وسكنت قلوبهم عند قتل عمار ومحمد بن أبي بكر، وله حرمة الخؤولة، وهو أفضل من معاوية، وأبوه خير من أبي معاوية، وما ذلك إلا خديعة أو جهالة، وإلا فلماذا لا يستنكرون قتل محمد بن أبي بكر ولا يذكرون خؤولته للمؤمنين؟!^(١).

من مواقف الإمام الحسن عليه السلام:

نعم.. ولم يقتصر الأئمة في تصديهم للمغرضين والحاquدين، والوقوف في وجه سياساتهم تلك بحزم وصلابة - على مواقف الحجاج هذه، بل تعدّوا ذلك إلى المناسبات الأخرى، واستمروا يعلنون بهذا الأمر على الملأ، ويؤكدون عليه في كثير من المناسبات والمواقف الحساسة، وكشفوا زيف تلك الدعاوى بشكل لا يدع مجالاً لأي شك أو ريب..

وقد صدع الإمام الحسن «عليه السلام» بهذا الأمر أيضاً في أكثر من مناسبة، وأكثر من موقف..

ولم يكن يكتفي بإظهار وإثبات بنوّته لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وحسب.. وإنما كان يهتم بالتأكيد على أن حق الإمامة والخلافة له وحده، ولا تصل النوبة إلى معاوية وأضرابه، لأن معاوية ليس فقط يفقد

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيناني في حديث المباهلة ٤٩

المواصفات الضرورية لهذا الأمر، وإنما هو يتصف بالصفات التي تنافىها وتنقضها بصورة أساسية.. وكمثال على كل ذلك نذكر:

- ١ - أنه «عليه السلام» يخطب فور وفاة أبيه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فيقول: «أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني، فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي»^(١).
- لاحظ كلمة: «الوصي» في هذه العبارة الأخيرة.
- وفي نص آخر أنه قال: «فأنا الحسن بن محمد (صلى الله عليه وآله)»^(٢).

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٧٢ وذخائر العقبى ص ١٣٨ عن الدولابي، وكشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ١٧٣ عن الجنازدي على ما يظهر، ومسائل علي بن جعفر ص ٣٢٩ وأمالى الصدوق ص ٢٤٤ وتحف العقول ص ٢٣٢ ومقاتل الطالبين ص ٣٣ وأمالى الطوسي ص ٢٧٠ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٧٨ وذخائر العقبى للطبري ص ١٣٨ و ١٤٠ والبحار ج ٢٥ ص ٢١٤ وج ٤٣ ص ٣٣١ و ٣٥٥ وج ٤٤ ص ٤١.

(٢) راجع: الفصول المهمة للملكي ص ١٤٦ وتفسير فرات ص ٧٠ و ٧٢ وكشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ١٥٩ ونبائع المودة ص ٢٢٥ و ٣٠٢ و ٢٧٠ و ٤٧٩ و ٤٨٢ عن أبي سعد في شرف النبوة، والطبراني في الكبير، والبزار، والزرندي المدني، وغيرهم، وإرشاد المفيد ص ٢٠٧ وفرائد السمطين ج ٢ ص ١٢٠ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٧٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٦ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٢٦ وذخائر العقبى ص ١٣٨ و ١٤٠ وعن الدولابي في الذرية الطاهرة، ونزهة المجالس ج ٢ ص ١٨٦ والمحاسن والمساوي ج ١ ص ١٣٢ و ١٣٣ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١١ و ١٢ والإحتجاج ج ١ ص ٤١٩ والبحار ج ٤٤ وأمالى الشيخ الطوسي ج ١ ص ١٢ وإعلام الورى ص ٢٠٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٦ ص ٣٠.

٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

وقال حينئذ أيضاً: «أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، أنا من أهل بيت افترض الله طاعتهم في كتابه الخ...».

ثم قام ابن عباس، فقال: «هذا ابن بنت نبيكم، ووصي إمامكم فبايعوه»^(١). وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» قال حينئذ أيضاً: «وعنده نحتسب عزاءنا في خير الآباء رسول الله الخ...»^(٢).

٢ - وفي مناسبة أخرى في الشام، طلب منه معاوية - بمشورة عمرو بن العاص - أن يصعد المنبر، ويخطب - رجاء أن يحصر - فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم أورد خطبة هامة، تضمنت ما تقدم، وسواه الشيء الكثير، قال الراوي: «ولم يزل به حتى أظلمت الدنيا على معاوية، وعرف الحسن من لم يكن عرفه من أهل الشام وغيرهم، ثم نزل. فقال له معاوية: أما إنك يا حسن قد كنت ترجو أن تكون خليفة، ولست هناك!

فقال الحسن «عليه السلام»: أما الخليفة فمن سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعمل بطاعة الله عز وجل. وليس الخليفة من سار بالجور، وعطل السنن، واتخذ الدنيا أمّاً وأباً، وعباد الله خولاً، وماله دولاً، ولكن ذلك أمر ملك أصاب ملكاً، فتمتع منه قليلاً، كأنّ قد انقطع عنه...»

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ٧١٧ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٨ والمستجد من الإرشاد (المجموعة) للحلي ص ١٤٥ والبحار ج ٤٣ ص ٣٦٢ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٠٧ وكشف الغمة للإربلي ج ٢ ص ١٥٦ و ١٦١.

(٢) البحار ج ٤٣ ص ٣٦٣ وكفاية الأثر للقمي ص ١٦١.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٥١
إلى آخر كلامه عليه السلام^(١).

ونفس هذه القضية تذكر له مع معاوية، حينما جرى الصلح بينهما في الكوفة^(٢).

وهذا يؤيد ما ذكره البعض: من أن معاوية قد دس السم إلى الإمام الحسن «عليه السلام»، لأنه كان يقدم عليه إلى الشام^(٣).

٣- وفي نص آخر: أن معاوية طلب من الإمام الحسن «عليه السلام»: أن يصعد على المنبر، ويخطب.. فصعد المنبر وخطب، وصار يقول: أنا ابن، أنا ابن.. إلى أن قال: «لو طلبتم ابناً لنبىكم ما بين لابتيها لم تجدوا غيري وغير أخي»^(٤). ومن أراد الرواية بطولها فليراجع المصادر.

٤- وفي نص آخر: أن معاوية طلب منه: أن يصعد المنبر وينتسب،

(١) الإحتجاج ج ١ ص ٤١٩ والخرائج والجرائح ص ٢١٨ ومقاتل الطالبين ص ٤٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٦ ص ٤٩ والكلام الأخير موجود أيضاً في مصادر أخرى فراجع الهامش التالي.

(٢) ذخائر العقبى ص ١٤٠ عن أبي سعد، وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٢٦ لكن فيه: أن ذلك كان بالمدينة، والبحار ج ٤٤ ص ١٢٢ والمحاسن والمساوي ج ١ ص ١٣٣ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٦ ص ٤٩ ومقاتل الطالبين ص ٧٣ والإمام الحسن لآل يس ص ١١٠-١١٤ وتحف العقول ص ١٦٤.

(٣) الغدير ج ١١ ص ٨ عن طبقات ابن سعد.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٢ عن العقد الفريد والمدائني والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٧٨ وليراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ١٢٦ والبحار ج ١٠ ص ١٤٣ وج ٤٣ ص ٣٥٥ و٣٥٦ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٧٢ والإحتجاج ج ١ ص ٤٢٠ وكتاب الولاية لابن عقدة ص ١٨٨.

فصعد، وصار يقول: بلدي مكة ومنى، وأنا ابن المروة والصفاء، وأنا ابن النبي المصطفى..

إلى أن قال: فأذن المؤذن، فقال: أشهد أن محمداً رسول الله، فالتفت إلى معاوية، فقال: أحمد أبي؟ أم أبوك؟! فإن قلت: ليس بأبي، كفرت، وإن قلت: نعم، فقد أقررت..

ثم قال: أصبحت العجم تعرف حق العرب بأن محمداً منها، يطلبون حقنا، ولا يردون إلينا حقنا^(١).

٥ - وفي مناسبة أخرى، طلب منه معاوية أن يخطب ويعظهم، فخطب وصار يقول: أنا ابن رسول الله، أنا ابن صاحب الفضائل، أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل، أنا ابن أمير المؤمنين، أنا المدفوع عن حقي.. إلى أن قال: أنا إمام خلق الله، وابن محمد رسول الله، فخشي معاوية أن يتكلم بما يفتن به الناس، فقال: إنزل، فقد كفى ما جرى، فنزل^(٢).

٦ - بل لقد رأينا معاوية يعترف له بهذا الأمر، فيقول له مرة في كلام له: «ولا سيما أنت يا أبا محمد، فإنك ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسيد شباب أهل الجنة»^(٣).

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج ٤ ص ١٢ وفي (ط مطبعة الحيدرية النجف) ج ٣ ص ١٧٨ والبحار ج ٤٣ ص ٣٥٦ وراجع ج ٤٤ ص ١٢١ و ١٢٢ وتحف العقول ص ٢٣٢ والخرايج والجرايح ص ٢١٧ و ٢١٨.

(٢) أمالي الصدوق ص ١٥٨ والخرائج والجرائح للراوندي ج ١ ص ٢٣٧ والبحار ج ٤٣ ص ٣٣٢ وج ٤٤ ص ٨٩.

(٣) المحاسن والمساوي ج ١ ص ١٢٢.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيناني في حديث المباهلة ٥٣

ويدخل في هذا المجال أيضاً: قول الإمام الحسن «عليه السلام» لأبي بكر، وقول الإمام الحسين «عليه السلام» لعمر: انزل عن منبر أبي، حسبما سيأتي، إن كان المقصود بأبي: هو النبي «صلى الله عليه وآله»، كما يظهر من اعترافهما لهما. وإن كان المقصود به أباهما أمير المؤمنين - كما احتمله بعض المحققين^(١) - فيدخل في مجال احتجاجاتهما «عليهما السلام» على أحقيتهما بالأمر، دون كل أحد سواهم.. ويكونان قد انتزعا منهما اعترافاً صريحاً وهاماً في هذا المجال.

والإمام الحسين عليه السلام أيضاً:

وبعد ذلك، فإننا نجد الإمام الحسين «عليه السلام» يخاطب الناس، ويقول: «أقررتكم بالطاعة، وآمنتكم بالرسول محمد «صلى الله عليه وآله»، ثم إنكم زحفتكم إلى ذريته وعترته، تريدون قتلهم..

إلى أن قال: ألسنت أنا ابن بنت نبيكم، وابن وصيه، وابن عمه^(٢)». ويقول في موضع آخر، حينما اشتد به الحال: «ونحن عتره نبيك، وولد نبيك، محمد «صلى الله عليه وآله»، الذي اصطفيته بالرسالة الخ..»^(٣).

(١) هو المحقق البهائي السيد مهدي الروحاني «رحمه الله».

(٢) مقتل الحسين للمقرم ص ٢٧٤ عن مقتل محمد بن أبي طالب الحائري والبحار ج ٤٥ ص ٦.

(٣) المصدر السابق عن الإقبال، ومصباح التهجد، وعنهما في مزار البحار ص ١٠٧ باب زيارته يوم ولادته، ومصباح التهجد للطوسي ص ٨٢٧ والمزار للمشهدي ص ٣٩٩ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٣ ص ٣٠٤ والبحار ج ٩٨ ص ٣٤٨.

ويقول في وصف جيش يزيد، في يوم عاشوراء: «فإنما أنتم طواغيت الأمة».

إلى أن قال: وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء^(١).

وقد اعترفوا له بذلك حينما ناشدهم، فقال: أنشدكم الله، هل تعرفوني؟

قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه^(٢).

الإمام السجاد ابن رسول الله ﷺ:

وللإمام السجاد «عليه السلام» موقف هام في الشام، حينما ألقى خطبته الرائعة، فقال: «أيها الناس، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفاء، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء..»

إلى أن قال: أنا ابن من حُجِّلَ على البراق، وبلغ به جبرئيل سدرة المنتهى...». إلى آخر الخطبة التي كان من نتيجتها: أن «ضجَّ الناس بالبكاء، وخشي يزيد الفتنة، فأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة».. ولكنه «عليه السلام» تابع خطبته، واحتجاجاته الدامغة على يزيد، وتفرق الناس، ولم ينتظم لهم صلاة في ذلك اليوم^(٣).

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٧ والبحار ج ٤٥ ص ٨ وراجع: مقتل الحسين للمقرم ص ٢٨٢ للإطلاع على مصادر أخرى.

(٢) أمالي الصدوق ص ١٤٠ واللهوف لابن طاووس ص ٥٢.

(٣) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج ٢ ص ٦٩ و ٧٠ ومقتل الحسين للمقرم ص ٤٤٢ و ٤٤٣ عنه، وعن نفس المهموم ص ٢٤٢.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيناني في حديث المباهلة ٥٥
خطبة زينب وسواها:

وبعد ذلك.. فإننا نجد العقيلة زينب تقف في وجه يزيد لتقول له:
«أمن العدل يا ابن الطلقاء، تخديرك حرائرك وإمائك، وسوقك بنات
رسول الله سبايا؟...».

وفيها: «واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرية رسول الله «صلى الله
عليه وآله...».

إلى أن قالت: «ولتردنَّ على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما تحملت
من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمة ولحمته»^(١).
وفي خطبة لها لأهل الكوفة: «الحمد لله، والصلاة على أبي محمد وآله
الطيبين الأخيار».

وفي نص آخر: «والصلاة عن أبي رسول الله»^(٢).
وتقول فاطمة بنت الحسين في خطبة لها في الكوفة أيضاً: «... وأنَّ محمداً
عبده ورسوله، وأنَّ أولاده ذبحوا بشط الفرات»^(٣).
وتتبع كلمات الأئمة وأبناءهم في هذا السياق يحتاج إلى جهد مستقل
ووقت طويل، وفيما ذكرناه كفاية لمن أراد الرشد والهداية.

-
- (١) بلاغات النساء (ط دار النهضة) ص ٣٥ و ٣٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ٢
ص ٦٤ و ٦٥ ومقتل الحسين للمقرم ص ٤٥٠ و ٤٥١ والبحار ج ٤٥ ص ١٣٤.
(٢) راجع: الأمالي للشيخ الطوسي ج ١ ص ٩٠ ومقتل الحسين للمقرم ص ٣٨٥ عنه
وعن أمالي ابنه، وعن اللهوف، وابن نيا، وابن شهر آشوب، والإحتجاج.
(٣) مقتل الحسين للمقرم ص ٣٩٠ والإحتجاج ج ٢ ص ٢٧ واللهوف لابن طاووس
ص ٨٨.

وبعد.. فإنَّ ذلك كله لم يكن منهم «عليهم السلام» إلا تأسيّاً بالنبي محمد «صلى الله عليه وآله»، الذي كان ينظر إلى الغيب من ستر رقيق، وقد ورد عنه الكثير مما يدل على إصراره «صلى الله عليه وآله» على تركيز قضية بنوة الحسين «عليهما السلام» له «صلى الله عليه وآله» في ضمير الأمة ووجدانها، بشكل لا يبقى معه أي مجال للشبهة، أو الشك والترديد..

وكنموذج على ذلك نشير إلى ما يلي:

- ١ - قال «صلى الله عليه وآله»: «هذان ابناي، من أحبهما فقد أحبني»^(١).
- وفي نص آخر: «هذان ابناي، وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما، وأحب من يحبهما»^(٢).

(١) ذخائر العقبى ص ١٢٤ وصفة الصفوة ج ١ ص ٧٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٢٠٦ وفي (ط دار الفكر) ج ١٣ ص ١٩٩ وكنز العمال (ط ٢) ج ٦ ص ٢٢١ والغدير ج ٧ ص ١٢٤ عن مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٦٦ ونقل عن الترمذي رقم (٣٧٧٢)، وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٥٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ٩٥ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٣٩ وتنبية الغافلين لابن كرامة ص ٤٢ وترجمة الإمام الحسن «عليه السلام» لابن عساكر ص ٥٩ وترجمة الإمام الحسين «عليه السلام» لابن عساكر ص ١٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٥٧.

(٢) ينابيع المودة ص ١٦٥ عن الترمذي، وتاريخ الخلفاء ص ١٨٩ والمعجم الصغير للطبراني ج ١ ص ٢٠٠ وخصائص الإمام علي للنسائي ص ١٢٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨٠ وراجع: مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٦٦ و ١٧١ وذخائر العقبى ص ١٢٤ وفي هامش الخصائص للنسائي عن كفاية الطالب ص ٢٠٠ وكنز العمال ج ٦ ص ٢٢٠ وعن الترمذي ج ٢ ص ٢٤٠ وغيرهم.

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٥٧
وفي رواية أخرى عن عائشة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يأخذ
حسناً، فيضمه إليه، ثم يقول: «اللهم إن هذا ابني، وأنا أحبه، فأحبيه،
وأحب من يحبه»^(١).

٢ - إنه «صلى الله عليه وآله» بمجرد ولادة أحدهما: الحسن والحسين
«عليهما السلام»، يقول لأسماء: هلمي ابني، كما تقدم.
٣ - ويقول: إن ابني هذا سيد^(٢).

٤ - إنه «صلى الله عليه وآله» يجلس في المسجد، ويقول: ادعوا لي ابني،
قال: فأتى الحسن يشتد..

إلى أن قال: وجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفتح فمه في فمه،
ويقول: «اللهم إني أحبه، فأحبه، وأحب من يحبه، ثلاث مرات»^(٣).
٥ - وعنه «صلى الله عليه وآله» إنه قال: كل ابن آدم ينتسبون إلى عصبه
أبيهم، إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم، وأنا عصبتهم»^(٤).

(١) كنز العمال ج ١٦ ص ٢٦٢ (ط ٢) وفي (ط مؤسسة الرسالة) ج ١٣ ص ٦٥٢
ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٦ وترجمة الإمام الحسن بن علي «عليهما السلام» لابن
عساكر (بتحقيق المحمودي) ص ٥٦ وفي هامشه عن المعجم الكبير للطبراني (ط
١) ج ١ ص ٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٣ ص ١٩٧.

(٢) مصادر ذلك كثيرة، لا يكاد يخلو منها كتاب، ولذا فلا حاجة لتعدادها.

(٣) ذخائر العقبى ص ١٢٢ عن الحافظ السلفي ونظم درر السمطين ص ١٩٨.

(٤) الصواعق المحرقة ص ١٥٤ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٦٤ وتاريخ بغداد ج ١١
ص ٢٨٥ وينابيع المودة ص ٢٦١ وفرائد السمطين ج ٢ ص ٦٩ ومقتل الحسين
للخوارزمي ج ١ ص ٦٨ وإحقاق الحق ج ٩ ص ٦٤٤ - ٦٥٥ عن مصادر كثيرة، =

٥٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

ومن أراد المزيد من النصوص الدالة على بنوة الحسين «عليهما السلام»
لرسول الله «صلى الله عليه وآله» فليراجع المصادر المذكورة في الهامش^(١).

= وذخائر العقبى ص ١٢١ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٣ ص ١٤٩ وعن
كنز العمال ج ٦ ص ٢١٦ و ٢١٥ وعن مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٢ .
(١) الغدير ج ٧ ص ١٢٤ - ١٢٩ وراجع: ينابيع المودة ص ٢٥٩ و ١٣٨ و ١٤٦ و ٢١٤
و ١٨٣ و ١٨٢ و ٢٥٥ و ١٣٦ و ٢٢١ و ٢٥٨ و ٢٢٢ و ٣٣١ و ٢٥٠ وإسعاف
الراغبين ص ١٣٢ و ١٣٣ وكفاية الطالب ص ٢٣٥ و ٢٣٧ والفصول المهمة
لابن الصباغ ص ١٥٨ و ١٥٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٢٦ وتاريخ مدينة
دمشق لابن عساكر ج ٤ ص ١٥٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ .

الباب التاسع

... إلى حجة الوداع

غزوة تبوك في القرآن الكريم
الفصل الأول: الإعداد والاستعداد
الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة
الفصل الثالث: النفي العام
الفصل الرابع: المتخلفون والمعدرون والبكاؤون واللاحقون
الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك
الفصل السادس: هكذا يكيدون علياً عليه السلام
الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك
الفصل الثامن: جيش الإسلام في تبوك
الفصل التاسع: رسائل وأجوبتها
الفصل العاشر: في طريق العودة
الفصل الحادي عشر: أصح الروايات عن تبوك.. أو زبدة المخض
الفصل الثاني عشر: النبي ﷺ في المدينة بعد تبوك

٢٠٠٠

[Signature]

1. General

1. The first step is to identify the problem. This involves understanding the situation and the goals that need to be achieved.

$\frac{d}{dt} \left(\frac{\partial L}{\partial \dot{x}} \right) = \frac{\partial L}{\partial x}$

غزوة تبوك في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَفَا

الباب التاسع: غزوة تبوك... في القرآن الكريم..... ٦٣

وقال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ مُجَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُتُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ وَلَا تَصَلَّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ

(١) الآيات ٦٢ - ٦٦ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٧٤ من سورة التوبة.

وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ
وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ
مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ لَكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَائِرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ
الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا
يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا
أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْتُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ إِنَّمَا
السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ
وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ
لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ
رَجِسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ
فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا
وِنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ
السَّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ

الباب التاسع: غرة تبوك.. في القرآن الكريم ٦٥
 مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(٢)﴾.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(٣)﴾.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٤)﴾.

(١) الآيات ٨١-٩٩ من سورة التوبة.

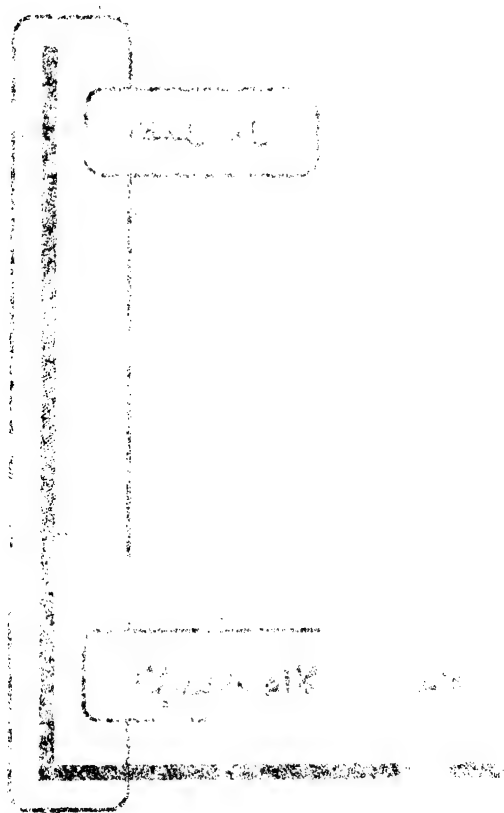
(٢) الآيتان ١٠١ و ١٠٢ من سورة التوبة.

(٣) الآيتان ١١٧ و ١١٨ من سورة التوبة.

(٤) الآيتان ١٢٠ و ١٢١ من سورة التوبة.

الفصل الأول:

الإعداد والإستعداد



1944

1944

تبوك علم لا ينصرف:

تبوك اسم موضع، ولفظه لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل، وقيل للعلمية والتأنيث، فإن أريد صرفها، فيراد منها «الموضع» - كقول كعب بن مالك كما في بعض الروايات -: «فلم يذكرني حتى بلغ تبوكاً»^(١).
تبوك هي أقصى موضع بلغه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزواته.. وهي في طرف الشام من جهة القبلة، وبينها وبين المدينة المشرفة اثنتا عشرة مرحلة^(٢). وقيل: أربع عشرة^(٣).
قال في النور: وقد سرناها مع الحجيج في اثنتي عشرة مرحلة، وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة^(٤).

-
- (١) مسند أحمد ج ٦ ص ٣٨٧، وشرح مسلم للنووي ج ١٧ ص ٨٩، والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٠٠، وصحيح ابن حبان ج ٨ ص ١٥٧.
 - (٢) معجم البلدان ج ٢ ص ١٥ وكتاب العين ج ٥ ص ٣٤٢.
 - (٣) فتح الباري ج ٨ ص ٨٤ وعمدة القاري ج ٩ ص ٦٥ وج ١٨ ص ٤٥ وتحفة الأحوذى ج ٥ ص ٣١٠ ج ٨ ص ٤٠٢ وعون المعبود ج ١ ص ١٧٤.
 - (٤) سبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٧٩، وراجع: فتح الباري ج ٨ ص ٨٥ وعمدة القاري ج ٩ ص ٦٥ وج ١٨ ص ٤٥.

٧٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

وهذا الإختلاف لا يضر ولا نرى كثير فائدة في تحقيقه، فإن هذا الموضوع معروف اليوم.

سبب تسمية الغزوة بتبوك:

قال في الروض تبعاً لابن قتيبة: سميت الغزوة بعين تبوك، وهي العين التي أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ألا يمسا من مائها شيئاً، فسبق إليها رجلان، وهي تبض بشيء من ماء، فجعلوا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها، فسبهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال لهما: ما زلتما تبوكاها منذ اليوم، فلذلك سميت العين تبوك.

والبوك: كالنقش والحفر في الشيء، ويقال: منه باك الحمار الأتان يبوكةا إذا نزا عليها^(١).

ونقول: إن لنا مع هذا النص وقفات:

الأولى: فسبهما رسول الله ﷺ:

زعم هذا النص: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سب ذينك الرجلين اللذين حاولا إثارة ماء العين بسهميهما..

وهذا كلام باطل لما يلي:

أولاً: إن هذين الرجلين لم يقصدا الخلاف على رسول الله «صلى الله

(١) سبيل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٤٧٩ وراجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٥٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٦٥. وراجع: معجم البلدان ج ٢ ص ١٥، وعمدة القاري ج ١٨ ص ٤٤، وفتح الباري ج ٨ ص ٨٤.

عليه وآله» وإنما وجدها تبض بماء قليل، فأرادا إثارتها، ليزداد مأوها لينتفع به المسلمون.. وهذا معناه: أن نيتها كانت صالحة، فلم يفعلوا ما يستحقان به السبّ بحسب ظاهر الأمر..

ومع غض النظر عن ذلك، فقد كان اللازم هو الرفق بهما، والاستعلام عن نيتها، ثم تكون العقوبة، أو يكون العفو، وهو الأمثل والأجمل برسول الله «صلى الله عليه وآله»، المأمور بالعفو عن الناس..

ثانياً: لو سلمنا أنها قصدا للخلاف عليه، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يزل ينهى عن سب الناس، والتفوه بالألفاظ الفاحشة، فقد روي أن عائشة قالت له معترضة عليه: قلت لفلان: بش أخو العشيرة، فلما دخل ألتت له القول؟

فقال: «يا عائشة، إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش»^(١).

وقال لها: «..إن الفحش لو كان مثلاً لكان مثال سوء»^(٢).

(١) المجموع للنووي ج ١٨ ص ١٧٩ والمغني لابن قدامة ج ٩ ص ١٧٣ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٩ ص ١٥٧ والكرم والجود للبرجلاني ص ٣٩ وكتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا ص ١٨٤ وكثر العمال ج ٣ ص ٥٩٧ وفيض القدير ج ٢ ص ٣٤٤ والجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٢٩٢ ومستند الشيعة للنراقي ج ١٤ ص ١٦٦ والكافي للكليني ج ٢ ص ٣٢٦ وشرح أصول الكافي ج ١ ص ٢٦٧ وج ٩ ص ٣٦٥ ومستدرك الوسائل ج ٩ ص ٣٦.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٦٤٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٢ ص ٧٨ وج ١٦ ص ٣٢ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٤٥٣ وج ١١ ص ٣٢٧ والبحار ج ١٦ ص ٢٥٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٤٣٢ وج ١٥ ص ٦٠٨ والحدائق =

وقال «صلى الله عليه وآله»: «لو كان الفحش خلقاً لكان شر خلق الله»^(١).

وقال: «إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام»^(٢).

وروي عنه «صلى الله عليه وآله» قوله: «ألا أخبركم بأبعدكم مني شُبهاً؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «الفاحش المتفحش البذيء»^(٣).

= الناضرة ج ٩ ص ٧١ ومفتاح الكرامة ج ٨ ص ١٢٨ وجواهر الكلام ج ١١

ص ١١٤ ومصباح الفقيه (ط.ق) ج ٢ ق ٢ ص ٤٢٢ وشرح أصول الكافي ج ٩

ص ٣٦٣ وج ١١ ص ١١٨ والبحار ج ١٦ ص ٢٥٨ وج ١٠٨ ص ٢٢٥.

(١) كنز العمال ج ٣ ص ٥٩٩ وميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٣٧٧ وكتاب الصمت وآداب

اللسان لابن أبي الدنيا ص ٢٩٣ والجامع الصغير ج ٢ ص ٤٣٤ وفيض القدير

ج ٥ ص ٤١٢ وكشف الخفاء ج ٢ ص ١٦١.

(٢) مسند أحمد ج ٥ ص ٨٩ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٦

ص ٨٨ وكتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا ص ١٨٤ ومسند أبي يعلى

ج ١٣ ص ٤٥٨ والمعجم الكبير ج ٢ ص ٢٥٦ والجامع الصغير ج ١ ص ٣١٩

وكنز العمال ج ٣ ص ٥٩٨ والتاريخ الكبير ج ٦ ص ٢٩١ وجامع السعادات ج ١

ص ٢٧٧ وعيون الحكم للواسطي ص ٢٧ وجامع أحاديث الشيعة

ج ١٣ ص ٤٣٢ وميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٣٧٦.

(٣) الكافي ج ٢ ص ٢٩١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٣٤١ و (ط دار

الإسلامية) ج ١١ ص ٣٧٠ والبحار ج ٦٩ ص ١٠٩ وجامع أحاديث الشيعة

ج ١٣ ص ٣٩٧ و ٥٤٤ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ

هادي النجفي ج ٣ ص ٢٩٧ وج ٤ ص ١٦٣ وج ٨ ص ٣٢٥ وج ٩ ص ١٢٩

وميزان الحكمة ج ١ ص ٦٤٨ و ٨٠٧ وج ٣ ص ٢٣٧٦.

وقال: «يا عائشة، لا تكوني فاحشة»^(١).

وأما بالنسبة لسباب المسلم، فقد روي عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «سباب المسلم فسق»^(٢).

وقال «صلى الله عليه وآله»: «سباب المسلم فسق وقتاله كفر»^(٣).

(١) الدر المختار للحصكفي ج ٤ ص ٤٠٠ ورياض السالكين للسيد علي خان ج ٣ ص ٣٦٨ ومسند أحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٢٩ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٥ وتحفة الأحوذى ج ٦ ص ٩٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ٨٩ وكتر العمال ج ٣ ص ٥٩٧ والجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٢٩٣ وتفسير الألوسي ج ٥ ص ١٠٠ والقاموس المحيط ج ٢ ص ٢٨٢ وتاج العروس ج ٩ ص ١٥٧.

(٢) حديث مروي عن النبي «صلى الله عليه وآله» أخرجه: البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، والبيهقي، والطبري، والدارقطني، والخطيب، وغيرهم من طريق: ابن مسعود، وأبي هريرة، وسعد بن أبي وقاص، وجابر، وعبد الله بن مغفل، وعمرو بن النعمان. راجع: الغدير ج ١٠ ص ٢٦٧ والفتح الكبير للنبهاني ج ٢ ص ١٥٠ و ١٥١ وراجع: جامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ٤٣٧.

(٣) راجع: الغدير ج ١٠ ص ٢٧٢ والفتح الكبير ج ٢ ص ١٥٠ و ١٥١ وأسنى المطالب للحوث ص ١٦٨ ح ٧٤٦ والجامع الصغير ح ٤٦٣٤ وصحيح الجامع الصغير ح ٣٥٨٠ والتميز بين الخبيث والطيب ح ٧٠٢ وتاريخ بغداد ج ٥ ص ١٤٤ وج ١٠ ص ٨٦ وج ١٣ ص ١٨٥ وصحيح البخاري ج ٧ ص ٧٦٩ ك الأدب، و (ط دار الفكر) ج ١ ص ١٧ وج ٧ ص ٨٤ وج ٨ ص ٩١، وحلية الأولياء ج ٥ ص ٢٣ و ٢٤ وج ٦ ص ٢٠٤ و ٣٤٣ وج ٨ ص ١٢٣ و ٣٥٩ وج ١٠ ص ٢١٥. وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ٣٨٥ و ٤١١ و ٤٥٤ وصحيح مسلم ج ١ ص ٥٨ وسنن ابن ماجه =

فما معنى أن ينسب إليه أنه قد بادر إلى سب ذينك الرجلين؟!
 ثالثاً: لعل المقصود بنهيه عن مساس ذلك الماء بشيء هو عدم الأخذ منه،
 تماماً كما جرى في قضية، قول طالوت لعسكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾^(١).
 ولا أقل من أن ذلك قد يكون مما احتمله أو ظنه الرجلان المشار إليهما،

= ج ١ ص ٢٧ وج ٢ ص ١٢٩٩ و ١٣٠٠ وسنن الترمذي ج ٣ ص ٢٣٨ وج ٤ ص ١٣٢ وسنن النسائي ج ٧ ص ١٢١ و ١٢٢ والسنن الكبرى لليهيقي ج ٨ ص ٢٠ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ١٧٢ وج ٧ ص ٣٠٠ وج ٨ ص ٧٣ وفتح الباري ج ١١ ص ٤٤٨ وج ١٣ ص ٢٢ وعمدة القاري ج ١ ص ٢٧٧ و ٢٧٩ وج ٩ ص ١٩٠ وج ٢٢ ص ١٢٣ وج ٢٤ ص ١٨٨ ومسنند الحميدي ج ١ ص ٥٨ ومسنند ابن راهويه ج ١ ص ٣٧٩ والأدب المفرد للبخاري ص ٩٧ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٤ ومسنند أبي يعلى ج ٨ ص ٤٠٨ وصحيح ابن حبان ج ١٣ ص ٢٦٦ والمعجم الأوسط ج ١ ص ٢٢٣ وج ٤ ص ٤٤ وج ٦ ص ٣٧ والمعجم الكبير ج ١ ص ١٤٥ وج ١٠ ص ١٠٥ و ١٥٧ و ١٥٩ و ١٧٨ وج ١٧ ص ٣٩ وكتاب الدعاء للطبراني ص ٥٦٦ و ٥٦٧ ومسنند الشاميين ج ٣ ص ٣٠٩ والتمهيد لابن عبد البر ج ٤ ص ٢٣٦ و ٢٣٧ وج ١٧ ص ١٥ والأذكار النووية ص ٣٦٥ وتغليق التعليق ج ٥ ص ٩٤ والجامع الصغير ج ٢ ص ٤٠ و ٤١ وكشف الخفاء ج ١ ص ٤٤٧ جامع البيان ج ٢ ص ٣٧٦ ونيل الأوطار للشوكاني ج ١ ص ٣٧٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٢ ص ٢٨١ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٥٩٨ ومستدرك الوسائل ج ١٨ ص ٢١٥ وأمل الطوسي ص ٥٣٧ والبحار ج ٧٤ ص ٨٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٦ ص ٣٢٤ وج ٢٣ ص ١٤٥ وج ٢٦ ص ١٠٤.

فما معنى سبها قبل التأكد من الأمر؟!

رابعاً: إن كلمة: «فسبها» من الراوي كما لا يخفى، في حال أنا لا نرى في قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «ما زلتما تبوكانها منذ اليوم» أي سباب، بعدما تقدم من أن البوك هو النقش والحفر!!
إلا إذا كان المراد: أنه «صلى الله عليه وآله» قد سبها بكلام آخر غير هذه الكلمة..

الثانية: تسمية العين تبوك:

ولا مجال أيضاً لقبول ما زعمته تلك الرواية: من أن تسميتها بتبوك بسبب قول النبي «صلى الله عليه وآله» لذينك الرجلين: ما زلتما تبوكانها.. لأن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه قد أطلق اسم تبوك على تلك البقعة قبل أن يصل إلى تبوك بيوم، حيث رووا: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لأصحابه: «إنكم ستأتون غداً - إن شاء الله - عين تبوك»^(١).
فهذا الاسم كان ثابتاً للموضع، ومتداولاً قبل وصول النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين، ومنهم ذانك الرجلان إليه، فما معنى قولهم: أن تسميتها بتبوك متفرع على اعتراض «صلى الله عليه وآله» على الرجلين.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٠، والموطأ للمالك ج ١ ص ١٤٣، ومسند أحمد ج ٥ ص ٢٣٨، وصحيح مسلم ج ٧ ص ٦٠، وفتح الباري ج ٨ ص ٨٤ و ٨٥، وعمدة القاري ج ١٨ ص ٤٤، وصحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ٨٢، وصحيح ابن حبان ج ٤ ص ٤٦٩ وج ١٤ ص ٤٧٥، والإستذكار لابن عبد البر ج ٢ ص ٢٠٤، والمعجم الكبير ج ٢٠ ص ٥٧ والتمهيد لابن عبد البر ج ١٢ ص ١٩٣، وغيرهم.

تاريخ غزوة تبوك وهي آخر مغازيه:

وقد صرحوا: بأن تبوك آخر مغازيه «صلى الله عليه وآله»، وهي المعروفة بغزوة العسرة، وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها كما سيأتي إن شاء الله تعالى..

وقد وقع في الصحيح - يعني صحيح البخاري - ذكرها بعد حجة الوداع.

قال الحافظ: وهو خطأ، ولا خلاف أنها قبلها، ولا أظن ذلك إلا من النساخ، فإن غزوة تبوك كانت في رجب سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف.

وعند ابن عائد من حديث ابن عباس: أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر.

وليس هذا مخالفاً لقول من قال إنها في رجب إذا حذفنا الكسور، لأنه «صلى الله عليه وآله» قد دخل المدينة بعد رجوعه إلى الطائف في ذي الحجة^(١).

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٦٦ عن أحمد، وابن عتبة، وفتح الباري ج ١ ص ٣٦٩ وج ٨ ص ٢٣٨، وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٥٩، وفيض القدير ج ١ ص ٧٢٣، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٨٠، وأضواء البيان للشنقيطي ج ١ ص ٣٣٦ و٣٣٩، والإحكام لابن حزم ج ٧ ص ٩٨٢، والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ١ ص ١٦٣، وغيرهم.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٩ والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٤ ص ٦٦. وراجع: فتح الباري ج ٨ ص ٨٤.

إما تبوك، وإما الهلاك:

في حديث عمران بن حُصين: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يجلس كل يوم على المنبر فيقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تُعبد في الأرض. فلم يكن للناس قوة»^(١).

ونحن نعلم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال هذه الكلمة في بدر، وهو ساجد.. وقد ذكرنا أن حرب بدر كانت مصيرية بالنسبة إلى الإسلام، والمسلمين، فقوله «صلى الله عليه وآله» هذه الكلمة في تبوك يفيد:

أولاً: أن ثمة خطراً حقيقياً يهدد عصابة أهل الإيمان كلها. وكان ذلك في بدر ظاهراً للعيان، فإن قريشاً إذا انتصرت، فسوف لا تبقي على أحد تنوهم فيه أنه سيكون ميّالاً إلى القيام بأي نشاط في الدعوة إلى عبادة الله سبحانه.. وسوف تدخل المدينة لتلتقي مع المشركين واليهود، وسيكونون فرحين جداً بها، وسيتعاونون معها لاستئصال البقية الباقية من المسلمين في المدينة أيضاً، وذلك سيكون أغلى أمانيتهم، وأعظم إنجازاتهم بنظرهم..

ثانياً: إنه لا ريب في أن هلاك تلك العصابة سينتج أن لا يعبد الله تعالى على الأرض.. وهذا يساوق نحو معالم الدين، وإزالة كل أثر له من العقول، والنفوس..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٤ عن الطبراني. وقال في الهامش: أخرجه مسلم ج ٣ ص ١٣٨٣ وأحمد ج ١ ص ٣٢. وراجع: مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٩١، والمعجم الكبير ج ١٨ ص ٢٣٢، وكنز العمال ج ١٣ ص ٣٧، وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٦٣.

ثالثاً: إنما كان «صلى الله عليه وآله» يقول ذلك على المنبر، لأنه يريد أن يعرف الناس خطورة تلكهم عن ذلك المسير حيث يثير ذلك شهية العدو الخارجي لانتهاز فرصة العمر بزعمه، وليبطل كيد المنافقين الذين كانوا يتآمرون على تضييع جهد النبي «صلى الله عليه وآله» في حشد الناس للجهاد والدفاع..

ولعل هناك من يتوهم أن الكثرة سوف تغني عنهم من الله شيئاً، فأهمّلوا، وتقايسوا، واتكلوا عليها، ولم يلتفتوا إلى أن كثرة المنافقين والساعين في عرقلة الأمور، والمدبرين للمكائد والمصايد والساعين للإخلال بالأمن الداخلي بعد مسير الجيش باتجاه تبوك، فإن ذلك كله سوف يطمع جيش الروم، ويدفعه لاغتنام الفرصة لإنزال أقصى ضرباته بجيش الإسلام..

رابعاً: إن هذا الذي ذكرناه يبين أن كلمة: فلم يكن للناس قوة، قد جاءت في غير محلها، وأنها مجرد أسلوب تضليلي عن حقيقة معاناة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع قومه..

لماذا كانت غزوة تبوك؟!

وقد اختلفت المزايم والاجتهادات في بيان أسباب غزوة تبوك، ونذكر هنا بعض ترهاتهم وأباطيلهم في هذا المجال، مع الإشارة إلى بعض وجوه الخلل فيه، وذلك على النحو التالي:

١- النبي ﷺ ليس ألعبوبة بيد اليهود:

وروا عن عبد الرحمن بن غنم: أن اليهود أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوماً، فقالوا: يا أبا القاسم، إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق

بالشام، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء.

فصدّق ما قالوا، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾^(١)، فأمره الله تعالى بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك ومماتك ومنها تبعث.

فرجع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمره جبريل فقال: اسأل ربك عز وجل، فإن لكل نبي مسألة، وكان جبريل له ناصحاً، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» له مطيعاً.

قال: «فما تأمرني أن أسأل؟!».

قال: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾^(٢)، فهذه الآيات أنزلت عليه مرجعه من تبوك^(٣).

(١) الآيتان ٧٦ و ٧٧ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٨٠ من سورة الإسراء.

(٣) سبل الهدى الرشاد ج ٥ ص ٤٣٣ و ٤٦٢ عن البيهقي بإسناد حسن، وابن أبي حاتم، وأبي سعد النيسابوري، وفي هامشه عن: دلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢٥٤ والدر المنثور ج ٤ ص ١٩٥ عن ابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر. وراجع: عمدة القاري ج ١٨ ص ٤٥، وتفسير الثعلبي ج ٦ ص ١١٩، وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص ١٩٧، وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٧، وفتح الباري ج ٨ ص ٨٥، والدر المنثور ج ٤ ص ١٩٥، ولباب النقول ص ١٣٩، وفتح القدير ج ٣ ص ٢٤٩.

ونقول:

إننا لا نرتاب في عدم صحة هذه الرواية أيضاً لما يلي:

أولاً: إنه بغض النظر عما نراه، فإن نفس هؤلاء يزعمون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: إن بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر، فإن كان «صلى الله عليه وآله» لم يأت بقوله هذا عن الله تعالى، فما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾؟! (١)، وإن كان ينطق عن الله، فما معنى تصديقه اليهود في أمر قد أوحى الله إليه خلافه؟!

واحتمال أن يراد بالشام ما يشمل فلسطين بما فيها بيت المقدس لا مجال لقبوله، فإن رواية ابن عُثْمَ المتقدمة قد أكدت أن غزو النبي «صلى الله عليه وآله» لتبوك قد كان لأجل الوصول إلى الشام، وإنما يقصد بها البلد المعروف.. لا ما يعم بيت المقدس.. فيقع التعارض بينها وبين ما دل على أن بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر..

ثانياً: لماذا لم يعترض الناس على اليهود في زعمهم، ولماذا لم يسألوا النبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب تصديقه اليهود في خبر يخالف ما جاءه عن الله تبارك وتعالى بل أطاع الناس كلهم، ونفروا معه وتكبدوا المشاق والمتاعب، وكانوا يبحثون عن سبب - ولو كان مثل الطحلب - ليتشبها به للإمتناع عن ذلك المسير؟!

إلا إذا فرض: أن أحداً ممن سمع من النبي «صلى الله عليه وآله» ما أخبر به عن بيت المقدس لم يكن حاضراً حين جاء اليهود إلى النبي «صلى الله

الفصل الأول: الإعداد والاستعداد ٨١
عليه وآله»، وطلبوا منه ذلك..

ويجاب عن هذا أيضاً بأن من الواضح: أن طلب اليهود هذا لا بد أن ينتشر وأن يتداوله الناس، وسوف يحاولون تحليله وتأويله كل بحسب ما لديه.

ثالثاً: حتى لو كانت الشام هي أرض المحشر والمنشر فلماذا يجب عليه «صلى الله عليه وآله» أن يلحق بها؟! وهل أرض المحشر والمنشر أفضل من مكة والمدينة؟ وما سواهما مما أخبر الله تعالى بفضله؟!..

رابعاً: هل صحيح أن أنبياء الله تعالى كانوا بالشام، أم أنهم كانوا منتشرين في لبنان والشام وفي فلسطين وفي الحجاز وغيره؟!

خامساً: لماذا تأخر إعلام الله تعالى لرسوله بالحقيقة حتى بلغ تبوك، فأمره حينئذٍ بالرجوع إلى المدينة، مع أن الطبيعي هو: أن يعلمه تعالى بالأمر فور إعلام اليهود إياه بما يخالف الحقيقة؟! ولماذا أفسح المجال لشماتتهم، بالرسول وبالمسلمين، وأتعب قلب النبي «صلى الله عليه وآله» وكلف المسلمين هذه النفقات الباهظة في أيام يزعمون أن المسلمين فيها يعانون من العسرة والحاجة والجهد، ولا يجدون ما ينفقون؟!..

سادساً: إن قول الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»: إنه يحيا ويموت ويبعث في المدينة^(١)، يدل أيضاً على عدم صحة ما زعموه من أن بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر.

سابعاً: إن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ

(١) راجع: تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ١ ص ١٧٩

وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٦٢.

٨٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩
مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا
نَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا^(١) رغم أنه في سورة مكية، لا ينطبق على قصة اليهود
المزعومة، لأن الآية قد صرحت بما يلي:

١ - إنهم كادوا أن يستفزه من أرضه. أي كادوا أن يصلوا إلى هذا
الأمر، ولكنهم لم يصلوا إليه فعلاً، مع أن الرواية المتقدمة تدعي: أنهم قد
استفزه بالفعل، ونفر مع جيش قوامه ثلاثون ألفاً، وسار حتى بلغ تبوك.
إلا إن كان المراد بالإستفزاز: الإخراج من الأرض إلى أرض أخرى،
والبقاء فيها..

٢ - إن الآية تقول: إن عقوبة أو عاقبة هذا الإستفزاز هي: أن لا يلبث
اليهود خلافاً إلا قليلاً. مع أن أمر اليهود كان قد حسم قبل ذلك بزمان،
من الناحية العسكرية أو السياسية في المنطقة، وإن كان المقصود هو هلاكهم
واستئصالهم، فإننا لم نجد أن شيئاً من ذلك قد حصل لليهود بعد
استفزازهم إياه من الأرض، رغم أنه قد بلغ تبوك. وهذا يدل على أن الآية
لا تعنيهم، بل تعني مشركي مكة كما سنرى.

إلا إن كان المراد بالإستفزاز إلى أرض أخرى والبقاء فيها، فهذا لم
يتحقق، فلم يصبهم عذاب الإستئصال، الذي علق على هذا الإستفزاز..

ثامناً: عن قتادة، وابن عباس، وسعيد بن جبیر: أن مشركي مكة هم
الذين حاولوا أن يستفزوا النبي «صلى الله عليه وآله» ليلتحق بالشام^(٢)، ربما

(١) الآيتان ٧٦ و ٧٧ من سورة الإسراء.

(٢) الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٥ عن عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي =

ليواجه الروم، الذين يظنون أنهم سيكونون أقدر على حسم أمره منهم، ولا سيما مع سعة سلطانهم، وكثرة عساكرهم، مع عدم وجود أية إحراجات قبائلية تمنع من الإمعان في مواجهته، واتخاذ أي إجراء يروق لهم ضده.

تاسعاً: زعمت تلك الرواية: أن قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾^(١). قد نزلت عليه مرجعه من تبوك. ونقول:

إنه رغم أن هذه الآية كآية الإستفزاز من الأرض مكية وليست مدنية، فإن الروايات تقول ما يلي:

١ - عن ابن عباس قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله بمكة، ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾»^(٢).

= حاتم عن قتادة، وعن ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس. وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير. وجامع البيان للطبري ج ١٥ ص ١٦٦، وأسباب نزول الآيات ص ١٩٧، وفتح القدير ج ٣ ص ٢٤٩.

(١) الآية ٨٠ من سورة الإسراء.

(٢) الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨ عن أحمد، والترمذي والحاكم وصحاحه، وابن المنذر، وابن جرير، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي معاً في دلائل النبوة والفضياء المختارة. وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ٢٢٣، وسنن الترمذي ج ٤ ص ٣٦٦ - ٣٦٧، وجامع البيان للطبري ج ١٥ ص ١٨٥، وزاد المسير ج ٥ ص ٥٥، والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣١٣، وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٦٢، والكامل لابن عدي ج ٦ ص ٤٩.

٢ - عن قتادة في معنى الآية، قال: أخرج الله من مكة مخرج صدق، وأدخله المدينة مدخل صدق. قال: وعلم نبي الله «صلى الله عليه وآله» أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله تعالى، وحدوده، وفرائضه، وإقامة كتاب الله تعالى، فإن السلطان عزة من الله تعالى، جعلها بين عباده، ولولا ذلك لغار بعضهم على بعض، وأكل شديدهم ضعيفهم^(١).

ونقول:

إن قتادة هنا قد خلط وخبط، وجاء بخطابات طنانة، وشعارات رنانة ليفسر السلطان النصير الذي طلبه النبي «صلى الله عليه وآله» من ربه، فجاءت النتيجة بعد الإبراق والإرعاد، منسجمة مع القاعدة المعروفة والمألوفة: «تمخض الجبل فولد فأرة».. وقد تابعه زيد بن أسلم أيضاً على ذلك، كما سيأتي في الرواية التالية، فجانب الحق، وتجاهل الحقيقة فيما ادّعاه من أن المقصود بالسلطان النصير هو الأنصار.

والحقيقة هي: أن السلطان هي القوة التي ترهب العدو، وتسقط مقاومته عسكرياً ومادياً وعلمياً أيضاً، وغير ذلك مما يفيد في التأييد والتسديد. وقد كان علي «عليه السلام» هو ذلك السلطان الناصر له «صلى الله عليه وآله» في كل مجال، والذاب والمؤيد له في كل مقام ومقال كما أوضحته

(١) الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٨ و ١٩٩ عن الحاكم وصححه، وعن البيهقي في الدلائل. وراجع: المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣، وجامع البيان للطبري ج ١٥ ص ١٨٨، وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٦٢ - ٦٣، وتفسير الثعلبي ج ٦ ص ١٢٧، وتفسير البغوي ج ٣ ص ١٣٢.

الرواية الآتية عن ابن عباس.

٣ - عن زيد بن أسلم في الآية، قال: جعل الله مدخل صدق المدينة، ومخرج صدق مكة، وسلطاناً نصيراً، الأنصار^(١).

وهذا وإن كان غير سليم عن النقاش، ولكنه هو الآخر يخالف ما زعمته الرواية السابقة من أن المقصود هو الدخول والخروج من المدينة وإليها في قضية تبوك.

٤ - عن ابن عباس: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾، يعني مكة، ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾. قال: لقد استجاب الله لنبيه «صلى الله عليه وآله» دعاءه، فأعطاه علي بن أبي طالب «عليه السلام» سلطاناً ينصره على أعدائه^(٢).

٥ - وقال القمي في هذه الآية: نزلت يوم فتح مكة لما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» دخولها: وقال: قل يا محمد ﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ

(١) الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٩ عن الزبير بن بكار في أخبار المدينة. وراجع: تفسير القرآن للصنعاني ج ٢ ص ٣٨٩، وجامع البيان للطبري ج ١٥ ص ١٨٦، وتفسير الثعلبي ج ٦ ص ١٢٧، وتفسير البغوي ج ٣ ص ١٣٢، وتفسير الرازي ج ٢١ ص ٣٢ و٣٣، وتفسير العز بن عبد السلام ج ٢ ص ٢٢٧، وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٦٢، وغيرهم.

(٢) البرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٤١ عن ابن شهر آشوب من كتاب أبي بكر الشيرازي. والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٤١، وشواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٤٥٢ والبحار ج ٤١ ص ٦١.

٨٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩
صِدْقٍ وَأَخْرَجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ». قال: قوله: «سُلْطَانًا نَصِيرًا»، أي معيناً^(١).

أهداف هذه الفرية:

إنه قد يفهم من تلك الرواية المزعومة أنها تهدف إلى الإنتقاص من مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين تظهره على أنه ألعوبة بيد اليهود، حتى إنه ليجرد الجيش الجرار - ثلاثين ألفاً - في وقت عسر وجهد كما يدَّعون، دون أن يراجع ربه ويسأله عن تكليفه أمام هذه الترهات التي يسمعونها من أناس لم يعرف منهم الصدق ولا الأمانة، بل هو ما عرف منهم إلا الكذب والكيد والخيانة، واشترأهم بآيات الله ثمناً قليلاً..

وقد حدّثه الله عنهم، ووصفهم له في كتابه الكريم بما لا يدع مجالاً لأي شك أو شبهة في أمرهم، ولا أقل من أن كل هذه البيانات الواضحة والفاضحة تحتم على أي إنسان مهما كان عادياً التثبت فيما يعرضه عليه هؤلاء الناس.

يضاف إلى ذلك: أن هذه الرواية تريد أن تطعن وتستخف بقيمة هذه الغزوة التي ظهرت خيراتها وبركاتها ولو بفضحتها لواقع النفاق المستشري، وبإيجابها التأكيد على أمر الإمامة التي يكون بها حماية هذا الدين وبقاؤه، وقد تجلّى هذا الإستخفاف حين اعتبرت أن خروج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك لم يكن بأمر من الله تبارك وتعالى، ولا كان خروج صحة وصدق، فلا عبرة بعد هذا بأي شيء مما قاله «صلى الله عليه وآله» مما يرتبط

(١) البرهان (تفسير) ج ٢ ص ٤٤١ وتفسير القمي ج ٢ ص ٢٦ وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٢١٢ والبحار ج ٢١ ص ١١٤ عن تفسير القمي .

بأمر الإمامة، وبذلك يتم التعقيم والتمويه، والتستر على الفعلة الشنعاء التي ظهرت من أهل النفاق، فإن الله وإنا إليه راجعون..

٢- الأخبار الكاذبة هي السبب:

وقد اختلف في سبب غزوة العسرة والفاضحة، فقليل: إن جماعة من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة ذكروا للمسلمين: أن الروم جمعوا جموعاً كثيرة بالشام، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معهم لحم وجذام، وعاملة وغسان، وغيرهم من متنصرة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء.

ولم يكن لذلك حقيقة، ولما بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك ندب الناس إلى الخروج^(١).
ونقول:

إن هذا الزعم غير معقول ولا مقبول.

إذ المعروف الذي لا شك فيه من أحد هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يرصد تحركات أعدائه بدقة متناهية، لكي لا يؤخذ على حين غرة. ولذلك كان يستبق حملاتهم بالمبادرة إلى تسديد ضربات حاسمة تحبط كيدهم، وتسقط مقاومتهم، بأيسر طريق، وأقلها تكلفة وخسائر..

وكان «صلى الله عليه وآله» يعلم بعداوة الروم له، وكان قد كاتب

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٣ عن ابن سعد، والواقدي. وراجع: عمدة القاري ج ١٨ ص ٤٥، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٥، وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٤، وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٤٧.

ملكهم، قبل سنوات، وخاض معهم حرباً قوية قبل مدة وجيزة، لا تزيد على سنة وشهرين.. وقد قتل في تلك الحرب قاداته الثلاثة، جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة..

فهل يعقل أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد أهمل رصد تحركات هذا الجبار والعدو الخطر جداً، الذي كان يعيش لتوّه نشوة الإنتصار على مملكة فارس. فاعتمد «صلى الله عليه وآله» على إخبار أنباط وافدين، لا يدينون بدينه، في حين أن القرآن يقول له: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبَعَ دِينَكُمْ﴾^(١).

ولنفترض: أنه أهمل الرصد، لسبب أو لآخر، وجاءه هذا الخبر من هؤلاء، فلماذا لا يبحث عن صحة هذا الخبر، مع اتخاذ جانب الاحتياط والحذر، بل يترك ذلك جانباً، ويبادر إلى جمع جيش يعد بعشرات الألوف، ويخض المنطقة بأسرها، ويعطي ذلك العدو الخطر المبرر للقيام بأي عمل لصد ما يعتبره عدواناً عليه، ويزين لأتباعه بأن عليهم مواجهة أعدائهم بحرب هم أوقدوا نارها، وأثاروا إعصارها.

٣- تعويض قريش عن متاجرها:

وقيل: إن سبب غزوة تبوك هو أن الله سبحانه وتعالى لما منع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام في الحج وغيره قالت قريش: لتقطعن عنا المتاجر والأسواق، وليذهبن ما كنا نصيب منها، فعوضهم الله تعالى عن ذلك بالأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم

صاغرون، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

وعزم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام^(٣).
ونقول:

١ - إن ذلك لا يمكن قبوله أيضاً، فإن الله لم يكن ليشرع الجهاد، وأخذ الجزية وما يترتب على ذلك من قهر للناس، وقتل، وأسر، وسبي، واغتنام لأموالهم، لمجرد تعويض قريش أو غيرها عن بعض المتاجر التي فاتتها، مع صرف النظر عن أنها أمضت أكثر من عقدين من الزمن، وهي تحارب الإسلام وأهله، بغياً منها عليه، وجحوداً لآياته، من أجل الدنيا وزينتها..

٢ - لو صح هذا الزعم، فينبغي أن تكون الجزية أو الغنيمة خاصة

(١) الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٧٣ من سورة آل عمران.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٣ عن ابن مردويه عن ابن عباس، وابن أبي شيبه وابن المنذر عن مجاهد، وابن جرير عن سعيد بن جبیر. وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٣.

٩٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

لقريش، ولا يشاركها فيها احد. لا الأنصار، ولا غيرهم من أهل الإسلام المنتشرين في المنطقة العربية وغيرها..

وإن شاركها أحد في الغنائم، فينبغي أن يكون بعد حصول التعويض لقريش، بحيث يصل إلى الآخرين ما يزيد عن هذا المقدار، بعد اكتفاء قريش
٠٠٣٣

٣- إن أخذ الجزية من أهل الكتاب قد سبق غزوة تبوك، التي كانت في شهر رجب سنة تسع.. وأخذ من العديد من الجماعات، فلاحظ الموارد التالية:

ألف: كتب «صلى الله عليه وآله» سنة ثمان مع العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، وإلى سبيخت مرزبان هجر، أو مرزبان البحرين يدعوها إلى الإسلام أو الجزية، (وفي نص آخر: أرسله ليدعو أهل البحرين إلى الإسلام أو الجزية)، فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم الخ..^(١)

ب: بل قيل: إنه وجَّه العلاء إلى البحرين في سنة ست^(٢).

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٠٩ عن المصادر التالية: الإصابة ج ١ ص ١٠٦ (٤٦١) وفتوح البلدان للبلاذري ص ١٠٧ وفي (ط أخرى) ص ٨٩ ومعجم البلدان ج ١ ص ٣٤٨ في كلمة بحرین، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ وراجع: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ١٩٧ و ٢١١ ومسند ابن راهويه ج ١ ص ٢٣ والبحار ج ٢٠ ص ٣٩٦.

(٢) معجم البلدان ج ١ ص ٣٤٧ و (نشر مكتبة النهضة المصرية - القاهرة) ج ١ ص ٩٦ والبحار ج ٢١ ص ٤٩.

قال ابن الأثير في حوادث سنة ست: «وأما المنذر بن ساوى، وإلى البحرين، فلما أتاه العلاء بن الحضرمي يدعوه ومن معه بالبحرين إلى الإسلام أو الجزية، وكانت ولاية البحرين للفرس، فأسلم المنذر بن ساوى، وأسلم جميع العرب بالبحرين.

فأما أهل البلاد من اليهود والنصارى والمجوس، فإنهم صالحوا العلاء والمنذر على الجزية، من كل حالم دينار»^(١).

ج: هناك كتابه «صلى الله عليه وآله» لأهل خيبر المتضمن لإسقاط الجزية والكلف والسخرة عنهم»^(٢).

وقد ناقشوا في الكتاب، بأن فيه شهادة سعد بن معاذ الذي كان قد استشهد قبل خيبر بستين، وشهادة معاوية، وإننا أسلم بعد خيبر بسنة. وبأن الجزية لم تكن وقت فتح خيبر، لأن آيتها قد نزلت سنة تسع.

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢١٥ والجزية وأحكامها للكلان تري ص ١٨.

(٢) مكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ وج ٢ ص ٣٣٦ عن: مجموعة الوثائق السياسية ص ١٢٤ عن المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ص ٢٦٥ و ٣١٢ في أحوال أحمد الخطيب البغدادي، وتذكرة الحفاظ للذهبي في أحوال الخطيب البغدادي ج ٣ ص ٣١٧ وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ١٢ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٢٥١ وج ١٢ ص ١٠١ و ١٠٢ والإرشاد لياقوت ج ١ أحوال أحمد بن علي الخطيب البغدادي، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ للسخاوي ص ٧٥ وأحكام أهل الذمة لابن القيم ص ٧ و ٨ والخطيب البغدادي ليوسف العش ص ٣٢ وقد أرجع إلى: كتب ابن شعبة ص ١٣٩ والسبكي ج ٣ ص ١٤ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٧ أيضاً.

ولم يكن على أهل خيبر كلف ولا سخرة في زمن النبي «صلى الله عليه وآله» لتوضع عنهم.

ويمكن أن يجاب عن ذلك بما يلي:

إنه ليس بالضرورة أن يكون هذا الكتاب قد كتب لأصحاب الحصون في خيبر، فلعله كتب لبعض الجماعات الأخرى في خيبر، قبل استشهاد سعد بن معاذ.

ويمكن إلحاق شهادة معاوية بالكتاب بعد إسلامه بطلب من تلك الجماعة، وبموافقة النبي «صلى الله عليه وآله»..

وعن تأخير تشريع الجزية نقول:

إن هذا هو أول الكلام..

يضاف إلى ذلك: أن من الممكن أن تكون قد شرعت على لسان النبي «صلى الله عليه وآله» قبل نزول الآية.

وعن الكلف والسخرة نقول:

لعلهم لم يريدوا بذلك رفع السخرة عنهم، بل اشترطوا ذلك احتياطاً لأنفسهم تحسباً من أن توضع عليهم في المستقبل.

د: وقد كتب إلى بكر بن وائل بالجزية، وذلك بعد سنة ثمان فراجع^(١).

هـ: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسل أبا زيد الأنصاري إلى عبد وجيفر

ابني الجلندي الأزديين في سنة ست، وقال «صلى الله عليه وآله» لأبي زيد:

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٥٢. وراجع: الإصابة ج ٣ ص ٢٩٣، والأنساب

للسمعاني ج ١ ص ٤٥.

«خذ الصدقة من المسلمين، والجزية من المجوس»^(١).

و: سئل الإمام الصادق «عليه السلام» عن المجوس: أكان لهم نبي؟
فقال: نعم، أما بلغك كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أهل
مكة: أن أسلموا وإلا نابذتكم بحرب.

فكتبوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن خذ منا الجزية، ودعنا
على عبادة الأوثان.

فكتب إليهم النبي «صلى الله عليه وآله»: «إني لست آخذ الجزية إلا من
أهل الكتاب».

فكتبوا إليه يريدون بذلك تكذيبه: زعمت أنك لا تأخذ الجزية إلا من
أهل الكتاب، ثم أخذت الجزية من مجوس هجر.

فكتب إليهم النبي «صلى الله عليه وآله»: «إن المجوس كان لهم نبي
فقتلوه، وكتاب أحرقوه»^(٢).

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٩٣ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٣٦٩ ونشأة الدولة
الإسلامية ص ١٧٨.

(٢) مكاتب الرسول ج ٢ ص ٤١٣ وأشار في هامشه إلى المصادر التالية: الكافي ج ٣
ص ٥٦٨ كتاب الجهاد، والتهذيب ج ٤ ص ١١٣ وج ٦ ص ١٥٨ والتذكرة كتاب
الجهاد، والبحار ج ١٤ ص ٤٦٣ والإختصاص ص ٢٢٢ والوسائل (ط دار
الإسلامية) ج ١١ ص ٩٦ عن الكافي والتهذيب، وجامع أحاديث الشيعة ج ١٢
ص ٢١٣ ومرآة العقول ج ١٦ ص ١١٩. وراجع: مستدرك سفينة البحار ج ٩
ص ٣٣٨ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٣٤ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٠٢
وميزان الحكمة ج ٤ ص ٣١٨٣.

٩٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

وهناك نصوص ذكر فيها وضع الجزية أيضاً على بعض الفئات، مع احتمال أن يكون وضعها عليهم قبل غزوة تبوك، ونحن نذكر من ذلك ما يلي:

ألف: جاء في كتابه «صلى الله عليه وآله» للأسبذيين: «ومن أبى فعليه الجزية على رأسه معافاً، على الذكر والأنثى»^(١).

ب: وقد كتب ليهود تيماء: «أن لهم الذمة وعليهم الجزية»^(٢). وذلك حين بلغهم وطء النبي «صلى الله عليه وآله» لوادى القرى في سنة تسع. فلعل ذلك كان قبل شهر رجب الذي كانت فيه غزوة تبوك
ج: وكتب «صلى الله عليه وآله» إلى يُحَنَّة بن رُوْبَة وفيه: «فأسلم أو أعط الجزية»^(٣).

(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٢٤ عن مجموعة الوثائق السياسية ص ١٥٥ و ١٥٦ عن الأموال لابن زنجويه.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٤٢٢ و ٤٢٣ وأشار إلى المصادر التالية: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧٩ وفي (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٢٩ وإعلام السائلين ص ٤٩ ونثر الدر للآبي ج ١ ص ٢٢٧ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٣٠ واللسان والنهاية في سدى ومدى. ومجموعة الوثائق السياسية ص ٩٨/١٩ عن: الطبقات، ومجموعة المكتوبات النبوية لأبي جعفر الديلمي الهندي ص ٦ ثم قال: قابل الخراج لقدامة ورقة ١٢٠ - ب، واللسان مادة عدا، والنهاية لابن الأثير مادة عدا، وانظر كايثاني ج ٩ ص ٥٠ واشبرنكر ج ٣ ص ٤٢١. وراجع: الفائق للزخشري ج ٣ ص ٣٥٢ وناسخ التواريخ ص ٣٠٥ في تاريخ رسول الله «صلى الله عليه وآله».

(٣) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٤٧٣ وأشار إلى المصادر التالية: الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧٧ وفي (ط ليدن) ج ١ ق ٢ ص ٨ وتهذيب تايخ ابن عساكر ج ص ١٤ =

قال العلامة الأحمدي: «ولكن لم يعلم أنه كتبه إليه من تبوك أو قبل ذلك، ولم يتعرض له الناقلون، والذي يستفاد هو: أنه كتبه «صلى الله عليه وآله» إليه بعد نزول الجزية، إما سنة تسع، أو قبل فتح مكة»^(١).

٤ - وأخيراً، فقد ذكرنا آنفاً: أنه لا مانع من أن يشرع الله تعالى بعض الأحكام على لسان نبيه «صلى الله عليه وآله»، ثم تنزل الآية القرآنية بعد ذلك بمدة لحكمة تقتضي ذلك.. فلا مجال للإصرار على تأخر تشريع الجزية استناداً إلى تأخر نزول الآية.

٤ - هلك أموالهم:

عن عمران بن حصين قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إن هذا الرجل الذي قد خرج يدّعي النبوة هلك، وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم. فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن، فبعث رجلاً من عظمائهم، وجهاز معه أربعين ألفاً، فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمر

= ورسالات نبوية ص ١٧ وراجع: التراتيب الإدارية ج ١ ص ٢٠١ ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣٢٦ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣٠٩ و ١٢٢ و ١٢٣ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١١٦/ ٣٠ عن الزرقاني ج ٣ ص ٣٦٠، وابن حجر في المطالب العالية ص ٢٦٣١ عن المسدد. وقال: انظر كاتباتي ج ٩ ص ٣٨ التعليقة الأولى، واشپرنكر ج ٣ ص ٤٢١ واشپربر ص ٢١. وراجع: شرح الزرقاني ج ٣ ص ٣٦٠ والنهاية في بحر، والمفصل ج ٤ ص ٢٤٩ والمصباح المضيء ج ٢ ص ٣٧٨.

(١) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٤٧٩.

ونقول:

إنه لا مجال لقبول هذا النص على ظاهره:

فأولاً: هو يقول عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إنه قد هلك، وهذا غير صحيح، ولا يمكن أن يقدم على هذه الكذبة أحد، ولا سيما مع قيصر، الذي لا بد أن يواجه الكاذبين بالعقوبات القاسية حين يظهر له كذبهم، وأنهم قد سعوا للمكر به..

إلا إذا فرض: أنهم يقصدون بذلك أنه هلك من الناحية الاقتصادية مثلاً.. أو السياسية، أو يعاني من الضعف العسكري أو نحو ذلك..

ولكن هذا أيضاً لا يحل الإشكال، فإن قوته «صلى الله عليه وآله» قد تضاعفت، وقد سقطت أمام جيوشه كل حصون الكفر والشرك في المنطقة بأسرها.. فإذا ظهر لقيصر أنهم قد كذبوا عليه في هذا الأمر الواضح، فسوف يلحق بهم الأذى والهوان.

ثانياً: قد ادّعوا: أن سنين من القحط والعدم قد أصابت المسلمين، حتى هلكت أمواهم، مع أن السنين إنما أصابت أهل مكة، وقد مدّ هو «صلى الله عليه وآله» لهم يد العون، تفضلاً منه وكرماً..

ثالثاً: إنه لم يمض على مواجهة جيش الروم للمسلمين في مؤتة سوى

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٣ عن الطبراني بسند ضعيف، وعن مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٩٤. وراجع: فتح الباري ج ٨ ص ٨٥، والمعجم الكبير ج ١٨ ص ٢٣٢، وكنز العمال ج ١٣ ص ٣٧، وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٦٣.

سنة وشهرين، وقد وجد فيهم من البسالة والإقدام ما يحير العقول، حتى لقد واجه ثلاثة آلاف منهم مئات الألوف من جيوش قيصر، ولم تستطع تلك الحشود الهائلة أن تقتل من جيش المسلمين سوى بضعة أفراد، وربما لم يمكنهم ذلك إلا بعد أن طحن المسلمون جيوشه الجرارة طحناً..

ولولا حدوث الخيانة من خالد بن الوليد، فلربما لم يخرج من الجيوش التي حشدها إلا أقل القليل..

فأين هي تلك السنون التي مرت على المسلمين حتى هلكت أموالهم وتَمَهَّدَ السبيل للإنقضاض والقضاء عليهم؟!

رابعاً: إذا كانت مئات الألوف القيصريّة مع جيش منتصر على إمبراطورية فارس قد عجزت عن فعل أي شيء مع ثلاثة آلاف في بلاد بعيدة عن بلادها، فإذا أراد قيصر أن يقضي على المسلمين، ويستأصل شأفتهم، فسيحتاج إلى أضعاف ما حشده في مؤتة، ولا سيما بعد أن تعرض جيشه فيها لضربة روحية بالغة القسوة والأثر..

فما معنى أن يكتفي الآن بأربعين ألفاً، يرسلهم مع أحد قواده؟!!

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

الفصل الثاني:

تجهيز جيش العسرة

پہلے لکھا لکھا

عسکری شیعہ نیوز

المنفقون في جيش العسرة:

لما عزم رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قتال الروم عام تبوك، وكان ذلك في زمان عسرة من الناس، وشدة من الحر، وجذب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص على تلك الحال من الزمان الذي هم عليه^(١).

قرر رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسير إلى تبوك وحض على الصدقات، فجاءوا بصدقات كثيرة، فكان أول من جاء أبو بكر، جاء بهاله كله أربعة آلاف درهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟».

فقال: أبقيت لهم الله ورسوله^(٢).

وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله، فقال رسول الله «صلى الله عليه

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٤. وتفسير الواحدي ج ١ ص ٤٦٣ و ٤٦٤، وزاد

المسير ج ٣ ص ٢٩٦، وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٥٧ و ٥٨، وتفسير ابن زمين ج ٢

ص ٢٠٥ و ٢٠٦، وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٤٦، ولباب النقول ص ١١٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٩١ وحياة

الصحابه ج ١ ص ٤٢٩ عن ابن عساكر ج ١ ص ١١٠.

وآله: «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟»

قال: نعم، مثل ما جئت به.

وحمل العباس، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن عباد، وحمل عبد الرحمن بن عوف مائتي أوقية إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقاً من تمر^(١).

وعند الدياربكري: أن عمر جاء بنصف ماله. وأن طلحة جاء بهال، وجاء عبد الرحمن بهاءتي أوقية من الفضة. وجاء سعد بن عباد بهال، وجاء محمد بن مسلمة بهال، وجاء عاصم بن عدي بتسعين وسقاً من تمر^(٢)..

وجعل الرجل من ذوي اليسار يحمل الرهط من فقراء قومه، ويكفيهم مؤونتهم، وبعثت النساء بكل ما قدرن عليه من مسك، ومعاضد، وخلاخل، وقرطة، وخواتيم^(٣).

كما أن العباس بن عبد المطلب قد حمل مالا يقال: إنه تسعون ألفاً.

وفي نص آخر: جاء بهال كثير^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥. وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٧٧، والتفسير

الكبير للرازي ج ١٦ ص ١٤٥.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٣. وكنز العمال ج ٢ ص ٤٢٨ وج ١٠ ص ٥٦٣،

وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٥ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٤٨.

(٣) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٣ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٨.

(٤) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٨ والغدير ج ٩ ص ٣٣٠ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٤٨

والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج ١ ص ١١٣ وعيون الأثر

لابن سيد الناس ج ٢ ص ٤٢١.

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة ١٠٣

وفي نص آخر: وحمل رجال، وقوى ناس دون هؤلاء من هم أضعف منهم، حتى إن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول: هذا البعير بيننا نعتقه، ويأتي الرجل بالنفقة، فيعطيه بعض من يخرج، حتى إن النساء كنَّ يبعثن بما يقدرن عليه.

وحمل كعب بن عجرة وائلة بن الأسقع^(١).

فعن وائلة بن الأسقع قال: نادى منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك، فخرجت إلى أهلي - وقد خرج أول أصحابه - فطفت في المدينة أنادي: ألا من يحمل رجلاً وله سهمه؟ فإذا شيخ من الأنصار - سمّاه محمد بن عمر: كعب بن عجرة - فقال: سهمه على أن تحمله عقبة، وطعامه معنا؟

فقلت: نعم.

فقال: سر على بركة الله تعالى.

فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا^(٢).

قال الواقدي: بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة.

قال: فأصابني قلائص - قال الواقدي: ستة - فسقتهن حتى أتيته بهن.

فخرج، فقعده على حقيبة من حقائب إبله، ثم قال: سقهن مقبلات، فسقتهن.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٩١. وراجع:

تاريخ مدينة دمشق ج ٦٢ ص ٣٥٧، وأسد الغابة ج ٥ ص ٧٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٦ عن الواقدي، وأبي داود. وراجع المصادر السابقة.

١٠٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

ثم قال: سقهن مدبرات، فقال: ما أرى قلائصك إلا كراماً.

فقلت: إنما هي غنيمتك التي شرطت لك.

قال: خذ قلائصك يا ابن أخي، فغير سهمك أردنا^(١).

عثمان يجهز جيش العسرة:

وقال الواقدي أيضاً: وجهز عثمان بن عفان ثلث ذلك الجيش، حتى

أنه كان يقال: ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شئق أسقيتهم^(٢).

قال الصالحى الشامي:

قلت: كان ذلك الجيش زيادة على ثلاثين ألفاً، فيكون جهز عشرة آلاف^(٣).

وذكروا: أن عثمان حمل على تسعمائة بغير ومائة فرس بجهازها.

وقال ابن إسحاق: أنفق عثمان في ذلك الجيش نفقة عظيمة، لم ينفق

أحد مثلها^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٦ عن الواقدي. وسنن أبي داود ج ١ ص ٦٠٤،

والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٢٨، والآحاد والمثاني ج ٢ ص ١٧٩، والمعجم

الكبير ج ٢٢ ص ٨١ و ٨٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ عن الواقدي. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٢

ص ٣٥ إمتاع الأسراع ج ٢ ص ٤٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ عن أبي عمرو في الدرر، وتبعه في الإشارة،

وراجع: الغدير ج ٩ ص ٣٢٩ عن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٧٢ و

(نشر مكتبة محمد علي صبيح) ج ٤ ص ٩٤٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٥٣ والدر

المنثور ج ٣ ص ٢٤٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧ والكامل في التاريخ ج ٢ =

وفي نص آخر: أن عثمان أنفق في جيش العسرة ألف دينار. قلت: غير الإبل والزاد، وما يتعلق بذلك.

قال: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم ارض عن عثمان، فإني عنه راض»^(١).

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بألف دينار في كفه حين جهز رسول الله «صلى الله عليه وآله» جيش العسرة، فصبها في حجر النبي «صلى الله عليه وآله»، فجعل النبي «صلى الله عليه وآله» يقلبها بيده ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»^(٢). يرددها مراراً.

وعن عبد الرحمن بن خُباب قال: خطب رسول الله «صلى الله عليه وآله»

= ص ٢٧٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٧ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٣.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ عن ابن هشام، وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ٧، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٤٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ عن أحمد، والبيهقي، والترمذي وحسنه، وقال في هامشه: أخرجه الترمذي (٣٧٠١) والحاكم ج ٣ ص ١٠٢ وابن أبي عاصم ج ٢ ص ٥٨٧ (٥٩٢) والبيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢١٥، وانظر البداية والنهاية ج ٥ ص ٤، وراجع: سنن الترمذي ج ٥ ص ٢٨٩، وكتاب السنة لعمر بن أبي عاصم ص ٥٧٣، وتفسير السمعاني ج ٥ ص ٣٦٧.

١٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

فحثّ على جيش العسرة، فقال عثمان: عليّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها.
ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث، فقال عثمان: عليّ مائة أخرى
بأحلاسها وأقتابها.

ثم نزل مرقاة أخرى فحث، فقال عثمان: علي مائة أخرى بأحلاسها
وأقتابها.

فرأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول بيده - هكذا - يحركها
المتعجب: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا اليوم».
أو قال: بعدها^(١).

وعن الأحنف بن قيس قال: سمعت عثمان يقول لسعد بن أبي وقاص،
وعلي، والزبير، وطلحة: أنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله «صلى الله
عليه وآله» قال: «من جهز جيش العسرة غفر الله له»، فجهازتهم حتى ما
يفقدون خطاماً ولا عقلاً؟
قالوا: اللهم نعم^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ و ٤٣٦ عن زوائد المسند، والبيهقي،
والترمذي، وفي هامشه عن: الترمذي (٣٧٠٠) وأحد ج ٤ ص ٧٥ وابن سعد
ج ٧ ص ٥٥، وأبي نعيم في الحلية ج ١ ص ٩٩، والدولابي في الكنى ج ٢ ص ١٧،
والبخاري في التاريخ ج ٥ ص ٢٤٧، وراجع: الغدير ج ٩ ص ٣٣١ وسنن
الترمذي ج ٥ ص ٢٨٩ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٧٢ ومسند أبي داود الطيالسي
ص ١٦٤ والآحاد والمثاني ج ٣ ص ١٠٣ والمعجم الأوسط ج ٦ ص ٩٨ وكنز
العمال ج ١١ ص ٥٩٤. بالإضافة إلى مصادر كثيرة..

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٦ عن الطيالسي، وأحمد، والنسائي، وفي هامشه =

مناقشة النصوص:

ولا بد لنا من وقفة أو وقفات مع النصوص المتقدمة، لكي ندل على زيف الزائف، ونأخذ بها هو متيقن أو أرجح، فنقول:

أبو بكر ينفق ماله كله:

ويستوقفنا هنا حديث نفقة أبي بكر في تبوك، من عدة جهات، نذكر منها ما يلي:

١ - قولهم إن أبا بكر جاء بماله كله، أربعة آلاف درهم يجعلنا نتساءل: لماذا لم يتفق من هذه الأربعة آلاف ولو درهماً واحداً ليناجي رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين أمر الله تعالى المسلمين بذلك؟! حيث لم يعمل بآية النجوى سوى علي «عليه السلام»^(١).

= قال: أخرجه البيهقي ج ٦ ص ١٦٧ والدارقطني ج ٤ ص ٢٠٠ والنسائي في الأحباس باب (٤)، والبيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢١٥. وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ٧٠ وسنن النسائي ج ٦ ص ٢٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ١٦٧ ومسند أبي داود الطيالسي ص ١٤ والسنن الكبرى ج ٤ ص ٩٦ وكنز العمال ج ١٣ ص ٧٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٣٣ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ١١١٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٨ وج ٧ ص ١٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٧.

(١) راجع: الأوائل ج ١ ص ٢٩٧ ودلائل الصدق ج ٢ ص ١٢٠ وتلخيص الشافي ج ٣ هامش ص ٢٣٥ و ٢٣٧ عن العديد من المصادر. وراجع: المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٤٨٢، وفتح الباري ج ١١ ص ٦٨، وتحفة الأحوذ ج ٩ ص ١٣٨، وغيرهم.

١٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

٢ - كيف قبل النبي «صلى الله عليه وآله» منه أن لا يبقى لأهله شيئاً؟
فأين رحمة النبي «صلى الله عليه وآله» ورأفته بالمؤمنين؟!..

ولا سيما إذا كان أبوب بكر يملك بعض الأموال، إذ إن ذلك يجعله مسؤولاً عن نفقة عائلته، ولا يصح منه تركهم بلا مال، كما لا يصح أن يكفلهم النبي «صلى الله عليه وآله» بالطرق الغيبية على سبيل الكرامة لأبي بكر..

٣ - على أن لنا أن نسأل: هل أبقي النبي «صلى الله عليه وآله» لأهله شيئاً أيضاً؟

فإن كان الجواب بالإيجاب، فإن أبا بكر يكون أفضل وأسخى وأكثر رغبة بثواب الله من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟.. ولماذا لم يقتد «صلى الله عليه وآله» بأبي بكر في هذه الحالة؟!..

وإن كان الجواب بالنفي، فنقول: ألم يكن لأهل أبي بكر حقوق عليه؟! أم أن ذلك لا يعد تفريطاً بحقوق الأهل، وتخلياً عن أمر واجب عليه؟! أم أن الذي سوغ له ذلك هو تراحم الواجبات، فقدّم الأهم على المهم؟! فإن كان الأمر كذلك، فقد كان يجب على عمر أيضاً، وعلى غيره من الصحابة أن يأتوا بجميع أموالهم.

أم أن القصة مختلقة من أساسها؟!..

٤ - لماذا لم ينزل في هذا الذي أنفق ماله كله شيء من القرآن، ولو بمقدار نصف آية، كما نزل في علي «عليه السلام» حين نزلت فيه الآيات والسور، لثني على تصدقه بخاتم في صلاته، فنزلت فيه آية الولاية، وبأقراص شعير فنزلت سورة هل أتى، وبدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة ١٠٩
علانية، فنزلت الآية المشيدة بذلك^(١).

فهل اقتضت عدالة الله الثناء على هذا، وحرمان ذاك ولو من نصف آية
رغم بذله لماله كله في سبيل الله؟!..

واللافت هنا: أن هذه الأربعة آلاف تبقى هي المحور بالنسبة إلى أبي
بكر، كما سنشير إليه فيما يأتي إن شاء الله تعالى، فسبحان من يغيّر، ولا يتغير.

كعب بن عجرة كان عثمانياً:

وعن حديث واثلة بن الأسقع مع كعب بن عجرة، وأن كعباً حمله إلى
تبوك، ولم يرد إلا ثواب الله نقول:

قد تكون هذه القصة موضوعة إكراماً لعيني كعب بن عجرة، كما أنها
قد تكون صحيحة، ولكن ذلك لا يعني أن تكون عاقبة كعب بن عجرة إلى
خير، فقد ذكر الطبري: أن كعباً هذا كان عثمانياً، وقد امتنع عنبيعة أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»^(٢).

حديثهم يكذب بعضه بعضاً:

وبعد، فإننا إذا أخذنا بحديث مناشدة عثمان لعلي «عليه السلام» وسعد،
وطلحة، والزبير في أنه جهز جيش العسرة حتى ما يفقدون خطاماً ولا

(١) راجع مصادر ذلك في فصل: هجرة النبي «صلى الله عليه وآله»، في الأجزاء الأولى
من هذا الكتاب.

(٢) قاموس الرجال ج ٧ ص ٤٢٣. وأنساب الأشراف للبلاذري ص ٢٩١.

١١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

عقالاً^(١)، فإنه يدل على ارتفاع حاجة جيش العسرة إلى مال أبي بكر، وعمر، وطلحة، وسعد، والعباس، وابن عوف، وابن مسلمة، وسواهم من المقرين والمؤيدين للسلطة، أو من أركانها المنحرفين عن أمير المؤمنين علي وأهل بيته «عليهم السلام»..

وسنشير إلى طائفة من تناقضات رواياتهم هذه فيما يأتي من مناقشة لتجهيز عثمان لجيش العسرة..

لم يكن في تبوك عسرة مالية:

وجميع دعاواهم هذه تركز على دعوى أن غزوة تبوك كانت في شدة من الزمان، حتى سمو ذلك الجيش بجيش العسرة^(٢)، اقتباساً من الآية القرآنية التي أطلقت هذا الوصف في هذه المناسبة، فقد قال تعالى في إلحاحه منه إلى حالتهم هذه: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٦ عن الطيالسي، وأحمد، والنسائي، وفي هامشه عن: سنن البيهقي ج ٦ ص ١٦٧ ودلائل النبوة للبيهقي أيضاً ج ٥ ص ٢١٥ وسنن الدارقطني ج ٤ ص ٢٠٠ والنسائي في الأحباس، باب ٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٤. وتفسير غريب القرآن للطريحي ص ٢٦٣، والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٨٠ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢٠٢ وج ١٨ ص ٢٧٧ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٣٠ ومعاني القرآن للنحاس ج ٣ ص ٢٠٩ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٧٨ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣١٥ والمححر الوجيز لابن عطية الأندلسي ج ٣ ص ٦٥ وتفسير الرازي ج ١٦ ص ٥٩ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٢ و٣٩١ والنهاية لابن الأثير ج ٣ ص ٢٣٥.

اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ^(١).

ثم رتبوا مقولات لا أساس لها عن نفقات هذا الصحابي أو ذاك، وجعلوا ذلك ذريعة لنسبة الفضائل والكرامات لمن أعوزتهم الفضائل في شتى مجالاتها ومظاهرها.

والحقيقة هي: أنه لم تكن في تبوك عسرة مالية، ولا احتاج «صلى الله عليه وآله» إلى أخذ الأموال من أحد، وهذا هو ما قررته الآيات القرآنية الكثيرة، التي نزلت لتعالج أمر هذه الغزوة..
ويدلنا على ذلك أمور:

١ - قد ذكرت الآيات والروايات: أن المشكلة الأساسية في حرب تبوك هي الخوف والرعب من بني الأصفر، ففي بعض النصوص: أن الجدل بن قيس مثلاً قد اعتذر عن تخلفه بقوله: «ما لي وللخروج في الريح والحر الشديد، والعسرة إلى بني الأصفر، فوالله ما آمن خوفاً من بني الأصفر، وأنا في منزلي، أفأذهب إليهم أغزوهم، إني والله يا بني عالم بالدوائر»^(٢).

٢ - إنهم لا يتوقعون من تلك الغزوة غنائم ولا سبايا، ولا فتح بلاد، وهذا هو ما يسعى إليه الكثيرون منهم، حيث رضوا بالحياة الدنيا، ولولا ذلك لسارعوا إلى الخروج، لأنهم كانوا يعرفون أن الحرب ستكون مع جبار، لا يسهل الحصول على شيء من ذلك معه.

(١) الآية ١١٧ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٧.

وقد رووا: أنه «صلى الله عليه وآله» قال للجد بن قيس يجرضه على الخروج: «تجهز فإنك موسر، لعلك تحقب من بنات بني الأصفر»^(١).

وقال تعالى مشيراً إلى ذلك، وإلى كذبهم في تعللاتهم التي يسوقونها للتخلص والتملص من المسير: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفْراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٢).

٣ - إنهم كرهوا أن ينفروا في الحر - بحسب زعمهم - قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾^(٣).

٤ - إنهم قد رضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٤).

٥ - إنه لا صحة لما يدعى من وجود شحة في الأموال، وحاجة إلى النفقات، ولذلك لم تزل الآيات الكثيرة تنعى عليهم امتناعهم عن الإنفاق في سبيل الله تعالى، رغم كثرة الأموال لديهم.. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٥).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٣٣ والدر

المنثور ج ٣ ص ٢٤٨.

(٢) الآية ٤٢ من سورة التوبة.

(٣) الآية ٨١ من سورة التوبة.

(٤) الآية ٣٨ من سورة التوبة.

(٥) الآية ٥٥ من سورة التوبة.

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة ١١٣

وقال جل وعلا: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكَثَرَ
أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ﴾^(١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ
لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(٢).

وقال سبحانه: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا
أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٣).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ
يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو
الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾^(٤).

٦ - قد صرحت الآيات القرآنية في نفس مناسبة غزوة تبوك: بأن الله
تعالى لم يطلب من الذين لا يجدون ما ينفقون أن ينفروا للغزو، فلا معنى
للتعلل بفقدان ما يحتاجون إليه من أموال، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ
وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ

(١) الآية ٦٩ من سورة التوبة.

(٢) الآيات ٧٥ - ٧٧ من سورة التوبة.

(٣) الآية ٨١ من سورة التوبة.

(٤) الآيتان ٨٥ و ٨٦ من سورة التوبة.

١١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴿١١٤﴾.

ويقول بعض الإخوة هنا: إن نفس هذه الآيات دليل على أن الكثيرين كانوا يجدون ما ينفقون، إذ لا يصح في الحكمة ترخيص غير الواجد إذا كانوا الأكثر، أو قل: إذا كانوا بحيث لو رخصوا لم يبق من يخرج إلا القليل، ثم هي تدل على أن الآخرين كانوا واجدين من عند أنفسهم، لا بتبرع فلان وفلان، وإلا فلماذا الترجيح بجعل هذا واجداً، وهو لم يجد إلا من التبرعات، وجعل ذلك فاقداً ثم ترخيصه في العقود؟!

٧ - إنه ليس بالضرورة أن يكون المقصود بالآيات التي مدحت اتباع النبي «صلى الله عليه وآله» في ساعة العسرة خصوص العسرة المالية، فإن كون الإسلام والمسلمين في خطر شديد وأكد من قبل جبار بني الأصفر، مع ظهور الفشل في أصحابه، وإصرار المنافقين على المكر به «صلى الله عليه وآله» وبالمسلمين - إن ذلك - من أعظم موجبات العسر والحرَج على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فكيف إذا كان سبب تخلف الكثيرين هو هذه الأمور التافهة، مثل بُعد الشقة، وكون الجو حاراً، وترك مواسم القطاف للثمار التي أينعت، وما إلى ذلك؟!

وذلك كله يدل على أن المقصود بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ

وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ^(١)، ليس هو العسرة المالية، بل هو الخطر الشديد والأکید على الإسلام وأهله، إذ لو كان المراد العسر المالي، فالمفروض أنه لم يكلفهم بالمسير معه، كما أنهم معذورون في التخلف عنه، ولا مورد لشن هذا الهجوم على المتخلفين، ولا يحسن تأنيبهم بهذه الحدة والشدة..

٨ - على أنهم يدعون: أن عثمان وبعضاً آخر قد أراحوا علة الجيش كله من الناحية المالية، ولم تبق عسرة، رغم أن الآية المشار إليها آنفاً تقول: إن العسرة باقية، وقد كاد يزيغ قلوب فريق من المهاجرين والأنصار، لولا أن الله تعالى قد تداركهم بالتوبة..

٩ - إن الذين تولوا وأعينهم تفيض من الدمع هم أفراد قليلون جداً، لا يزيدون على سبعة أشخاص معروفة أسماؤهم وقبائلهم^(٢).

فإذا كان عثمان وطلحة وعمر وبعض آخر، قد جهزوا جيش العسرة الذي كان يعد بعشرات الألوف، فهل عجزوا عن تجهيز سبعة أشخاص، وتركوهم حتى تولوا وأعينهم تفيض من الدمع؟! ولم يرق لهم قلب، ولا ارتعش لهم جفن. رغم أن ما سألوه لم يكن هو الدواب والمراكب، بل مجرد

(١) الآية ١١٧ من سورة التوبة.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ عن ابن جرير، وابن مردويه، وابن أبي شيبة، وابن سعد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وابن إسحاق، وأبي الشيخ، عن محمد بن كعب، ومجمع بن حارثة، ومجاهد، والزهرى، ويزيد بن يسار، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر وابن قتادة وغيرهم.. وراجع: تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٨١، وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٨١.

أن يزودوهم بنعال^(١)، أو بالماء والزاد، كما في بعض الروايات^(٢).
إن ذلك كله يدلنا على أن القضية لم تكن هي أن الجيش كله أو جلّه كان في عسرة من أمره، بل القضية هي شحة هؤلاء الناس بأموالهم وأنفسهم وسعيهم للتملص من هذا المسير، الذي كان لازماً وضرورياً جداً.. وعليه يتوقف حفظ الدين وحياة المسلمين، في حين أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يذكرهم في كل يوم من على منبره ويقول: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض».

تجهيز عثمان لجيش العسرة خرافة:

وأما بالنسبة لحديث تجهيز عثمان لجيش العسرة، فلا يمكن قبوله، من الناحية العلمية، بل الأدلة متضادة على لزوم رده، والحكم عليه بأنه موضوع ومصنوع.. وقد تعرّض العلامة الأميني «رحمه الله» في كتابه القيم «الغدير» لهذا الحديث، وبيّن طرفاً من تناقضاته، وأكد عدم صحة أسانيده^(٣).

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٨ عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن مشيخة من جهينة، وإبراهيم بن أدهم، والحسن. وراجع: تفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٦٣، وفتح القدير ج ٢ ص ٣٩٤، وتفسير الآلوسي ج ١٠ ص ١٥٩، وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٨١، وأسباب نزول الآيات ص ١٧٤، وتفسير البضاوي ج ٣ ص ١٦٥، وغيرهم.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٨ عن ابن أبي حاتم عن أنس.

(٣) راجع: الغدير (ط مركز الغدير للدراسات الإسلامية سنة ١٤١٦ هـ - قم - إيران) ج ٩ ص ٤٤٧ - ٤٧٢.

ونحن نذكر هنا بعض تناقضات هذا الحديث، ثم نعقب ذلك ببعض ما يفيد ويزيد في جلاء الحق، و سطوع شمس الحقيقة، فنقول:

تناقض الروايات:

قال ابن هشام: أنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها، حدثني من أثق به: أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار.

زاد الصالحى الشامى قوله: غير الإبل والزاد^(١)..

وأنه «صلى الله عليه وآله» قال: ما يضر عثمان ما فعل بعد هذا اليوم..
وعند الكلبي: جهزهم بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، زاد قتادة عليها سبعين فرساً أيضاً^(٢)..

وعند البلاذري: جهزهم بسبعين ألفاً^(٣)..

وعند الطبراني: جهزهم بمائتي بعير بأحلاسها وأقتابها، ومائتي أوقية

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٦١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٣ والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج ٣ ص ١٤٨ وابن أبي عاصم ج ٢ ص ٥٨٧ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٠٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢١٥ وحلية الأولياء ج ١ ص ٥٩ ومسنند أحمد ج ٦ ص ٥٥ حديث رقم ٢٠١٠٧، وقرة العيون المبصرة ج ١ ص ١٧٩ والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٥٨٥.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٣. وعمدة القاري ج ٨ ص ٢٩٧، وأسباب نزول الآيات للواحدي ص ٥٥.

(٣) أنساب الأشراف ج ٦ ص ١١٢.

١١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩
من الذهب^(١).

وعند أبي يعلى: سبع مائة أوقية من الذهب^(٢).

وعند ابن عدي: بعشرة آلاف دينار^(٣).

وعند ابن حنبل: بثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها، وقال صلى الله عليه وآله: ما على عثمان ما عمل بعد هذا^(٤).

وعند ابن عساكر: جهز ثلث الجيش^(٥).

وعند ابن الأثير: جهز نصف جيش العسرة^(٦).

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٣ وراجع: الغدير ج ٩ ص ٣٢٩ عن الطبراني.

(٢) فتح الباري ج ٥ ص ٣٠٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٨٥ والغدير ج ٩ ص ٣٢٩.

(٣) الكامل ج ١ ص ٣٤٠ وراجع: السيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج ٣ ص ١٤٨

والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣٨ وفتح الباري ج ٨ ص ٤٠٨ وج ٧ ص ٥٤ والمواهب

اللدنية ج ١ ص ٦٢٧ وشرح المواهب ج ٣ ص ٦٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٣

والغدير ج ٩ ص ٣٢٩.

(٤) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٨ و٣٨ وحلية الأولياء ج ١ ص ٥٩ وسبل الهدى والرشاد

ج ٥ ص ٤٣٥ و٤٣٦ وابن سعد ج ٧ ص ٥٥ والتاريخ الكبير للبخاري ج ٥

ص ٢٤٧ والدولابي في الكنى ج ٢ ص ١٧ والترمذي رقم ٣٧٠٠.

(٥) السنن الكبرى ج ٦ ص ١٦٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٣ وسبل الهدى

والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ وسنن الدارقطني ج ٤ ص ١٢٤ وصحيح ابن حبان ج ١٥

ص ٣٤٨ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٣٩ وموارد الظمآن ج ٧ ص ١٢٠.

(٦) أسد الغابة ج ٣ ص ٥٨٢ ومسند أحمد ج ١ ص ٥٩ وسنن النسائي ج ٦ ص ٢٣٦ وكتاب

السنة لابن أبي عاصم ص ٥٨١ والسنن الكبرى ج ٤ ص ٩٨ وسنن الدارقطني ج ٤

ص ١٢٤ وكنز العمال ج ١٣ ص ٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٣٣٩.

وفي الكامل في التاريخ: قيل كانت ثلاث مئة بعير وألف دينار^(١).
وعند عماد الدين العامري: أنفق ألف دينار، وحمل على تسعمائة بعير،
ومائة فرس. والزاد، وما يتعلق بذلك، حتى ما تربط به الأسقية^(٢).
وفي الحلبية أيضاً: عند بعض أعطى ثلاث مئة بعير بأحلاسها وأقتابها
وخمسين فرساً^(٣).
وعن أبي عمرو في الدرر: أن عثمان حمل على تسعمائة بعير ومئة فرس
بجهازها^(٤).

أبو بكر أعطى ماله كله:

تقدم: أنهم يقولون: إن أبا بكر قد أعطى في هذه الغزوة ماله كله^(٥).
وقالوا: إنه - يعني مال أبي بكر - كان أربعة آلاف درهم^(٦).

-
- (١) الكامل في التاريخ ج ١ ص ٦٣٥ والغدير ج ٩ ص ٣٢٩ عنه.
 - (٢) السيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ مطبعة مصطفى محمد بمصر) ج ٣ ص ١٤٨ و
(ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠٠ والغدير ج ٩ ص ٣٢٩ عنه.
 - (٣) راجع: الغدير ج ٩ ص ٤٤٨ و ٤٤٩، والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج ٣
ص ١٤٨ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠٠.
 - (٤) الدرر لابن عبد البر ص ٢٣٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ والعبر وديوان
المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٩ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠٠.
 - (٥) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٣ وتاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١١٠، وشرح المواهب
للزرقاني ج ٣ ص ٦٤ والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ بمصر) ج ٣ ص ١٤٨ و
(ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥.
 - (٦) حياة الصحابة ج ١ ص ٤٢٩ عن ابن عساكر ج ١ ص ١١٠ وسبل الهدى والرشاد =

١٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

ونحن وإن كنا قد أثبتنا قبل صفحات يسيرة عدم صحة ذلك، ولكننا نقول: إنه على فرض صحة ذلك، وإلزاماً لهؤلاء القائلين بما ألزموا به أنفسهم نسأل: ألم يكن من حل ماله كله أولى من عثمان بالإعلان بشأنه، والدعاء له، والثناء عليه؟! وإذا كانت النفقات العظيمة لا تختص بعثمان، فلماذا يفوز عثمان وحده بالأوسمة، والألقاب، دون غيره. ممن أنفق وساهم من الرجال والنساء؟!

فإن الثناء على الرجل بملاحظة مستوى تضحيته أولى من الثناء عليه بملاحظة مقدار ما يبذله من مال! لا سيما وأن الثناء إنما جاء من رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى..

حديث المناشدة باطل:

ثم إنهم يقولون: إن جيش العسرة - كما يقولون - كان ثلاثين ألفاً وكان معهم من الإبل اثنا عشر ألف بعير، وعشرة آلاف فرس، وعند أبي زرعة كانوا سبعين ألفاً، وفي رواية أربعين ألفاً^(١).

= ج ٥ ص ٤٣٥ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٩١ والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج ٣ ص ١٤٨ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٣.
(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد: رقم التسلسل ٦٨٣، وتاريخ ابن عساكر ج ١ ص ١١١ وإمتاع الأسماع ص ٦٥٠ وفتح الباري ج ٨ ص ٩٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٧٣ وإرشاد الساري ج ٦ ص ٤٣٨ وشرح بهجة المحافل ج ٢ ص ٣٠ والغدير ج ٥ ص ٤٥٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢ والسيرة الحلبية (ط سنة ١٣٩١ هـ) ج ٣ ص ١٤٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢.

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة ١٢١

وقد تقدم: أن عثمان حينما حوَّصر، ناشد طلحة والزبير، وسعداً، وأضاف بعض الروايات الإمام علياً «عليه السلام» أيضاً، فكان مما قرَّره به، فأقروا: أنه صاحب جيش العسرة، وأنه اشترى بئر رومة^(١).

وعند البلاذري أنه قال: أنشدكما الله هل تعلمان أني جهزت جيش العسرة من مالي؟!^(٢).

وفي نص آخر: أَلَسْتُمْ تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من حفر بئر رومة فله الجنة، فحفرتها؟ أَلَسْتُمْ تعلمون أنه قال: من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزته؟ قال: فصدقوه لما قال^(٣).

وقد صرح بأنهما اعترفا له بأن النبي حكم له بأنه شهيد، وبأنه من أهل الجنة، مقابل ما بذله في بئر رومة، ومقابل ما بذله في شراء ما أضيف إلى المسجد.

(١) راجع: مسند أحمد ج ١ ص ١١٣ و ١٢٠ حديث ٥٥٦ و ٥١٣، والإصابة ج ٢ ص ٤٦٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ١٦٧ وحلية الأولياء ج ١ ص ٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٦ و سنن الدارقطني ج ٤ ص ٢٠٠ و سنن النسائي في الأحباس باب ٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢١٥.

(٢) أنساب الأشراف ج ٦ ص ١٠٦ و راجع: السنن الكبرى ج ٦ ص ١٦٨ والغدير ج ٩ ص ٣٣٢ و سنن النسائي ج ٦ ص ٢٣٥ و كنز العمال ج ١٣ ص ٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٣٣٦.

(٣) البخاري كتاب الوصايا (ط دار الفكر سنة ١٤٠١ هـ) ج ٣ ص ١٩٣ وفتح الباري ج ٨ ص ٤٠٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ١٦٧ و سنن الدارقطني ج ٤ ص ١٢٥.

ونقول:

ألف: كيف أقر طلحة والزبير لعثمان بما ذكر، ثم واصلوا حربه ضدهم، ولم يرتدعا عن محاصرته التي انتهت بقتله؟! وكيف وبماذا بررا ذلك للناس، الذين سمعوا عثمان يقررهما، وسمعوهما يقران له بذلك؟!

ب: كيف عرف سائر الصحابة: أن الله قد غفر لعثمان ذنوبه ثم يعاملونه هذه المعاملة ويحرضون على قتله، بل ويشاركون فيه بحجة أنه قد خالف أحكام الله، وتعدى حدوده؟!

وكيف يقتلون رجلاً وعده الله ورسوله بالجنة، وحكم بغفران كل ذنوبه، التي سوف يرتكبها.. أو صرح بعدم إضرار أي من ذنوبه به عند الله؟!..

ج: هل صحيح: أن من يبذل هذا المقدار من المال الذي بذله عثمان يمكنه أن يفعل ما يشاء من الذنوب، كبيرها، وصغيرها، حتى ما توعده الله عليه بالخلود بالنار كقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وما إلى ذلك؟

د: إذا صحت هذه الرواية فينبغي أن لا يتخلف أحد عن المسير إلى تبوك لارتفاع العسرة عن الجميع بما أعطاه عثمان، فلماذا يرجع الناس إلى منازلهم ليكون، لأنهم لم يجدوا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يحملهم عليه كما نصت عليه الآيات الآتية؟!

هـ: إذا كان ذلك صحيحاً، فلماذا احتاج إلى مال أبي بكر، ونصف مال عمر، وما أعطاه العباس، وطلحة، وسعد، والزبير، وابن مسلمة، و.. و.. الخ..

و: إذا صح ذلك لم يكن معنى للتخفيف عن الذين لا يجدون، وتصبح الآية الكريمة التي تتحدث عن هؤلاء بلا موضوع ويبطل قوله تعالى:

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾^(١).

ز: إذا صح ذلك فلماذا تنزل الآية المقررة واللائمة، والمتوعة بالعذاب والعقاب لأولئك الذين لم ينفقوا في سبيل الله، إذ لا مورد ولا محل لنفقاتهم بعد ما أعطاه عثمان.

إلا إذا كان قد ظهر منهم قبل إنفاق عثمان ما يدل على امتناعهم عن البذل في سبيل الله، مع قدرتهم على ذلك.

بئر رومة:

إن شراء عثمان لبئر رومة بهاله، ووقفه لها على المسلمين، حديث باطل لأسباب كثيرة، كما أن حديث مناشدته لطلحة والزبير، أو لهما بالإضافة إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، المتضمن لذكر هذا الأمر، ولأمور باطلة أخرى، ولتناقضات لا دواء لها، لا يمكن أن يصح أيضاً، فراجع^(٢).

لا توجد أموال بهذا الحجم:

إنه لم يكن لدى الصحابة تلکم المبالغ الهائلة، التي يدعى أن عثمان قدّم

(١) الآيات ٩١ - ٩٣ من سورة التوبة.

(٢) الجزء الرابع من هذا الكتاب (الطبعة الرابعة) ص ١٦٣ - ١٦٨.

١٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

أرقاماً منها في جيش العسرة، لا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا في عهد أبي بكر.

فقد روي أن أنس بن مالك، جاء بهال إلى عمر، بعد موت أبي بكر، فبايع عمر، ثم أخبره بأنه قد جاء بأربعة آلاف، فأعطاه إياها. قال أنس: فكنت أكثر أهل المدينة مالاً^(١).

عثمان والعدل الإلهي:

إذا كان لعثمان هذا السخاء، وهذا الاندفاع للعطاء في سبيل الله، فلماذا لم يتصدق ولو بدرهم، في مناسبة آية النجوى، التي لم يعمل بها سوى علي «عليه السلام»؟!^(٢).

(١) حياة الصحابة ج ٢ ص ٢٣٥ وكنز العمال ج ٥ ص ٤٠٥ عن ابن مسعود. وراجع: تهذيب الكمال للمزي ج ٣ ص ٣٧٢، وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ٨٥٤.

(٢) المناقب للخوارزمي ص ١٩٦ والرياض النضرة ج ٣ ص ١٨٠ والصواعق المحرقة ص ١٢٩ عن الواقدي، ونظم درر السمطين ص ٩٠ و ٩١ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٢٧ و ٣٢٦ وجامع البيان ج ٢٨ ص ١٤ و ١٥ وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ٢٨ ص ٢٤ و ٢٥ وكفاية الطالب ص ١٣٦ و ١٣٧ وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٢٨ ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ٤٨٢ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع بهامش المستدرك) ج ٢ ص ٤٨٢ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ وتأويل الآيات الظاهرة ج ٢ ص ٦٧٣ و ٦٧٥ ولباب التأويل ج ٤ ص ٢٢٤ ومدارك التنزيل (مطبوع بهامش لباب التأويل) ج ٤ ص ٢٢٤ وأسباب النزول ص ٢٣٥ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ٢٣١ و ٢٤٠ والدر المنثور ج ٦ ص ١٨٥ عن ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، =

فمن يبخل بدرهم كيف يعطي هذه الألوف المؤلفة، ثم يجهز جيشاً بأكمله؟! إننا نتوقع أن تنزل في الثناء عليه سورة مثل سورة البقرة، فضلاً عن آية أو آيات..

كما أن الإمام علياً «عليه السلام» حين تصدق بأربعة دراهم سراً وجهرأً وليلاً ونهارأً، نزلت فيه آية قرآنية^(١).

وحين يُطعم ثلاثة أقراص شعير لمسكين ويقيم وأسير، تنزل فيه سورة

= والحاكم وصححه، وسعيد بن منصور، وابن راهويه. وفتح القدير ج ٥ ص ١٩١ والتفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٧١ والجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ٣٠٢ والكشاف ج ٤ ص ٤٩٤ وكشف الغمة ج ١ ص ١٦٨ وإحقيق الحق (قسم الملحقات) ج ٣ ص ١٢٩ و ١٤٠ وج ١٤ ص ٢٠٠ - ٢١٧ وج ٢٠ ص ١٨١ - ١٩٢ عن بعض من تقدم، وعن مصادر كثيرة أخرى. وإعلام الوری ص ١٨٨.

(١) الكشاف ج ١ ص ٣١٩ وتفسير المنارج ٣ ص ٩٢ عن عبد الرزاق، وابن جرير، وغيرهما، والتفسير الكبير ج ٧ ص ٨٣ والجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ٣٤٧ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٣٢٦ عن ابن جرير، وابن مردويه وابن أبي حاتم، وفتح القدير ج ١ ص ٢٩٤ عن عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، والطبراني، وابن عساكر وغيرهم، والدر المنثور ج ١ ص ٣٦٣ ولباب النقول (ط) دار إحياء العلوم) ص ٥٠ وأسباب النزول ص ٥٠ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٣٤١ عن العياشي، والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٠٧ ونظم درر السمطين ص ٩٠ وذخائر العقبى ص ٨٨ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٤١٢ والمناقب لابن المغازلي ص ٢٨٠ وينابيع المودة ص ٩٢، وروضة الواعظين ص ٣٨٣ و ١٠٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٢١.

كاملة، هي سورة «هل أتى»^(١)..

ويتصدق بخاتم في الصلاة فتزل فيه آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢).

(١) المناقب للخوارزمي ص ١٨٩ و ١٩٥، والرياض النضرة ج ٣ ص ٢٠٨ و ٢٠٩
والتفسير الكبير ج ٣٠ ص ٢٣٤ و ٢٤٤ عن الواحدي، والزمخشري. وغرائب
القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ٢٩ ص ١١٢ و ١١٣ والكشاف ج ٤
ص ٦٧٠ ونوادر الأصول ص ٦٤ و ٦٥ والجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ١٣١
عن النقاش، والشعلبي، والقشيري، وغير واحد من المفسرين. واللائي المصنوعة ج ١
ص ٣٧٢ و ٣٧٤ ومدارك التنزيل للنسفي (مطبوع بهامش تفسير الخازن) ج ٤
ص ٣٣٩ وكشف الغمة ج ١ ص ١٦٩ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٤٦٩ و ٤٧٧
عن أمالي الصدوق، والقمي، والطبرسي، وابن شهر آشوب، وتأويل الآيات
الظاهرة ج ٢ ص ٧٤٩ و ٧٥٢ وتفسير فرات ص ٥٢١ و ٥٢٨ وذخائر العقبي
ص ٨٩ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٩٨ و ٣٩٩ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٤١٢
والوسائل ج ١٦ ص ١٩٠، وفرائد السمطين ج ٢ ص ٥٤ و ٥٦ ومجمع البيان ج ١٠
ص ٤٠٤ و ٤٠٥ والمناقب لابن المغازلي ص ٢٧٣ والإصابة ج ٤ ص ٣٧٨ ويتابع
المودة ص ٩٣ و ٩٤ وروضة الواعظين ص ١٦٠ و ١٦٣ ونزهة المجالس ج ١
ص ٢١٣ وربيع الأبرار ج ٢ ص ١٤٧ و ٢٤٨ وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٢١
وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٣٠ و ٥٣١ والبحار ج ٣٥ ص ٢٣٧ - ٢٥٤ وإحقيق الحق
ج ٩ ص ١١٠ - ١٢٣ وج ٣ ص ١٥٧ - ١٧٠ عن مصادر كثيرة.

(٢) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(٣) راجع المصادر التالية: الكشاف ج ١ ص ٦٤٩ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ٩٣
عن الطبراني، وابن جرير، وأسباب النزول ص ١١٣ وتفسير المنار ج ٦ ص ٤٤٢ =

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة ١٢٧

فلماذا أهمل الله نفقات عثمان، وهي هائلة، واهتم بذكر نفقات أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهي بضعة دراهم، أو بضعة أقراص من شعير؟!

= وقال: رووا من عدة طرق وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٣٣ و ٣٣٧ عن الكافي، والإحتجاج، والخصال، والقمي، وأمالى الصدوق، وجامع البيان ج ٦ ص ١٨٦، وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج ٦ ص ١٦٧ والتفسير الكبير ج ١٢ ص ٢٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٧١ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ عن أبي الشيخ وابن مردويه، والطبراني، وابن أبي حاتم، وابن عساكر، وابن جرير، وأبي نعيم، وغيرهم، وفتح القدير ج ٢ ص ٥٣ عن الخطيب في المتفق والمفترق. وراجع ما عن عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وغيرهم ممن تقدم ذكره. ولباب التأويل للمخازن ج ١ ص ٤٧٥ والجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ٢٢١ والكافي ج ١ ص ٢٢٨ وشواهد التنزيل ج ١ ص ١٧٣ و ١٨٤ والخصال ج ٢ ص ٥٨٠ وكفاية الطالب ص ٢٢٩ وكثر العمال ج ١٥ ص ١٤٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٠٨ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ١٧ ومعرفة علوم الحديث ص ١٠٢ وتذكرة الخواص ص ١٥ والمناقب للخوارزمي ص ١٨٦ و ١٨٧ ونظم درر السمطين ص ٨٦ و ٨٧ والرياض النضرة ج ٣ ص ٢٠٨ وذخائر العقبى ص ١٠٢ عن الواقدي، وأبي الفرج ابن الجوزي، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٨ ونور الأبصار ص ٧٧ وفرائد السمطين ج ١ ص ١٨٨ وتأويل الآيات الظاهرة ج ١ ص ١٥١ - ١٥٤ والبحار ج ٣٥ ص ١٨٣ و ٢٠٣ عن مصادر كثيرة، وربيع الأبرار ج ٢ ص ١٤٨ والمناقب لابن المغازلي ص ٣١٢ و ٣١٣ وروضة الواعظين ص ٩٢ والعمدة لابن بطريق ص ١١٩ و ١٢٥ وإثبات الهداة ج ٢ ص ٤٧ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢ و ١٠ وكشف الغمة ج ١ ص ١٦٦ و ١٦٧ والأمالى للصدوق ص ١٠٩ و ١١٠، والوسائل ج ٦ ص ٣٣٤ و ٣٣٥ وسعد السعود ص ٩٦ والبرهان (تفسير) ج ١ ص ٤٨٠ و ٤٨٥ ومجمع البيان ج ٣ ص ٣١٠ - ٣١٢ وإحقاق الحق ج ٢٠ ص ٣ - ٢٢ وراجع ج ٣ ص ٥٠٢ - ٥١١ وج ٢ ص ٣٩٩ - ٤٠٨ عن مصادر كثيرة.

هل كان عثمان من الأجواد؟!:

ولماذا لا يعدون عثمان من أجواد قريش، بل من أجواد العرب، إن لم نقل: إنه من أجواد الدنيا؟!:

إلا أن يقال: إن عثمان كان سخياً في سبيل الله، بخيلاً على الناس، والجواد إنما يقال له: جواد، إذا كان يجود بهاله على الناس!!

من أين لك هذا؟!:

من أين وكيف حصل عثمان على هذه الأموال الطائلة والهائلة، وهو قد جاء إلى المدينة صفر اليدين؟!:

فإن كان ذلك من مال التجارة.. فنحن لم نسمع ولم نقرأ شيئاً عن هذه التجارة التي تدرُّ عليه هذه الأرباح العظيمة..

ولماذا لم يشتغل غير عثمان بهذه التجارات، ويحصل على تلك الأرباح؟! أم يعقل أن يكونوا قد اشتغلوا، وعلى المال حصلوا، ثم هم به قد بخلوا؟!.. ولماذا لم ينقل لنا أسماء بعض هؤلاء المشتغلين الأغنياء والبخلاء؟! وإن كان قد حصل عليها من الغنائم.. فإن غيره لا بد أن يكون قد نال منها مثل ما نال.. فلماذا تكون العسرة يا ترى؟! بل لماذا ينال هذه الأموال الهائلة من الغنائم، ونحن لم نجد له أي مقام محمود أو مشهود في حروب الإسلام؟!..

وأين هي الغنائم التي حصل عليها أمير المؤمنين «عليه السلام»، فارس الإسلام الأعظم، ونصيره الأكبر، أو هل يعقل أن يكون علي «عليه السلام» قد بخل بهاله.. وجاد به عثمان؟!:

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة ١٢٩

وإن كان عثمان قد حصل على ذلك من سهم المؤلفة قلوبهم فلماذا لا يصرحون لنا بذلك؟!

وهل من يُحصِّل المال عن هذه الطريق، ثم يسخو به في سبيل الله، يستحق غفران ذنوبه، ثم يدخله الله الجنة؟!

ولو أنه كان كذلك، فلماذا يدخل الجنة بهال حصله من سهم المؤلفة، ويبقى الناس خالصو الإيمان يكافحون من أجل الجنة، ويتوسلون بشفاعاة الشفعاء، لغفران ذنوبهم وستر عيوبهم؟!

الإستفاقة المتأخرة:

إذا كانت عند عثمان هذه الأموال الهائلة، فلماذا استفاق على الإنفاق في سبيل الله في هذا الوقت المتأخر، ألم يكن الأجدر به أن يظهر هذه الأموال قبل مناسبة تبوك، وينفقها على المسلمين أنفسهم، إذا كانوا في عسرة حقيقية؟! ولماذا يتركهم يواجهون تلك الشدائد؟!.. ولا يرق له قلب، ولا يرفُّ له جفن؟!

بل لماذا لم يساعد أقاربه من أهل مكة عندما أصابهم القحط؟!

هل هذا تعريض بأبي بكر؟!

لقد زعموا: أن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾^(١). قد نزل في عثمان لإنفاقه في جيش العسرة^(٢).

(١) الآية ٢٦٢ من سورة البقرة.

(٢) التفسير الكبير ج ٧ ص ٤٥ والغدير ج ٨ ص ٥٧ وتفسير مقاتل بن سليمان ج ١ =

ونقول:

ألف: إن هذه الآية في سورة البقرة، وهي أول سورة نزلت في المدينة في أول الهجرة^(١).

وجيش العسرة قد كان في سنة تسع من الهجرة في شهر رجب..
 ب: إذا صح أن أبا بكر قد قدم ماله كله في جيش العسرة، فإن المناسب هو أن تنزل هذه الآية في حقه، لا أن تنزل في حق عثمان..
 ج: إن هذه الآية قد صرحت بالقول: بأن المنافقين لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى. فهل هي بصدد التعريض بأبي بكر الذي يقول عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما من أحد آمن عليّ في صحبته وذات يده من أبي بكر^(٢).

= ص ١٤٢ وتفسير السمرقندي ج ١ ص ٢٠٠ وتفسير الثعلبي ج ٢ ص ٢٥٨
 وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص ٥٥ وتفسير البغوي ج ١
 ص ٢٤٩ وزاد المسير لابن الجوزي ج ١ ص ٢٧٥ وتفسير القرطبي ج ٣ ص ٣٠٦
 وتفسير البيضاوي ج ١ ص ٥٦٥.

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٣٢ وتفسير الخازن ج ١ ص ١٩ وتفسير الشوكاني ج ١ ص ١٦.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢ ولسان الميزان ج ٢ ص ٢٣ وصحيح البخاري كما في إرشاد الساري ج ٦ ص ٢١٤ و ٢١٥ والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٦٠٨ و ٦٠٩ وراجع: مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩ ص ٤٥ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٢ ص ٩٣ وكتر العمال ج ١١ ص ٥٥٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٧٦ وكتر العمال ج ١١ ص ٥٥٢ و ٥٥٤ وج ١٢ ص ٥٢٣ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٥٠١.

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة ١٣١

الإغراء بالمعاصي:

إن حديث: ما يبالي عثمان ما فعل بعد اليوم، أو نحو ذلك، فيه إغراء للناس بالمعاصي، ما دام أنه قد تأكد لدى من قيلت في حقه: أنه غير معاقب على شيء..

ولا ندري لو أن عثمان زنى بعد هذا العطاء، أو سرق، أو قتل، فهل كان يقام عليه الحد، أو يقتص منه، أو لا يفعل به شيء من ذلك؟!..
إننا لا نعرف السبب في هذه العسرة التي أَلَّتْ بالمسلمين فجأة في سنة تسع، مع أن التاريخ لم يحدثنا عنها إلا في مناسبة نفقات عثمان، وإعطاء الأوسمة له!!

العسرة لم ترتفع بما فعل عثمان:

إن ظاهر كلمات عمر بن الخطاب أن العسرة قد بقيت ولم ترتفع بها بذله عثمان، وغيره، فقد قال الدياربيكري:

وكان العسرة يتعقبون على بغير واحد، وربما يمص التمرة الواحدة جماعة، يتناوبونها، وكانوا يعصرون الفرث ويشربونه من شدة العطش.

وعن عمر بن الخطاب قال: نزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى إن الرجل لينحدر بغيراً، فيعصر فرثه، ويشربه، ويجعل ما بقي على كبده. كذا في معالم التنزيل..

وفي تفسير عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن عقيل، قال: فخرجوا في قلة من الظَّهر في حر شديد، حتى إنهم كانوا ينحرون البعير، ويشربون ما في كرشه من الماء. فكان ذلك الوقت عسرة في الماء والظهر، والنفقة، فسميت

عثمان يعطي من بيت المال:

وآخر كلمة نقولها هنا: إن التاريخ قد سجل لنا أرقاماً هائلة جداً عن عطايا عثمان من بيت مال المسلمين في أيام خلافته، وكان ذلك من أهم أسباب ثورة الصحابة والمسلمين عليه حتى قتلوه..

فعل الذين وضعوا هذه الأفيكة قد أرادوا الإيحاء بأن هذه العطايا إنما كانت من أمواله الشخصية، لا من بيت المال..

وعن حجم عطايا عثمان غير المعقولة، ولا المقبولة، نقول: لقد ذكر العلامة الأميني قائمة ببعض عطاياه من الدراهم والدنانير ولبضعة أشخاص فقط، مع أنها لا تكاد تذكر إلى جانب اقطاعاته، وعطاياه من الأمور العينية، وكيف لو أضيفت إلى ذلك عطاياه الأخرى طيلة سنوات حكمه؟!..

والقائمة هي التالية:

لقد أعطى عثمان لسبعة أشخاص فقط هو أحدهم:

مبلغ: أربعة ملايين وثلاث مئة، وعشرة آلاف دينار.

وأعطى مئة وستة وعشرين مليوناً وسبع مئة وسبعين ألف درهم،

لأحد عشر شخصاً فقط وكان هو في جملة من أخذ؛ فكيف بعطاياه طيلة سنوات حكمه؟!..

وفي الغدير ج ٨ نصوص تصرح بامتلاكه وامتلاك أتباعه أرقاماً هائلة

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٥ و ٤٣٦ وفتح الباري ج ٨ ص ٨٤، وإمتاع الأسعاج ج ٨ ص ٣٩١.

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة ١٣٣

تكاد لا تصدق.. فيمكن الرجوع إلى ذلك الكتاب للاطلاع عليها..

وفي الختام نقول:

هذا ما أفصحت عنه كتبٌ حرص مؤلفوها على حفظ ماء وجه عثمان،
بعد أن افترض أمره بإصرار الصحابة والمسلمين على قتله، وبعد أن كان لا
بد لهم من مراعاة الحال في مجتمع يرى الزهد فضيلة، ويعيش أبنائه حالات
قاسية من الحاجة والفقر..

فكيف لو أرادوا أن يطلقوا لأقلامهم العنان في بيان الحقائق، فإن الخطب
جلل، والمصاب أليم، وإلى الله المشتكى، وعليه المعول في الشدة والرخاء.

...میں نے اسے اپنے گھر میں رکھا۔

تبريد بكميات كبيرة من الماء الجاف في وقت مبكر من الصباح.

سابقہ وراثی

مجلسه ۱۰۰۰ - ۱۰۰۰ - ۱۰۰۰

وہی ہے جو کہ ہم نے پہلے ہی میں دیکھا ہے۔

with a 100% yield of 1,2-dichloroethane.

مجلسه ۱۰۰۰

بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٠

الفصل الثالث:

النفير العام

سوالنامہ لکھنا

سوالنامہ لکھنا

إعلان المسير، لماذا؟!

وبين «صلى الله عليه وآله» للناس مقصده، وإنه يريد بلاد الروم، وكان «صلى الله عليه وآله» قلَّ أن يخرج في غزوة إلا كُنِيَ عنها وورَى غيرها إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بيَّنّها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبتة، فأمر الناس بالجهاز، ودعا من حوله من أحياء العرب للخروج معه، فأوعب معه بشر كثير، وبعث إلى مكة، وإلى سائر القبائل التي فشا فيها الإسلام.

وتخلف عنه آخرون، فعاتب الله - تعالى - من تخلف منهم لغير عذر من المنافقين والمقصرين، ووبخهم وبين أمرهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

ثم قال: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ

(١) الآيتان ٣٨ و ٣٩ من سورة التوبة.

١٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

الله ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفْراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ^(١) إلى آخر الآيات^(٢).

وعن كعب بن مالك قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قلماً يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قيظ شديد، واستقبل سفراً بعيداً، وغزى وعدداً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم، ليتأهبوا أهبة غزوهم، وأخبرهم بوجهه الذي يريده^(٣).

ونقول:

إن الإعلان بمقصده «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك لم يكن لمجرد بعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو، ليتأهب الناس، فإنه قد أرسل قبل سنة وشهرين سرية إلى مؤتة، وهي أبعد من تبوك بكثير، لأنها تقع في تخوم اللقاء من أرض الشام، وكانت حشود الأعداء عظيمة، وهائلة، والشقة

(١) الآيتان ٤١ و ٤٢ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٤.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٤ عن ابن أبي شيبة، والبخاري، وابن سعد، وقال في هامشه: أخرجه البخاري (٢٩٤٨) و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٣٠، وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٠٦ ومسند أحمد ج ٣ ص ٤٥٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤٠ وج ٩ ص ٣٤ وص ١٥٠ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢١٦ وفيض القدير ج ٥ ص ١٢٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤١١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٧.

أبعد، وعدد جيش المسلمين لا يصل إلى عشر عدد الجيش الذي جهزه هو، حيث لم يكن عدد المسلمين يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل بينما الجيش الذي يجهزه الآن إلى تبوك عشرة أضعاف هذا العدد، وكانت جموع الأعداء التي واجهت تلك السرية الصغيرة تعد بمئات الألوف حسبما تقدم.. بينما هم يدَّعون أن قيصر قد جهز للمواجهة في هذه المرة أربعين ألفاً فقط.

من أجل ذلك وسواه نقول:

لعل الأصح هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أراد فيما أراد:

١ - أن يفصح حقيقة نوايا تلك الطغمة التي تتربص بالإسلام وبالمسلمين شراً، وهذا ما أشار إليه الشيخ المفيد «رحمه الله» حيث قال عن تبوك:

«فأوحى الله تبارك وتعالى اسمه إلى نبيه «صلى الله عليه وآله»: أن يسير إليها بنفسه، ويستنفر الناس للخروج معه، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا يمني بقتال عدو، وأن الأمور تنقاد له بغير سيف، وتعبده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم، ليميزوا بذلك، وتظهر به سرائرهم.

فاستنفرهم النبي «صلى الله عليه وآله» إلى بلاد الروم، وقد أينعت ثمارهم، واشتد القيظ عليهم، فأبطأ أكثرهم عن طاعته، رغبة في العاجل، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدة القيظ، وبعد المسافة، ولقاء العدو، ثم نهض بعضهم على استئصال للنهوض، وتحلف آخرون الخ...»^(١).

ونلاحظ هنا أمرين:

أحدهما: قد يقال: إن هذا النص ينافي ما تقدم من أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقول على المنبر وهو يحث الناس على المسير: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض».. فإن هذا يشير إلى أن ثمة خطراً حقيقياً كان يتهدد المسلمين آنئذٍ، فإذا كان الله قد أخبر نبيه، بأن الأمور تستقيم له من غير حاجة إلى حرب لم يصح هذا القول منه «صلى الله عليه وآله».

الثاني: إذا كانت الأمور تستقيم للنبي «صلى الله عليه وآله» بغير حرب، فلماذا يكبد الناس مشقة هذا السفر البعيد، ويكلفهم مكابدة الأخطار والتفريط بالثمار في أيام القيظ، وفي الزمان الشديد؟!

ونجيب:

أولاً: إن هذا الكلام على المنبر في كل يوم لا يتناقض مع إخبار الله تعالى بأن الأمور سوف تنتهي بلا حرب، بل هو كلام صادق في نفسه على كل حال.

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» مكلف بأن يتعامل مع الناس وفق ما تقتضيه ظواهر الأمور. أما ما يعرفه الله إياه بالوحي، وبالطرق غير العادية، فليس له أن يجري في تعامله مع أصحابه على أساسه، إلا إذا أذن الله تعالى بذلك في بعض الموارد إذا توفرت مبررات الخروج عن هذه القاعدة.

ثالثاً: إنه قد يكون نفس مبادرة الناس إلى الإنخراط في هذا الجيش،

وإظهار القوة، والرغبة في دفع العدو من الكبير والصغير هو المؤثر في دفع العدو، حين يلقي الله في قلوب الذين كفروا الرعب، بحيث يكون أي تحاذل في هذا الاتجاه يظهر حب أصحابه للدنيا، وتعلقهم بها من موجبات طمع العدو بهم، وجرأته على مهاجمتهم، وإنزال ضرباته القوية بهم..

رابعاً: إن من أسباب حفظ الإسلام، وتحصينه من شر الأشرار هو فضح نوايا المنافقين، وإكذاب أعدائهم، وكبت عدو أهل الإيمان في الداخل والخارج.

٢ - إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يقدم نموذجاً عملياً لأمر الإمامة من بعده، وذلك بأن يجعل الناس يتحسسون الحاجة إلى الحافظ القوي، والإمام الوصي، حتى لا يعيث أصحاب الأطماع، وطلاب اللبانات بمصير الناس، ولا يفرضوا عليهم مساراً يؤدي بهم إلى البوار والهلاك والتمزق والتشتت والتلاشي والتفتت..

٣ - إنه لا بد من أن يسقط هالة القداسة عمن لم يكن أهلاً للقداسة، وإنما هو يضيفها على نفسه لتكون شركاً يوقع به البسطاء والسذج من الناس، ويتخذ منهم أداة لفرض واقع معين، لا يرضاه الله تعالى، ويؤدي إلى العبث بجهود الأنبياء، وتضييع منجزاتهم..

٤ - ثم إنه قد اعلن عن غزوته تلك ليكون ذلك أبعد للسمع، حيث تنهى أخبارها إلى بني الأصفر، فتخلع لها قلوبهم، وتطيش لها ألبابهم، ويتلاشى تدبيرهم في ظلمات الحيرة والضياغ، ويوهن الله بذلك كيدهم، وتذهب ريجهم.

٥ - إن ذلك لا بد من أن يثير الزهو والشعور بالعزة في مجتمع المسلمين

١٤٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

أيما كانوا، وحيثما وجدوا، وسيشد أنظار كل الناس إليهم، وسيشتاقون إلى اللحاق بركب أهل الإيمان، الذي يسير من نصر إلى نصر، ويضيف مجداً إلى مجد.. قبل فوات الأوان. حيث لم يكن أحد أعظم في أعينهم وأهيب في قلوبهم، من قيصر، هذا الرجل المنتصر لتوه على كسرى حسبما ألمحنا إليه..
فإن تبوك لم تبق مجالاً لأن يتوهم أحد أن عدم مبادرة قيصر إلى غزوهم، قد كانت بسبب غفلته عنهم، ولعدم اكتراثه بهم، أو ما إلى ذلك..

تكاليف الحرب على المحاربين؟!!:

لقد يفهم من آيات سورة التوبة، ومن آية التهلكة: أن نفقات الحرب تقع على عاتق المقاتلين.. وربما يؤيد ذلك بأن الفارس يعطى سهمين من الغنيمة، أحدهما له، والآخر لفروسه.. والمقصود - بحسب الظاهر -: هو الفرس التي يملكها المقاتل نفسه.

ولكن الحقيقة هي: أن ذلك لا يحتم هذه النتيجة، ولا يقضي بحصر وجوب الإنفاق لحفظ بيضة الإسلام، والدفع عن حريم المسلمين بالمقاتلين، بل هو واجب على جميع الناس، على سبيل الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن سائرهم.. وحين تملك الدولة أسباب القوة، فباستطاعتها أن تستفيد من سهم «سبيل الله» أيضاً..

كما أن ملكية الفارس للفرس وعدم ملكيتها لا تؤثر على لزوم إعطاء الفارس سهمين، والراجل سهماً واحداً، فيجب أن يعطى سهمين مطلقاً، أي سواء كانت الفرس له أو لم تكن.

على أن التقرير الوارد في سورة التوبة للأغنياء المتخلفين، إنما هو على

ما يمارسونه من نفاق، وعلى كذبهم فيما يدعونه، وما يظهره من أعدار واهية، وعلى رضاهم بسقوط هذا الدين، وحلول النكبات بإخوانهم لمجرد حبهم للمال والراحة والدنيا وزخارفها.. وعلى عدم امتثالهم أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» المباشرة لهم.. وعلى ما يتسببون به من إخلال في تصميم الناس، وفي طاعتهم وانقيادهم، وما يشيعونه من ضعف وتحاذل.

الإستنفار العام:

قال ابن واضح: «ووجّه إلى رؤساء القبائل والعشائر يستنفرها»^(١). وقال الطبرسي: «تنبأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» في رجب سنة تسع لغزو الروم. وكتب إلى قبائل العرب، ممن قد دخل الإسلام، وبعث إليهم الرسل، يرغبهم في الجهاد والغزو. وكتب إلى تميم، وغطفان، وطيء، وبعث إلى عتاب بن أسيد عامله على مكة يستنفرهم لغزو الروم». وقالوا أيضاً: وضرب «صلى الله عليه وآله» عسكره فوق ثنية الوداع بمن تبعه من المهاجرين، وقبائل العرب، وبني كنانة، وأهل تهامة، ومزينة، وجهينة، وطيء، وتميم.

واستعمل الزبير على راية المهاجرين، وطلحة بن عبيد الله على الميمنة، وعبد الرحمن بن عوف على الميسرة.

وسار رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى نزل الجرف. فرجع عبد الله بن أبي بكر إذن، فقال «صلى الله عليه وآله»: «حسبي الله، هو الذي

(١) تاريخ اليعقوبي (ط الحيدرية - النجف) ج ٢ ص ٥٧ و (ط دار صادر) ج ٢

١٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

أيدني بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم»^(١).

أضاف اليعقوبي قوله: «وخرجت النساء والصبيان يودعونه عند الثنية، فسمّاها ثنية الوداع»^(٢).

العدد، والعدة، والألوية، والرايات:

وقالوا أيضاً: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في رجب سنة تسع، فعسكر في ثنية الوداع.

وعن زيد بن ثابت و معاذ بن جبل قال: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً^(٣).

(١) مكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٨٧ وفي هامشه عن: البحار ج ٢١ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ عن إعلام الوري، ومغازي الواقدي ج ٣ ص ٩٩٠ وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٠٤.
وفي الجامع لأبي زيد ص ٢٩٥: كتب إلى القبائل سنة ٩ بعد الفتح إلى القبائل التي لم يفش فيها الإسلام يدعوه، وكتب إلى التي فشا فيها الإسلام بغزو الروم وواعدهم تبوك.

وراجع الحلبية ج ٣ ص ١٢٩ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٢ ص ٣٢٣ وشرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٦٦ وإعلام الوري ص ١٢٩ و ١٣٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢٤٣ وتاريخ اليعقوبي (ط الحيدرية - النجف) ج ٢ ص ٥٨ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي (ط الحيدرية - النجف) ج ٢ ص ٥٨.

(٣) سبل الهدى ج ٥ ص ٤٤٢ عن ابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد. وفتح الباري لابن حجر ج ٨ ص ٨٧، وتفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٨٠، والكامل لعبد الله بن عدي ج ٧ ص ٢٧٠.

ونقل الحاكم في الإكليل عن أبي زرعة قال: كانوا بتبوك سبعين ألفاً^(١).
 وُجِّعَ بين الكلامين: بأن من قال ثلاثين ألفاً: لم يعد التابع.
 ومن قال سبعين ألفاً: عد التابع والمتبوع.
 وكانت الخيل عشرة آلاف فرس، وقيل: بزيادة ألفين^(٢).
 وفي نص آخر: كانوا أربعين ألفاً^(٣).
 قال عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب: خرج المسلمون في غزوة
 تبوك، الرجالن والثلاثة على بعير واحد^(٤).
 وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» كل بطن من الأنصار والقبائل
 من العرب أن يتخذوا لواء وراية.
 وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» جيشه بالاستكثار من النعال،

(١) سبل الهدى ج ٥ ص ٤٤٢ عن الحاكم في الإكليل، وابن الأمين، وراجع: عمدة
 القاري ج ١٨ ص ٤٥، ومقدمة ابن الصلاح ص ١٧٧، والتسهيل لعلوم التنزيل
 ج ٤ ص ٢٢٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٥ وتاريخ مدينة
 دمشق ج ٢ ص ٣٦، والسيرة الحلبية ج ٣ (ط دار المعرفة) ص ١٠٢.

(٣) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٥ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٤٥، ومقدمة ابن
 الصلاح ص ١٧٧، وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٦، والسيرة الحلبية (ط دار
 المعرفة) ج ٣ ص ١٠٢.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٣ عن البيهقي. وتفسير مقاتل بن سليمان ج ٢
 ص ٧٥، وتفسير القرآن للصنعاني ج ٢ ص ٢٩٠، وجامع البيان ج ١١ ص ٧٥،
 وغيرهم.

١٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩
وقال: «إن الرجل لا يزال راكباً ما دام متعلّاً»^(١).

توزيع الرايات، واللواء الأعظم مع أبي بكر:

ثم قالوا أيضاً: لما رحل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ثنية الوداع عقد الأولوية والرايات، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر الصديق، ورايته العظمى إلى الزبير بن العوام، ودفع راية الأوس إلى أسيد بن الحضير، وراية الخزرج إلى أبي دجانة، ويقال: إلى الحباب بن المنذر، وأمر كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواءاً^(٢).

وحمل زيد بن ثابت لواء بني النجار^(٣).

وكان دليله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك علقمة بن الفغواء الخزاعي^(٤).

خمسة وعشرون رجلاً مؤمناً فقط:

ولا بد أن يستغرب الكثيرون ما جاء في بعض النصوص من أن عدد

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢ وفي هامشه: عن صحيح مسلم كتاب اللباس

(٦٦) وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٥. والجامع الصغير ج ١ ص ١٥٢، وتفسير

العز بن عبد السلام ج ٢ ص ٤٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٣ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٩٦ وتاريخ

الخميس ج ٢ ص ١٢٥.

(٣) المغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٩٦.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٥ والمغازي

للقاوي ج ٣ ص ٩٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٦ والإستيعاب لابن عبد

البر ج ٣ ص ١٠٨٨ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٤ والوافي بالوفيات ج ٢٠ ص ٤٧.

الجيش الذي سار إلى تبوك كان خمسة وعشرين ألفاً، وكان عدد المؤمنين فيه لا يزيد على خمسة وعشرين رجلاً، يقول النص:

«كان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتبوك رجل يقال له: «المضرب» من كثرة ضرباته التي أصابته ببدر وأحد، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «عُدَّ لي أهل العسكر، فعددهم.

فقال: هم خمسة وعشرون ألف رجل سوى العبيد والأتباع.

فقال: عُدَّ المؤمنين.

فعددهم، فقال: هم خمسة وعشرون رجلاً، وقد كان تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قوم من المنافقين، وقوم من المؤمنين مستبصرين لم يعثر عليهم في نفاق الخ...»^(١).

نعم، وهذا هو الذي يفسر نزول ما يقرب من تسعين آية من سورة التوبة لتبين ما جرى في تبوك، ولتظهر حجم التحدي والخطر الذي واجهه رسول الله «صلى الله عليه وآله» من هؤلاء المنافقين، الذين كان قسم منهم يسعى لزعزعة الاستقرار الداخلي حتى احتاج «صلى الله عليه وآله» إلى أن يخلف أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» مكانه، ليكون منه بمنزلة هارون من موسى.

كما أننا لا نستطيع أن نشكك في صحة النص المذكور آنفاً، فإن عامة من ساروا إلى تبوك إنما أسلموا خلال الأشهر اليسيرة بين فتح مكة في شهر

(١) البحار ج ٢١ ص ٢١٨ وتفسير البرهان ج ٢ ص ١٣٢ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٩٦ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٨٥.

١٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

رمضان، السنة الثامنة، وشهر رجب السنة التاسعة.. والذين أسلموا قبل ذلك لم يكن قد مضى على إسلام معظمهم الذي بدأ من صلح الحديبية سوى وقت قليل أيضاً.. والباقون الذين قد لا يزيد عددهم على ألف وخمس مائة، كان قسم كبير منهم يظهر الإسلام، ويبطن النفاق، وقد ظهر ذلك في كثير من المواطن، ومنها غزوة أحد كما هو معلوم..

لا تقتل معي فتدخل النار:

ورأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» برأس الشية عبداً متسلحاً، فقال العبد: أقاتل معك يا رسول الله.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إرجع إلى سيدك لا تُقتل معي فتدخل النار»^(١).

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات عديدة نبدؤها بالنص الأخير على النحو التالي:

مشاركة العبد بدون إذن سيده:

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يرض بمشاركة العبد بدون إذن سيده، وهذا الموقف منه «صلى الله عليه وآله» يوضح: انه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد أن يجمع الناس حوله كيفما اتفق، بل هو يريد أن يتم ذلك

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٣ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٩٦ وإمتاع الأسباع ج ٢ ص ٥١.

وفق الضوابط الشرعية، والمنطق السليم..

كما أنه لا يريد أن يغرر بالناس، ويهدف تكثير السواد معه، بل يريد أن يعطيهم الضابطة الشرعية، ويلزمهم بها، ويعطيهم تلك التي تقول: لا يطاع الله من حيث يعصى..

وهو يريد لهم أن يسعدوا بجهادهم ويكون من أسباب تكاملهم، وسمو مقامهم عند الله، ولا يكون ذلك إلا بالالتزام بأحكامه، والسير على منهاجه، وتطبيق شرائعه. ومراعاة حقوق الناس.

إنه لا يريد أن يتخذ الناس منه غطاء لتمرير مخالفاتهم، ولا ذريعة لتضييع حقوق الآخرين، حتى لو كان ذلك بالحضور في ساحات الجهاد وتعريض أنفسهم للقتل في سبيل الله، لأن القتل في سبيله لا بد أن يحمي حقوق الناس، لا أن يضيعها.

ثنية الوداع:

وقد زعمت رواية اليعقوبي: أن ثنية الوداع قد سميت بهذا الاسم بسبب وداع الناس لنسائهم وصبيانهم في غزوة تبوك.. وهو كلام غير دقيق..

فأولاً: إنهم تارة يزعمون: أن هذا الاسم قد أطلق على هذه الثنية حين عودتهم من خيبر، حين تمتع الناس ببعض النساء وفارقوهن عند تلك الثنية.. ويزعمون تارة أخرى: أن هذا الاسم قد ورد في النشيد الذي استقبل به أهل المدينة النبيّ «صلى الله عليه وآله» حين هجرته، حيث قالوا:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

١٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

وجب الشكر علينا ما دعانا الله
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع^(١)..
فأي ذلك هو الصحيح؟!..
ثالثاً: إن الأقرب هو: أن هذا الاسم: «ثنيات الوداع» اسم قديم جاهلي،
يسمى هذا الموضع به لتوديع المسافرين فيه وقد ذكروا في التفاصيل: أنه كان لا
يدخل أحد المدينة إلا من ثنية الوداع، فإن لم يُعشَّر بها مات قبل أن يخرج.
فإذا وقف على الثنية، قيل: قد ودع، فسميت ثنيات الوداع حتى قدم
عروة بن الورد فلم يُعشَّر، ثم دخل، فسأل اليهود عن سبب التعشير.
فقالوا: لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يعشَّر بها إلا مات، ولا
يدخلها أحد من غير ثنية الوداع إلا قتله الهزال.
فلما ترك عروة التعشير تركه الناس، ودخلوا من كل ناحية^(٢).
والتعشير هو: أن ينهق كالحمار عشرة أصوات في طلق واحد، قال
عمرو بن الورد العبسي:
لعمري لئن عشت من خشية الردى نهاق الحمار إنني لجزوع^(٣)

-
- (١) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٧١ والغدير ج ٧ ص ٢٥٩ وإمتاع الأسماع ج ٩ ص ٢٠٢
وسبل الهدى والرشاد ج ٣ ص ٢٧١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٥.
(٢) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٦٧ و ١١٦٨ وج ١ ص ٥٩ عن ابن شبة. وتاريخ المدينة
لابن شبة ج ١ ص ٢٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٦.
(٣) وفاء الوفاء ج ١ ص ٥٩. ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ٤ ص ٣٢٥.

أبو بكر يصلي بالناس:

وقالوا: إنه «صلى الله عليه وآله» أمر أبا بكر أن يصلي بمن تقدمه «صلى الله عليه وآله»^(١).

ونقول:

إنه بعد فتح مكة بدأ الفريق المتخصص بمنح الفضائل يشعر بأن الوقت حان لمنح الأوسمة والفضائل للمناوئي أمير المؤمنين «عليه السلام»، فكان أن ظهرت لهم فضائل لم نر لها أثراً قبل غزوة تبوك، فإنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد خلف أمير المؤمنين «عليه السلام» على المدينة، وأعلن أنه منه بمنزلة هارون من موسى، فلا بد أن يكون لأبي بكر ما يضاهي ذلك أو يزيد عليه، فكان طبيعياً أن يدَّعوا أنه «صلى الله عليه وآله» استخلف أبا بكر على الصلاة، ليكون لأبي بكر نصيب من الخلافة والإستخلاف. فإن إعطاء هذا الوسام لعلي «عليه السلام» قد جعل الأمر بالغ الحساسية، وفي منتهى الخطورة.. ودعوى استخلاف أبي بكر على الصلاة، ليست ذات قيمة، ولا تستحق الذكر.

فإن ذلك لا يدل على شيء من الفضائل لدى المستخلف، أي أنه لا يدل على علم أبي بكر، ولا على حسن أخلاقه، ولا على زهده وتقواه، ولا على أية صفة أخرى سوى صفة العدالة عند الشيعة، أما أهل السنة، فإنهم ينكرونها أيضاً، ويفتون ويروون عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه

قال: صلوا خلف كل بر وفاجر^(١).

فإذا كانت الإمامة في الصلاة عندهم لا تُثبِت حتى صفة العدالة، فهل تُثبِت الإمامة العظمى، التي تحتاج إلى كل تلك الصفات، وسواها مما لا مجال لذكره في أعلى مستوياتها وأفضل حالاتها؟!

كما أن الإمامة تتضمن منصب القضاء وقيادة الجيوش و.. و.. الخ.. فالإمام هو الحاكم والمدبر والمعلم وغير ذلك. وكل واحدة من هذه الأمور تحتاج إلى ما يناسبها. من صفات ومزايا..

فقيادة الجيوش مثلاً تحتاج إلى صفات تناسب هذه المهمة، مثل

-
- (١) جامع الخلاف والوفاق ص ٨٤ وفتح العزيز للرافعي ج ٤ ص ٣٣١ والمجموع للنووي ج ٥ ص ٢٦٨ ومغني المحتاج للشربيني ج ٣ ص ٧٥ والمبسوط للسرخسي ج ١ ص ٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج ١ ص ٢٢٩ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج ١ ص ١٥٦ والجواهر النقي للهاردي ج ٤ ص ١٩ والبحر الرائق لابن نجيم المصري ج ١ ص ٦١٠ وتلخيص الجبير ج ٤ ص ٣٣١ ونيل الأوطار ج ١ ص ٤٢٩ وشرح أصول الكافي ج ٥ ص ٢٥٤ والمسترشد للطبري والإفصاح للشيخ المفيد ص ٢٠٢ والمسائل العكبرية للشيخ المفيد ص ٥٤ والطرائف لابن طاووس ص ٢٣٢ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ١٩ وعمدة القاري للعيني ج ١١ ص ٤٨ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٤٥ وسنن الدارقطني ج ٢ ص ٤٤ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج ١ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ ونصب الراية ج ٢ ص ٣٣ و ٣٤ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ١ ص ١٦٨ والجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٩٧ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٤ وكشف الخفاء للعجلوني ج ٢ ص ٢٩ و ٣٢ وشرح السير الكبير للسرخسي ج ١ ص ١٥٦.

الشجاعة، والخبرة بشؤون الحرب.

فإذا كانت الإمامة في الصلاة لا تُثبت شيئاً من الصفات المطلوبة، فهل تثبت تمييزاً فيها على جميع البشر؟!.

وقد تحدثنا ببعض التفصيل عن هذا الأمر حين الكلام عما زعموه من صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» خلف عبد الرحمن بن عوف، وهم في الطريق إلى تبوك. فليلاحظ ما ذكرناه هناك.

الألوية.. والرايات:

وقد لاحظنا هنا عدة أمور في غزوة تبوك، التي لم يكن فيها قتال، بل تقدم أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر نبيه «صلى الله عليه وآله» بعدم حصول قتال فيها^(١).

الأمر الأول: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر كل بطن من الأنصار، والقبائل من العرب أن يتخذوا اللواء وراية. مع أن المعروف هو أنه «صلى الله عليه وآله» كان هو الذي يعطي الرايات للفرسان وللزعماء من كل قبيلة، أو جماعة، فراجع ما جرى في فتح مكة، وخيبر، وسواهما.

الثاني: أنه «صلى الله عليه وآله» جعل - حسب زعمهم - الرايات والألوية حسب أقسام الجيش، فجعل هذا على اليمين، وذاك على اليسرة، أو على المقدمة، كما يفهم من النصوص المتقدمة، مع أن ذلك إنما يتم حين المواجهة بين الجيشين المتحاربين، فيجعل قسماً من الجيش يمينه، وقسماً منه

(١) البحار ج ٣٧ ص ٢٥٩ وكتاب الأم ج ٤ ص ١٧٥ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٢١٩ والمسترشد للطبري ص ٤٤٤.

ميسرة، وطائفة منه قلباً، وسواها يكون الجناحين، ويكون هناك خيالة، ورجالة، ومقدمة، وما إلى ذلك..

وأما في حال المسير، مع العلم بأن هنا ثمة مئات الأميال التي تحتاج إلى أيام وليالي كثيرة لقطعها عن جيش الأعداء، فإن ذلك لا يكون ضرورياً. بل قد يكون معيقاً لحركة الجيش..

الثالث: قد لفت نظرنا قولهم: إن أبا بكر حمل اللواء الأعظم، ثم قولهم: إن الزبير قد حمل الراية العظمى.. حيث لم يتأكد لدينا أن ثمة فرقاً بين اللواء والراية، حيث ينقلون عن بعض أهل اللغة أنه لا فرق بينهما^(١).

الرابع: إن النصوص المتقدمة تارة تقول: إن الراية العظمى كانت مع الزبير، وأخرى تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» جعل إليه راية المهاجرين.. إن ذلك كله يحتاج لمزيد من التأمل والتدبر.

خبير الفرار من الزحف:

١ - إن من الطبيعي أن يعطي المتخصصون بمنح الفضائل والكرامات لواء الجيش الأعظم لأبي بكر، ما دام أن علياً «عليه السلام» قد غاب عن ذلك المسير بأمر من الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»، لأن المدينة لا تصلح إلا به أو بأخيه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فإن أبا بكر كان يحتاج إلى هذا اللواء لكي يثبت أهليته لمقام القيادة، ولا خوف عليه، فإن هذا المسير ليس فيه حرب، ولا طعن ولا ضرب، لكي يخشى عليه من الفرار، وأن

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧ وراجع: نيل الأوطار ج ٨ ص ٦١ وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٤٣.

يولي عدوه الأدبار..

ولكن الحقيقة هي: أن أبا بكر لن ينتفع كثيراً من هذه الفضيلة المنحولة، فإنه قد أبان عن شجاعته، واقتداره، حين فر في أحد، وفي قريظة، وخيبر، وحنين، وذات السلاسل، و.. و..

وحين لم يجرؤ على مباشرة القتال في بدر، بل بقي معتصماً بأمنع حوزة، حيث أثر أن يكون مع النبي «صلى الله عليه وآله» الذي يفديه المسلمون بأرواحهم، ويدافعون عنه بكل وجودهم.. كما أنه أثر السكوت في الخندق، ولم نشهد له أي موقف شجاع في كل تاريخ الإسلام..

وماذا يفيد أن يحمل اللواء أبو بكر أو غيره في مشهد استعراضي، حيث لا عدو، ولا قتال.

وحتى لو واجه الأعداء، فهناك ثلاثون ألفاً من الرجال، لا بد أن يدفع بهم إلى ساحة المواجهة، حتى إذا أحس بأي خطر يتعرض له، فقد أعد للفرار عدته، وقد اكتسب طيلة تلك السنين، وفي المواجهات المختلفة خبرة عميقة في أساليب الهرب من خلال التجربة المتكررة لها في المواطن العديدة كلما أحس أحس بحاجة إلى ذلك.

٢- إن جميع الدلائل تشير إلى أن ثمة تزويراً في أمر الأولوية والرايات، ومن شأن ذلك أن يزيل الثقة بما يقولونه في هذا المجال..

إذ ما معنى قولهم: دفع اللواء الأعظم إلى أبي بكر، والراية العظمى للزبير، فقد تقدم: أن ثمة صعوبة في إثبات وجود فرق بين اللواء والراية..

بركات غزوة تبوك:

لقد كان لغزوة تبوك بركات وآثار هامة، فقد عرف الناس أنه «صلى الله عليه وآله» يقصد بحركته هذه إرهاب أعظم ملك في ذلك الزمن، وقد كتب إليه يدعوه إلى الإسلام أو الجزية، ثم أرسل إليه رسالة دعوة أخرى من بلاد يراها ذلك الطاغية جزءاً من مملكته وبلاده بعد أن وطأتها جيوش الإسلام، وبسط «صلى الله عليه وآله» نفوذه عليها، ونشر دعوته ودينه فيها..

وأصبحت مناطق منها تدين بالولاء لهذا النبي الكريم والعظيم، وتؤدي له الجزية..

وفي تبوك فتح الله له دومة الجندل، وأخذ ملكها. وفيها جاءه أسقف أيلة وهو يُحَنِّت بن ربيعة، ووفد عليه أهل أذرح، وسألوه الصلح على الجزية، ووفد إليه أهل مقنا وغيرهم^(١).

وكل ذلك من شأنه أن يؤلم قيصر، ويهيج أشجانه، ويهين كبرياءه، الشيطاني، ويثير حميته، وهو الرجل المغرور بنفسه وبملكه العريض، ولا يرى له نظيراً على وجه الأرض، وقد عاد لتوه من نصر عظيم على أعظم مملكة في زمانه، وهي مملكة الفرس التي كانت تجاربه، وتباريه، وتتقاسم معه الملك والنفوذ على الأرض كلها..

ثم إن مما يزيد الطين بلة والخرق اتساعاً بالنسبة لقيصر: أن يقف هذا

(١) راجع: التنبيه والإشراف ص ٢٣٦ ومكاتب الرسول للأحمدي ج ٢ ص ٤١٤ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٨.

الذي يصفونه بالعربي والمسلم بجيوشه على تخوم مملكته، ويطأ بجيوشه أطرافاً منها عزيزة عليه، ليطلب منه الإسلام أو الجزية!! فهل هناك من ذل وخزي لقيصر أعظم من هذا؟!!

وأية عزة هذه التي منحها الله لرسوله وللمؤمنين!!

ابن أبي في أحد كما في تبوك:

عن كعب بن مالك قال: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك يوم الخميس، وكانت آخر غزوة غزاها، وكان يستحب أن يخرج يوم الخميس^(١).

وعسكر عبد الله بن أبي معه على حدة، وكان عسكره أسفل منه نحو ذباب.

وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين^(٢).

فأقام ابن أبي ما أقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما سار رسول

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢ عن ابن سعد، وعبد الرزاق، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٧ وراجع: المجموع للنووي ج ٤ ص ٣٨٧ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٢٤٣ والمعجم الأوسط للطبراني ج ٢ ص ٧٤ ورياض الصالحين للنووي ص ٧٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢. وجامع البيان للطبري ج ١٠ ص ١٩٠، وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٣١، والبداء والنهاية ج ٥ ص ١٠، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٤٦، وغيرهم.

الله «صلى الله عليه وآله» نحو تبوك تخلف ابن أبي راجعاً إلى المدينة، فيمن تخلف من المنافقين، وقال: يغزو محمد بنى الأصفر، مع جهد الحال، والحر، والبلد البعيد إلى ما لا طاقة له به، يحسب محمد أن قتال بنى الأصفر معه اللعب، والله لكأنى أنظر إلى أصحابه مقرنين في الجبال، إرجافاً برسول الله «صلى الله عليه وآله» وبأصحابه^(١).

ونقول:

١ - قولهم: إن عسكر ابن أبي لم يكن أقل العسكرين، قال ابن حزم: وهذا باطل، لم يتخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا ما بين السبعين إلى الثمانين فقط^(٢).

٢ - إذا صح قولهم: أن ابن أبي تخلف عن تبوك، وصح أنه عسكر مع جماعة من أصحابه بصورة منفصلة عن باقي العسكر، فيمكن أن يكون الراوي قد ضخم الأمر، حتى ادّعى أن جماعة ابن أبي يضاھون بكثرتهم عسكر النبي «صلى الله عليه وآله»، لكي يبرئ ساحة جماعات أخرى قد يظهر أنهم تخلفوا وتسببوا بمشكلة كبيرة نزلت فيها الآيات التي تلوم وتقرّع..

أو لعل الراوي كان قد رأى جمعهم في بداية تكوين عسكر النبي «صلى الله عليه وآله»، حين كان لا يزال عددهم قليلاً جداً، وقبل قدوم العساكر

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢ و ٤٤٣ عن ابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد.. وراجع المصادر السابقة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢. وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠٢.

من سائر الجهات، فأخبر عما رآه في تلك الساعة، ثم تناقله الرواة فيما بعد من دون ملاحظة ذلك.

والذي نراه هو: أن الأمر كان كما ذكره هذا الراوي، وأن المنافقين كانوا بهذه الكثرة العظيمة، لأن أكثرهم قد اظهر الإسلام بعد فتح مكة، أي قبل مدة يسيرة من غزوة تبوك، فاقتضى ذلك نزول الآيات الكثيرة التي تؤنبهم على نفاقهم، وعلى ممارستهم الخبيثة التي تكاد تلحق أذى عظيماً في الإسلام، فنزلت أكثر آيات سورة التوبة لمعالجة هذا الواقع، فنجحت المحاولات، واستعاد النبي «صلى الله عليه وآله» قسماً كبيراً ممن تخلف، وبقيت طائفة منهم وهي أيضاً طائفة كبيرة وخطيرة أيضاً، وكانت تضمّر للإسلام شراً، ولم يكن يمكن السيطرة عليها، ومعالجة أمرها إلا بأمر المؤمنين «عليه السلام» أو النبي «صلى الله عليه وآله»، فخلّف «صلى الله عليه وآله» أمير المؤمنين «عليه السلام» أو النبي «صلى الله عليه وآله»، وسار هو بالجيش الذي هياؤه كما هو معلوم.

٣ - لقد تعلل ابن أبي لرجوعه مع غيره من المنافقين بخوفه من بني الأصفر، وهم الروم.. وبيعد الشقة، وثقل وخطورة المهمة، وبأنه يرى أن المسلمين سيتحولون إلى أسرى في يد أعدائهم.. مع أنه قد رأى من المعجزات على يد رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما لا يبقى عذراً لأحد في أي تخاذل عن نصرته.. لأن تلك المعجزات تضطره إلى الإيمان بأن النبي «صلى الله عليه وآله» متصل بالله تبارك وتعالى.. فلا بد من إطاعته، ما دام أنه لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

إنه قد رأى كيف انتصرت قلة قليلة من المسلمين على ما يفوقهم عدداً بأضعاف كثيرة، ولم تكن غزوة مؤتة إلا حجة دامغة على كل منافق لا يؤمن

١٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

يوم الحساب.. فضلاً عما جرى في بدر وخيبر، وحنين، والخذق، وقریظة، وغيرها..

نتائج تبوك معلومة سلفاً:

وهنا سؤال يقول:

قد صرح الشيخ المفيد: بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يعلم عن طريق الوحي بأن غزوة تبوك ستنتهي من دون حرب، فما معنى إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» على المسلمين بالمشاركة في هذا المسير؟!

ولماذا جاءت الآيات الكريمة في سورة التوبة بهذه الحدة والشدة؟!

ولماذا الإصرار على إدانة وتقبيح عمل من تخلف عن تلك الغزوة؟!

وما معنى أن يقول النبي «صلى الله عليه وآله» على المنبر: إن تهلك هذه العصاة لا تعبد في الأرض أبداً؟!

والجواب:

أولاً: قد ذكرنا أكثر من مرة: أن ما يطلع الله تعالى عليه نبيه «صلى الله عليه وآله» من الغيوب بوسائط غير عادية، فليس له أن يرتب الأثر عليه، ولا أن يأخذ الناس به..

ثانياً: إن السبب في عدم حصول القتال في تلك الغزوة هو نفس مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى جمع الجموع للتصدي لتدبير كانوا يخفونه، ويعتقدون أنه يخفى على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. حيث إن هذا الحشد الكبير سوف يرعبهم، وسيجعلهم يفكرون مرات ومرات قبل أن يقدموا على أي عمل عدواني.. ولا سيما بعد ما رأوه في مؤتة، حسبما

ثالثاً: إذا كانت المصلحة تكمن في تحصين أهل الإسلام من الخارج، بإلقاء الرعب في قلوب أعداء دينهم، و تحصين أهل الإيمان من الداخل بفضح أهل النفاق، وإبطال كيدهم، فذلك يحتم إخفاء نتائج المسير إلى تبوك عن كل أحد، إذ إن إظهارها سيفقد ذلك المسير معنى الجدية، ويحوله إلى حركة إستعراضية فاشلة، وغير ذات أثر.. هذا إن لم تصل أخبار ذلك إلى مسامع الروم وملكهم..

رابعاً: إن معلومية نتائج تبوك لا يضر بسلامة التصرف النبوي على المنبر، إذ لا شك في أنه إن تهلك تلك العصابة التي معه فإن الله لن يعبد في الأرض.. بل إن عدم مشاركة المسلمين في ذلك المسير، ربما يؤدي إلى هلاك هذه العصابة، حيث يطمع فيهم عدوهم، ويندفع لإيراد الضربة القاسمة والحاسمة بالإسلام وأهله، كما أنه قد يقوي من عزيمة أهل النفاق في الداخل، ويزيد من التمزق، والتناحر، ويفتح أمامهم نوافذ التوسع في التآمر وإشراك العدو الخارجي في ممارسة الضغوط الخائقة على أهل الإيمان. لا يدخل الجنة عاص:

قالوا: «ونادي منادي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا يخرج معنا إلا مقو، فخرج رجل على بكر صعب، فصرعه بالسويداء.
فقال الناس: الشهيد الشهيد!!

فبعث النبي «صلى الله عليه وآله» منادياً ينادي: لا يدخل الجنة عاص»^(١).

وأقول:

ولست أدري مدى صحة هذا الحديث.

فأولاً: إن ركوب ذلك الرجل بكراً صعباً لا يعني أنه خالف أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يختار دابة قوية، فإن البكر الصعب ليس ضعيفاً. ثانياً: سوف يأتي: أن أبا ذر قد لحق بالنبي «صلى الله عليه وآله» على بعير ضالع، فلم يسر معه إلا شيئاً يسيراً حتى اضطر إلى تركه، وحمل متاعه على ظهره، ولحق بالنبي «صلى الله عليه وآله» ماشياً. فهل كان أبو ذر عاصياً أيضاً، ولا يدخل الجنة؟!.

إلا أن يقال: إن كلام النبي «صلى الله عليه وآله» حول لزوم تهيئة مركوب مناسب لم يصل إلى مسامع أبي ذر.. وكان «صلى الله عليه وآله» عالماً بتعمد صاحب البكر الصعب مخالفة أوامره.. وهذا القول يحتاج إلى دليل، وإلا كان رجماً بالغيب!!

الفصل الرابع:

المتخلفون.. والمعدثرون
والبكأون.. واللاحقون

Handy Notes

Handy Notes
Handy Notes

أبو ذر يلحق بالنبي ﷺ :

عن ابن مسعود قال: لما سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك جعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان. فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه».

حتى قيل: يا رسول الله، تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه»^(١). وتلوّم أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ماشياً. قال محمد بن عمر: قالوا: وكان أبو ذر الغفاري يقول: أبطأت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك من أجل بعيري. وكان نضوا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٣ عن ابن إسحاق. وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢٢١، والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٥٠، والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٩٤، وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧١، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٣٢، وغيرهم.

١٦٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

أعجف، فقلت: أعلفه أياماً ثم ألحق برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فعلفته أياماً، ثم خرجت، فلما كنت بذى المروة أذمّ بي، فتلومت عليه يوماً فلم أر به حركة، فأخذت متاعي فحملته.

قال ابن مسعود: وأدرك رسول الله «صلى الله عليه وآله» في بعض منازلها، قال محمد بن عمر: قال أبو ذر: فطلعت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نصف النهار وقد أخذ مني العطش، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كن أبا ذر».

فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو - والله - أبو ذر.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، فكان كذلك.

فلما قدم أبو ذر على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبره خبره، فقال: «قد غفر الله لك يا أبا ذر بكل خطوة ذنباً إلى أن بلغتني».

ووضع متاعه عن ظهره، ثم استقى، فأتي بإناء من ماء فشربه^(١).

ونقول:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٣ و ٤٤٤ وقال في هامشه: أخرجه مسلم في التوبة باب ٩ (٥٣) والطبراني في الكبير ج ٦ ص ٣٨ وج ١٩ ص ٤٣ و ٨٥ والبيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢٢٣ و ٢٢٦ وانظر البداية لابن كثير ج ٥ ص ٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ١١ ص ٤٣. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٦٦ ص ١٨٦ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٣٨.

لا فرق بين أبي ذر وغيره:

ومبدأ الإسلام في التعامل صريح وصحيح، وهو لا يستثني قريباً حبيباً ولا نائياً غريباً.. ولذلك اطلق النبي «صلى الله عليه وآله» نفس المعيار، وطبقه على أبي ذر، ولم يظهر أي ليونة تجاهه.. وهو قوله: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله تعالى منه».

لأن المفروض: أن ما حصل عليه أبو ذر من مقام في الإسلام، ومن أوسمة على لسان الرسول «صلى الله عليه وآله» لم يحصل عليه باقتراح ومحابة منه «صلى الله عليه وآله»، بل حصل عليه بجهد وجهاد، رسم حدوده، وبين معاملة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأبي ذر وللناس كلهم، فاستفاد أبو ذر منه فريح، وتقاعس عنه آخرون وفرطوا فيه، فخسروا.

ومن جهة أخرى، فإنه لا بد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يراعي جانب العدل والإنصاف في كل مفردات تعامله، فإذا كان من الجائز على كل أحد سوى الأنبياء وأوصيائهم أن يحدث لهم تراجع أو اختلال في سلوكهم، نتيجة لسوء اختيارهم أو تقصيرهم، أو لغير ذلك من أمور، فإنه لا بد أن يلتزم بذلك أيضاً بالنسبة لأبي ذر، لأنه هو الآخر من الناس الذين يملكون اختياراً، ويتعرضون للخطأ، والتقصير لوسوسات الشيطان.

وهذا بالذات هو ما التزم به النبي «صلى الله عليه وآله» حين أطلق نفس القول بحق أبي ذر الإنسان.. كما كان أطلقه في حق كل من يحمل صفة الإنسانية..

فسيلحقه الله:

وقول النبي «صلى الله عليه وآله»: إن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم.. لا يريد أن يؤكد به مبدأ الجبر، والتصرف التكويني في البشر إلى حد سلب اختيارهم.. بل هو يريد أن الله تعالى سيمنحه توفيقاته، وسيفتح له أبواب الهداية، ليختار هو لنفسه ما ينجيها، ويعينه عليها لتذليل جماعها، والرضا بما فيه صلاحها، ونجاحها، وفلاحها.

مقايسة بين نوعين من الناس:

ولا أدري كيف تمكن المقارنة بين أولئك الباحثين عن المسارب، والمهارب للتملص من هذا المسير الجهادي، وهم أهل الأموال الكثيرة، التي تمكنهم من تذليل صعاب ذلك السفر، وتهوين مشاقه، ويطمعون بدلاً عن ذلك - بالتنعم بنسمة عليّة، أو ثمرة يانعة.. وبين هذا الذي يجهد ليمنح بغيره شيئاً من القوة ليستفيد منه في طريق الجهاد، ولكنه حين يعجز عن ذلك، فإنه يتركه في أوائل ذلك الطريق الطويل جداً، ويحمل ثقله على ظهره، ويسير في تلك الصحراء القاحلة في أيام القيقظ والحر، يواجه بوجهه لفحات الهجير، ويعرض نفسه لمخاطر الموت جوعاً أو عطشاً، أو لأخطار الإفتراس، من حيواناتها الكاسرة، أو لأخطار نهشات أفاعيها وحيّاتها، التي عادة ما تكون في أيام القيقظ هائجة.

فبأي شيء كان يطمع أولئك إلا بحطام الدنيا وزخرفها الزائل؟! وبأي شيء كان يطمع أبو ذر إلا بالثواب والأجر، وبالشهادة في سبيل الله تعالى؟!!

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والباكؤون واللاحقون ١٦٩ كن أبا ذر:

وقد ظهر من قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك الذي جاء وحده إلى تبوك: «كن أبا ذر»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد فصل بين موقفه في تعامله المباشر مع الحالة العامة للناس، ووضع الأسس الصحيحة لهذا التعامل، وبين تعامل آخر، صحيح وسليم أيضاً، وهو حقه في أن يعبر عما يحتفظ به من قناعات عن الأشخاص فيما يرتبط بملكاتهم وخصائصهم، وطبيعة تكوينهم الروحي، وسلوكهم الشخصي. فتوقع!! أن يكون ذلك القادم وحده من قلب الصحراء أبا ذر الذي عرف أخلاقه، وما يحمله من مبادئ، وطبيعة سلوكه ومواقفه..

يموت وحده، ويبعث وحده:

وكما كان إبراهيم أمة عابداً وخاضعاً وقائناً لله، فإن أبا ذر كان أمة قانناً لله وخاشعاً له، ويعيش الاستقلالية والغنى عن الارتباط بأي شيء آخر سوى الله تعالى، فهو يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث يوم القيامة وحده، لم يجعل أي شيء في وجوده مرتهاً ولا مقيداً بأي شيء آخر. ولا يعبد شيئاً غير الله، ولا يقيم وزناً لأي شيء سواه. وهذه مرتبة جليلة لا يصل إليها إلا الصفوة من أهل التقوى، الذين حرروا أنفسهم من أي ارتباط بها في هذه الحياة الدنيا..

وما يؤكد ذلك ويوضحه: أن الروايات قد جاءت لتؤكد على غربة الدين وأهله عن هذه الدنيا وعن أهلها، ليكون أبو ذر «رضوان الله عليه» مصداقاً لقول النبي «صلى الله عليه وآله»: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود

غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»^(١).

وزاد في نص آخر: فقيل: ومن هم يا رسول الله؟

قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس، إنه لا وحشة ولا غربة على مؤمن، وما من مؤمن يموت في غربته إلا بكت عليه الملائكة رحمة له، حيث قلت بواكيه، وفسح له في قبره بنور يتلأأ من حيث دفن إلى مسقط رأسه^(٢). وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: «المؤمن غريب، وطوبى للغرباء»^(٣). وروي أيضاً عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم»^(٤).

أبو خيثمة وعمير بن وهب أيضاً:

قالوا: لما سار رسول الله «صلى الله عليه وآله» أياماً دخل أبو خيثمة على أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه، وقد رشت كل منهما عريشها وبردت له فيه ماء، وهيات له فيه طعاماً، فلما دخل

- (١) البحار ج ٨ ص ١٢ وج ٥٢ ص ٣٦٧ و ١٩١ وج ٢٥ ص ١٣٦ وج ٢٤ ص ٣٢٨ وج ٧٤ ص ٩٧. وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج ١ ص ٢١٨، وإكمال الدين ص ٦٦ و ٢٠١، وكتاب الغيبة للنعماني ص ٣٣٦، وغيرهم.
- (٢) البحار ج ٦٤ ص ٢٠٠. ومستدرک الوسائل ج ١١ ص ٣٢٣، والنوادر للراوندي ص ١٠٢-١٠٣، وغيرهم.

(٣) المحاسن للبرقي ج ١ ص ٢٧٢. والكافي ج ١ ص ٣٩١.

(٤) البحار ج ٧٥ ص ٨١ وكشف الغمة للأربلي ج ٣ ص ١٣٩ و ١٤١. وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص ٥٢، والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ١٠٥٥.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعدرون والباكون واللاحقون ١٧١

قام على باب العريش فنظر إلى امرأته وما صنعتا له فقال: سبحان الله! رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الضحك والريح والحر، يحمل سلاحه على عنقه، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهياً، وامرأة حسنة، في ماله مقيم؟! ما هذا بالنصف!

ثم قال: والله، لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهيئاً لي زاداً.

ففعلتا، ثم قدّم ناضحه فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق يطلب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً، فلا عليك أن تحلّف عني حتى آتي رسول الله «صلى الله عليه وآله». ففعل.

حتى إذا دنا من رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كن أبا خيثمة». فقال رجل: هو والله، يا رسول الله أبو خيثمة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أولى لك يا أبا خيثمة».

ثم أخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخبر.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: خيراً، ودعا له بخير.

قال ابن هشام: وقال أبو خيثمة في ذلك:

ولما رأيت الناس في الدين نافقوا	أتيت التي كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدي لمحمد	فلم أكتسب إنثماً ولم أغش محرما
تركت خضيباً في العريش وصرمة	صفايا كراماً بسرهما قد تحمما

وكننت إذا شك المنافق أسمعحت إلى الدين نفسي شطره حيث يما^(١)
ونقول:

إننا لا ندري مدى صحة هذا الحديث، الذي يبدو لنا أنه ينتهي إلى ابن إسحاق، غير أن من الواضح: أن أبا خيثمة - كما أظهره النص المنقول عن ابن إسحاق - قد تعمد في بادئ الأمر التخلف عن المسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى تبوك، رغم قدرته المالية على ذلك، فلا معنى لجعله في مصاف أبي ذر الذي حاول جهده أن يهيم بعيره لحمله. فلم يفلح فبادر إلى السير على قدميه حاملاً ثقله على ظهره في ذلك الجو القاطظ، وذلك السفر الطويل، الذي هو أطول أسفار رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزواته.

فإن لم يكن الهدف هو إيجاد شركاء لأبي ذر في هذا الفضل العظيم الذي حازه كما ربما يوحي به التشابه بين ما نسب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» من أنه قال: «كن أبا خيثمة». كقوله: «كن أبا ذر». فإننا لا نمنع من أن يكون شخص أو شخصان كأبي خيثمة وعمير بن وهب قد راجعا حساباتهما، فوجدا أن من الخير أن لا يحسبا في معسكر النفاق، وفي موقع المعلن بالعصيان لأوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله».. لا سيما وهما يريان أن الإسلام يزداد انتشاراً، وقوة وشوكة، وعظمة ونفوذاً..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٤ و ٤٤٥ عن الطبراني، وابن إسحاق، والواقدي، والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٤.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ١٧٣

غير أن الغريب في الأمر هو: أن حديث أبي خيثمة قد تضمن إشارة تتناقض مع ما يسعى إليه الراوي من تلميع لصورة أبي خيثمة، وذلك انه «صلى الله عليه وآله» قال: «أولى لك يا أبا خيثمة». وهذه الكلمة - كما ذكره العلماء - لعلها أكثر ظهوراً في التعبير عن عدم الرضا.

وقد ذكروا: أنها تستعمل في مقام التهديد كما قاله الأصمعي. وقيل: أولى لك، اسم فعل مبني، ومعناه: وليك شر، أو المراد: الهلاك أولى لك، أو أولى لك ما تكرهه. وقد كثر استعماله في مثل هذه المعاني، حتى صار بمنزلة: التويل لك^(١).

البكاؤون الذين لا يجد ما يحملهم عليه:

قال الصالح الشامي:

وروى ابن جرير، وابن مردويه، عن ابن عباس وابن جرير عن محمد بن كعب القرظي، وابن إسحاق، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن الزهري، ويزيد بن رومان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن محمد بن عمر بن قتادة وغيرهم: أن عصابة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» جاؤوه يستحملونه، وكلهم معسر ذو حاجة لا يحب التخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ

(١) راجع: تفسير الميزان ج ٢٠ ص ١١٤ و ١١٥ وج ١٨ ص ٢٣٩.

الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٧٤﴾»، وهم سبعة.

واختلفوا في أسمائهم، فالذي اتفقوا عليه: سالم بن عمير، من بني عمرو بن عوف الأوسي، وعلبة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب. وهرمي بن عبد الله.

والذي اتفق عليه القرظي، وابن إسحاق، وتبعهم ابن سعد، وابن حزم، وأبو عمرو، والسهيلي ولم يذكر الأخير، والواقدي: عرباض بن سارية، وحزم بذلك ابن حزم، وأبو عمرو، ورواه أبو نعيم عن ابن عباس. والذي اتفق عليه القرظي، وابن عقبة، وابن إسحاق: عبد الله بن مغفل المزني، وفي حديث ابن عباس: عبد الله بن مغفل فيهم.

وروى ابن سعد، ويعقوب بن سفيان، وابن أبي حاتم، عن ابن مغفل قال: إني لأجد الرهط الذين ذكر الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ الآية.

والذين اتفق عليهم القرظي وابن عمر: سلمة بن صخر، ولفظ القرظي: سلمان.

والذي اتفق عليه القرظي وابن عقبة: عمرو بن عَنَمَة بن عدي، وعبد الله بن عمرو المزني. حكاه ابن إسحاق قولاً بدلاً عن ابن مغفل، وانفرد القرظي بذكر: عبد الرحمن بن زيد أبي عبلَة من بني حارثة، وبذكر: هرمي بن عمرو من بني مازن.

قال محمد بن عمر: ويقال: إن عمرو بن عوف منهم.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ١٧٥

قال ابن سعد: وفي بعض الروايات من يقول فيهم: معقل بن يسار، وذكر فيهم الحاكم حرمي بن مبارك بن النجار، كذا في المورد.

ولم أر له ذكراً في كتب الصحابة التي وقفت عليها.

وذكر ابن عائد فيهم: مهدي بن عبد الرحمن، كذا في العيون، ولم أر له ذكراً فيما وقفت عليه من كتب الصحابة.

وذكر فيهم محمد بن كعب: سالم بن عمرو الواقفي.

قال ابن سعد: وبعضهم يقول: البكاؤون بنو مقرن السبعة، وهم من مزينة انتهى، وهم: النعمان، وسويد، ومعقل، وعقيل، وسنان، وعبد الرحمن والسابع لم يسم، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: النعمان، وقيل: ضرار، وقيل: [...] وحكى ابن فتحون - قولاً - أن بني مقرن عشرة، فيتعين ذكر السبعة منهم.

وذكر ابن إسحاق في رواية يونس وابن عمر: أن عبلة بن زيد لما فقد ما يحمله، ولم يجد عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يحمله، خرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله تعالى، ثم بكى وقال: اللهم إنك أمرتنا بالجهاد ورغبت فيه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها في مال أو جسد أو عرض.

ثم أصبح مع الناس، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أين المتصدق هذه الليلة؟» فلم يقم أحد.

ثم قال: «أين المتصدق فليقم؟» فقام إليه فأخبره.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أبشر، فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة».

قال ابن إسحاق، ومحمد بن عمر: لما خرج البكاؤون من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقد أعلمهم أنه لا يجد ما يحملهم عليه لقي يامين بن عمرو النضري أبا ليلى وعبد الله بن مغفل وهما يبيكان. فقال: ما يبيكيكما؟ قالوا: جئنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج، ونحن نكره أن تفوتنا غزوة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأعطاهما ناضحاً له، وزود كل واحد منهما صاعين من تمر. زاد محمد بن عمر: وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين، وحمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة نفر بعد الذي جهز من الجيش^(١). انتهى. ونقول:

قد سقنا كلام هذا الرجل لنين مدى الاختلاف في أساء هؤلاء وقد اقتصرنا على هذا المقدار، والمراجعة إلى سائر المصادر، ومقارنة نصوصها، سوف تزيد من حدة وسعة هذه الاختلافات. وليس المقصود هو التحقيق حول هذا الأمر، بل المقصود هو لفت نظر القارئ إلى حرص الرواة على تخصيص هذه الفضيلة أو تلك بمن لهم فيه هوى، أو مصلحة.. وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أنهم يتعاملون مع روايات السيرة بمنطق المتفع والمستفيد، لا بمنطق الأمانة على الحق والحقيقة.. فإنا لله وأنا إليه راجعون..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٨ - ٤٤٠ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٤٨ وراجع: إمتاع الأسماع ج ٢ ص ٤٩.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ١٧٧
النبي ﷺ لا يجد ما يحمل عليه أبا موسى، ثم يجد:

عن أبي موسى الأشعري قال: أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفر من الأشعريين ليحملنا، وفي رواية: أرسلني أصحابي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسأله لهم الحملان، فقلت: يا رسول الله إن أصحابي أرسلوني لتحملهم.

فقال: «والله لا أحملك على شيء، وما عندي ما أحملك عليه». ووافقته وهو غضبان ولا أشعر.

فرجعت حزينا من منع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن مخافة أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجد في نفسه، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم بالذي قال رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم جيء رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنهب إبل فلم ألبث إلا سوية إذ سمعت بلالاً ينادي: أين عبد الله بن قيس؟

فأجبته، فقال: أجب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يدعوك.

فلما أتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «خذ هذين القرينين، وهذين القرينين، وهذين القرينين»، لستة أبعة ابتاعهن حينئذ من سعد.

وفي رواية: فأمر لنا بخمس ذود غر الذرى، فقال: «انطلق بهن إلى أصحابك، فقل: إن الله - أو قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» - يحملكم على هؤلاء، فاركبوا».

قال أبو موسى: فانطلقت إلى أصحابي فقلت: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحملكم على هؤلاء، ولكن والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين سألته

لكم، ومنعه في أول مرة، ثم إعطائه إياي بعد ذلك، لا تظنوا إني حدثكم شيئاً لم يقله.

فقالوا لي: والله إنك عندنا لمصدق، ولنفعلن ما أحبيت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا مقالة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من منعه إياهم، ثم إعطائه بعد ذلك، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى.

قال أبو موسى، ثم قلنا: تغفلنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يمينه، والله لا يبارك لنا، فرجعنا فقلنا له.

فقال: «ما أنا حملتكم، ولكن الله حملكم».

قال: «إني والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت التي هي خير وتحملتها».

فقال: «كفرت عن يميني»^(١).

ونقول:

إننا لا نريد أن نقول هنا: في كل واد أثر من ثعلبة، إذ قد ينسبنا البعض

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٠ عن البخاري ومسلم، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ١١ ص ٦٠١ (٦٧١٨) ومسلم ج ٣ ص ١٢٦٩ (١٦٤٩/٧)، والمجموع للنووي ج ١٨ ص ١١ والمدونة الكبرى ج ٢ ص ١٠٢ وراجع: الشرح الكبير لابن قدامة ج ١١ ص ١٩٩ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٩ ص ١٣٥ وصحيح البخاري ج ٧ ص ٢١٧ وصحيح مسلم ج ٥ ص ٨٢ وسنن ابن ماجه ج ١ ص ٦٨١ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٩٦ وسنن النسائي ج ٧ ص ١٠ والمستدرک للحاکم ج ٤ ص ٣٠١.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ١٧٩

إلى التعسف في إطلاق التهمة، واللجوء إلى التجني، والإمعان في ذلك بلا مبرر أو داع إلى ذلك.

غير أننا نسجل من تحفظاتنا الكثيرة على النص المتقدم ما يلي:

لا حافظة لكذوب:

وقد اختلفت الروايات هنا بصورة لافتة، ونحن نكتفي بما قاله المتحذلقون لدفع غائلة هذه الاختلافات، وسيرى القارئ الكريم كم هي تعسفية وممجوجة، لا تليق بمن ينسب نفسه إلى العلم، أو يدّعي لنفسه اليسير من الإنصاف.

قال الصالحى الشامى:

قول أبي موسى: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «خذ هذين القرينين، وهذين القرينين، أي الجملين المشدودين أحدهما إلى الآخر» لسته أبصرة، لعله قال: هذين القرينين ثلاثاً، فذكر الرواة مرتين اختصاراً. ولأبي ذر، عن الحموي، والمستملي: وهاتين القرينتين وهاتين القرينتين، أي الناقتين.

وفي رواية في باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن في الصحيح: فأمر لنا بخمس ذود.

وفي باب الإستثناء في الأيمان: بثلاثة ذود.

والرواية الأولى تجمع بين الروايات، فلعل رواية الثلاثة باعتبار ثلاثة أزواج، ورواية الخمس باعتبار أن أحد الأزواج كان قرينه تبعاً، فاعتد به تارة ولم يعتد به أخرى.

١٨٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

ويمكن أن يجمع بينهما: بأنه أمر لهم بثلاثة ذود أولاً، ثم زادهم اثنين، فإن لفظ زهدم أحد رواة الحديث: ثم أتى بنهب، ذود، غر الذرى، فأعطانا خمس ذود، فوقعت في رواية زهدم جملة ما أعطاهم، ورواية غيلان: مبدأ ما أمر لهم به، ولم يذكر الزيادة.

وأما رواية: خذ هذين القرنين، ثلاث مرار، وفي رواية: ستة أبصرة، فعلى ما تقدم أن تكون السادسة كانت تبعاً، فلم تكن ذودتها موصوفة بذلك.

قال الحافظ في رواية: ستة أبصرة، إما أن يحمله على تعدد القصة، أو زادهم على الخمس واحداً.

وقال: في رواية أبي موسى قال: أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنهب إبل، فأمر لنا بخمس ذود.

وفي رواية بعد قوله: «خذ هذين القرنين» ابتاعهن من سعد.

ولم ينه الحافظ على الجمع بين الروايتين فيحتمل - والله أعلم - أن يكون ما جاء من النهب أعطاه لسعد، ثم اشتراه منه لأجل الأشعرين، ويحتمل على التعدد^(١). انتهى.

والله لا أحملكم على شيء:

ثم إننا لا نرى أن ثمة تناقضاً في قوله: «والله لا أحملكم على شيء، ولا

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٠ و ٤٨٠ وراجع: صحيح البخاري ج ٥ ص ١٢٩ وصحيح مسلم ج ٥ ص ٨٣ وفتح الباري ج ٨ ص ٨٥ ومسند أبي يعلى ج ١٣ ص ٢٤٢ و ٢٨٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٠.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ١٨١

عندي ما أحلكم عليه»، حيث أراد بقوله هذا «لا أحلكم على شيء» أنه يرفض معونته بشيء حتى لو كان عنده ما يحملهم عليه، فكيف إذا لم يكن عنده شيء يعينهم به ويحملهم عليه، كما هو حاله في تلك الساعة؟!

المتخلفون والمعذرون من الأعراب:

قال محمد بن عمر وابن سعد عن المعذرين من الأعراب والمتخلفين: «وهما اثنان وثمانون رجلاً من بني غفار، وأنزل الله: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ لَكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)^(٢)».

(١) الآيات ٦٨ - ٩٣ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٠ و ٤٤١ عن الواقدي وابن سعد.

١٨٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

قال ابن عقبة: وتخلّف المنافقون، وحدّثوا أنفسهم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يرجع إليهم أبداً، فاعتذروا. وتخلّف رجال من المسلمين بأمر كان لهم فيه عذر، منهم السقيم والمعسر^(١).

قال محمد بن عمر: وجاء ناس من المنافقين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليستأذّنوه في القعود من غير علة، فأذن لهم، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً^(٢).

وعن جابر بن عبد الله: استدار برسول الله «صلى الله عليه وآله» رجال من المنافقين حين أذن للجد بن قيس يستأذّنون يقولون: يا رسول الله، ائذن لنا فإنّا لا نستطيع أن نغزو في الحر، فأذن لهم، وأعرض عنهم^(٣).

وجاء المُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ، فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم الله.

قال ابن إسحاق: وهم نفر من بني غفار.

قال محمد بن عمر: كانوا اثنين وثمانين رجلاً، منهم، خفاف بن أبياء^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٨ عن ابن عقبة، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٤٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٨ عن الواقدي، وراجع: مسند أحمد ج ٣ ص ٤٥٧ وصحيح البخاري ج ٥ ص ١٣١ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١٠٧ و السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٣٤ وفتح الباري ج ٨ ص ٨٩ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٤٩ والسنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٢٦٦ والمعجم الكبير ج ١٩ ص ٤٨ والدر لابن عبد البر ص ٢٤٤.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٨ عن ابن مردويه، وفي هامشه عن: البيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٣١٨ وعن الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٨.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والكاؤون واللاحقون ١٨٣
بنو غفار هم المنافقون المُعَذَّرُونَ:

بالنسبة للمُعَذَّرِينَ من بني غفار نقول:

١ - إذا كان المنافقون من أهل المدينة لم يكونوا من قبيلة بعينها، بل كانوا منتشرين في جميع القبائل، وإذا كان النفاق منتشرًا أيضاً في الأعراب حول المدينة في قبائل مختلفة مثل: غفار، وأسلم، وجهينة، ومزينة.. فلا نرى ما يبرر كون المُعَذَّرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ وهم اثنان وثمانون رجلاً من خصوص قبيلة غفار.

٢ - إن الآيات الكريمة قد صرحت: بأن المُعَذَّرِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ كانوا من الأغنياء، فما هذا الغنى الواسع الذي كان في بني غفار؟!
وأيّن كان سائر الأغنياء من المنافقين في سائر القبائل؟!

٣ - وهل تخلف هؤلاء الثمانين كان سيؤثر على جيش يبلغ عدده ثلاثين ألفاً، حتى ينزل القرآن في حقهم بهذه الحدة والشدة؟! وأية خطورة يشكلها هذا العدد القليل على المسلمين، وهم بهذه الكثرة والقوة؟!
إننا نظن أن ثمة تعمداً لإلقاء التهمة على فريق بعينه، لعله كان هو الأضعف سياسياً، ولم يكن فيهم أحد يؤسف عليه من صنائع السياسة، وبذلك يمكنهم حفظ فرقاء آخرين من أن تحوم حولهم الشبهات، لو تركت الأمور على طبيعتها..

التزوير في حديث المخذلين:

قالوا: كان رهط من المنافقين يسرون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة، منهم:

وديعه بن ثابت، أخو بني عمرو بن عوف.
والجلاس بن سويد بن الصامت.
ومُخَشَّن بالنون - قال أبو عمرو وابن هشام مَخْشِي بالتحية - ابن حمير
من أشجع، حليف لبني سلمة.
زاد محمد بن عمر: ثعلبة بن حاطب^(١).

فقال بعضهم لبعض، عند محمد بن عمر: فقال ثعلبة بن حاطب:
أتحسبون جلاد بني الأصفر كجلاد العرب بعضهم بعضاً، لكأني بكم غداً
مقرنين في الحبال، إرجافاً برسول الله «صلى الله عليه وآله» وإرهاباً للمؤمنين.
وقال الجلاس بن عمرو - وكان زوج أم عمير، وكان ابنها عمير يتيماً في
حجره -: والله لئن كان محمد صادقاً لنحن شر من الحمير.

فقال عمير: فأنت شر من الحمير، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» صادق وأنت الكاذب.

فقال مخشَّن بن حمير: والله لو ددت أن أقاضي على أن يضرب كل رجل
منا مائة جلدة، وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقاتلكم هذه!!.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعمار بن ياسر: «أدرك القوم فإنهم
قد اخترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلتكم كذا وكذا»^(٢).

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٥ وراجع ص ٤٤٣ عن الواقدي وابن إسحاق.
(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٥ وقال في هامشه: أنظر المغازي للواقدي ج ٣
ص ١٠٠٣. وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٢ والدر المشور ج ٣
ص ٢٥٤ و ٢٥٥ عن ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وراجع ما عن
أبي الشيخ، والفريابي، وابن مردويه.

«فانطلق عمار إليهم فقال لهم ذلك، فأتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على ناقته، وقد أخذ وديعة بن ثابت بحقيبها، ورجلاه تسفيان الحجارة وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(١).

وحلف الجلاس ما قال من ذلك شيئاً، فَأَنْزَلَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢).

وقال مُحَسَّن: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي، فسأه رسول الله «صلى الله عليه وآله» عبد الرحمن أو عبد الله، وكان الذي عُفِيَ عنه في هذه الآية، وسأل الله تعالى أن يُقتل شهيداً ولا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليامة،

(١) الآيتان ٦٥ و ٦٦ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٧٤ من سورة التوبة.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٥ وراجع: البرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٤٠ عن تفسير القمي، وراجع: الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٤ و ٢٥٥ عن ابن مردويه، وعبد الرزاق، وابن المنذر، وإبي الشيخ.

ولم يعرف له أثر^(١).

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم العديد من الوقفات:

تضخيم القضية لماذا؟!

قد ذكرت النصوص المتقدمة: أن من الذين خرجوا رجاء الغنيمة أربعة نفر، تكلموا فيما بينهم بكلام بعينه، فأخبر الله تعالى نبيه بمقالتهم، وبما سيعتذرون به عنها.

غير أننا نقول:

ألف: إن ذلك غير مقبول ولا معقول، إذ إن أحداً لا يتوقع، أو قل: لا يستطيع أن يرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتابع كلمة صدرت أو حواراً دار بين أربعة أشخاص فقط، من بين ثلاثين ألفاً، ثم تنزل في ذلك الآيات بالتوبيخ والتقريع، فإن المتابع للأمر يرى في هذا الأمر اهتماماً غير مبرر بالأمر الصغيرة، وإنه لا معنى لإشغال النفس بها وهي غير ذات قيمة، وهذا معناه: أن الأمر كان أعظم خطراً، وأشد ضرراً، إن لم نقل: إن ذلك الخطر كان شاملاً وهائلاً حتى أوجب هذا المستوى من التصدي

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٦ والبرهان ج ٢ ص ١٤١ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٤ عن ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وراجع: كتاب التواوين لابن قدامة ص ٩٣ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٣١ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٨١ وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٧٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٤٢ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٥٢.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ١٨٧
والتحدي من الله ورسوله.

وأما لو كان الأمر محصوراً بأربعة أشخاص، أو حتى بعشرات، فلا مبرر لشيء من ذلك إلا أن يكون هؤلاء الأشخاص من ذوي التأثير القوي في الناس، وقد جاء كلامهم المثير في سياق التآمر، والكيد الخطير على الإسلام وأهله.

ب: إن الآيات نفسها قد تضمنت ما يدحض مزاعم هذه الروايات، لأنها تقول: ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾^(١). الظاهر في وجود جماعات وطوائف شاركت في هذا الأمر.

مع أن الرواية تقول: إن رجلاً واحداً فقط هو الذي لم يشارك في مقالة رفاقه الثلاثة.. والشخص الواحد لا يقال له طائفة..

وقول الفقهاء والمفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) بأن أقله واحد^(٣).

ويشهد له: ما روي عن غياث بن إبراهيم في ذلك^(٤). لا يصلح نفصاً لما

(١) الآية ٦٦ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٢ من سورة النور.

(٣) المبسوط للشيخ الطوسي ج ٥ ص ٢٢٣ والخلاف ج ٥ ص ٣٧٤ والسرائر لابن إدريس ج ٣ ص ٤٥٣ وجامع الخلاف والوفاق ص ٥٨٥ وعمدة القاري ج ٢٤ ص ١٣ والبيان ج ٧ ص ٤٠٦ وتفسير مجمع البيان ج ٧ ص ٢١٩ وجامع البيان للطبري ج ١٨ ص ٩١ وتفسير الثعلبي ج ٧ ص ٦٤ وتفسير البغوي ج ٣ ص ٣٢١ والفصول في الأصول للجصاص ج ٣ ص ٩٥.

(٤) التهذيب ج ١٠ ص ١٥٠ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٨ ص ٣٧ والوسائل =

١٨٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

نقول، لأننا لو عملنا بهذا الخبر فإنه يقتصر منه على مورد النص، فيكون تعبداً شرعياً لاستقرار الفهم العرفي لكلمة طائفة في المورد على خلافه. وقد اختلفت رواياتهم فيه، هل هو مخشي بن عمرو^(١). أم هو يزيد بن وديعة^(٢).

وحين أخرجتهم كلمة: «طائفة» الدالة على أن ثمة جماعة تجرأت، وجماعة أخرى تخرجت، وتراجعت حتى استحقت العفو، بادروا إلى التصرف في لغة العرب..

فنسبوا إلى الكلبي أنه قال: إنه تعالى «سمى طائفة وهو واحد»^(٣). ونسبوا إلى ابن عباس قوله: «الطائفة الرجل والنفر»^(٤). وإلى مجاهد قوله: «الطائفة الواحد إلى الألف»^(٥).

= (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢٨ ص ٩٣ وجامع المدارك ج ٧ ص ٥٣ وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٥٧١.

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٤ و ٢٥٥ عن ابن إسحاق، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وابن إسحاق.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٥ عن عبد الرزاق، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٥ عن عبد الرزاق، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وراجع: تفسير القرآن للصنعاني ج ٢ ص ٢٨٣ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٣٤٥ وراجع: جامع البيان للطبري ج ١٠ ص ٢٢٢.

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٥ عن ابن أبي حاتم، وفتح القدير ج ٢ ص ٣٧٨ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٣١.

(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٥ عن عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وعمدة القاري ج ١ ص ٢٠٩ وج ٦ ص ٣٥ وجامع البيان للطبري ج ١٨ ص ٩١ والمحرم =

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ١٨٩
وإلى ابن عباس قوله: «الطائفة رجل فصاعداً»^(١).

ج: إن الروايات قد صرحت: بأن الذين يحلفون ما قالوا، هم نفس هؤلاء الثلاثة. والآيات قد صرحت أيضاً بأن الذين يحلفون هم الذين هموا بما لم ينالوا.

وقد ذكرت الروايات: أن المراد بهم هم الاثنا عشر الذين نفروا النافقة بالنبي «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة. وقد وردت أسماءهم في بعض تلك الروايات.

فما معنى حصر القضية برمتها في هؤلاء الثلاثة، بل في واحد منهم، مع العلم بأنهم أشخاص لا يعرف عنهم إلا النزر اليسير، بل لعل بعضهم شخصية وهمية.

حقيقة القضية:

ولأجل ذلك نقول:

إن هذه القضية قد تعرضت لتزوير هائل وعجيب، وقد ذكرت الآية نفسها دقائق وتفصيل حاسمة، تمنع من تصديق هؤلاء المزورين ومن الإصغاء لهذه الترهات، وتدل الناس على حقيقة هؤلاء الناس، وتشي بأن ثمة مؤامرة عظيمة وهائلة قد فشلت، وأن الإعتذار بالخوض وباللعب كان يقصد به التملص من تبعات فشل هذه المؤامرة، وأن طائفة منهم قد

= الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٤ ص ١٦٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٣

ص ٢٧٢ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٥ وج ٦ ص ٩٠ ولسان العرب ج ٩ ص ٢٢٦.

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٥ عن عبد بن حميد، وتفسير ابن زمنين ج ٣ ص ٢٢١.

ارتكبوا جريمة تستحق العذاب.

فقد عبرت الآيات بالخوض، الذي يعبر به عن الكلام في الأمور الباطلة، وباللعب، الذي هو تعبير عن حركة عملية، لا تهدف إلى تحقيق أمر عقلائي، بل هدفها مجرد اللعب، وهذا معناه: أن الأمر لم يقتصر على الكلام الباطل، بل تعداه إلى فعل باطل زعموا أنهم قصدوا به اللعب، ليبعدوا الشبهة عن حقيقة نواياهم ومقاصدهم به..

ثم بينت الآية الأخرى، وهي آية يخلفون بالله ما قالوا: أن هؤلاء قد هموا بما لم ينالوا. فما هو هذا الشيء الذي هموا به ولم ينالوه.. ثم إنه ولا شك شيء خطير وكبير، لأن الله تعالى يتوعدهم عليه بعذاب دنيوي وأخروي.. وهذا التوعد بالعذاب يدل على: أن هذا الذي هموا به قد صاحبه حركة وفعل استحقوا العقوبة عليه.

ولا شك في أن دعواهم اللهو واللعب لو كانت للتستر على الأقوال فقط لكانت تكفي لدفع الشبهة، ودرء العقوبة الدنيوية، فإن الحدود تدرأ بالشبهات.

فالإصرار على ثبوت العقوبة، وعدم الالتفات لهذه التعليقات يدل على أن ما ادَّعوه لا يكفي لدفع الشبهة عن الفعل الذي قاموا به..

فمن خلال ذلك كله نصل إلى نتيجة مفادها: أن هذه الآيات لم تنزل في قصة الجلاس، ووديعة، ومخشن، وثعلبة.. بل نزلت في قضية محاولتهم قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين نفَّروا ناقته به ليلة العقبة لكي تلقي به في الوادي، ويقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولكنهم لم ينالوا ما أملوه..

وقد أظهرت طائفة من النصوص: أن الذين فعلوا ذلك هم من

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ١٩١

الأعيان المعروفين، والمؤثرين الذين تعلق عليهم قريش آمالها في كل ما أهمها.. وقد كانوا عند حسن ظنّها، وسعوا في تلبية رغباتها، وحفظ مصالحها في الحالات الصعبة، التي مرت بقريش في مواجهاتها مع النبي «صلى الله عليه وآله»..

وقد ذكرت الروايات أسماء هؤلاء بالتفصيل، وكان حذيفة بن اليمان يعرفهم بأسمائهم، ولطالما سأله بعض أعيان الصحابة عن نفسه، إن كان يعرف أنه كان منهم، كما سنشير إليه إن شاء الله..

كما أن الروايات قد صرحت بما ذكرناه، وبيّنت أن هذا هو المقصود بالآيات المتقدمة، وليس المقصود الأشخاص الأربعة الذين زعموا أن الآيات تقصدهم، وكمثال على ذلك نذكر:

١ - عن جابر، عن أبي جعفر «عليه السلام»: «نزلت هذه الآية: ﴿وَلَيَنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^(١). نزلت في بني أمية والعشرة معها: أنهم اجتمعوا اثنا عشر، فكمنوا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في العقبة، واثتمروا بينهم ليقتلوه، فقال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: إنما كنا نخوض ونلعب، وإن لم يفطن لنقتلنه، فأنزل الله هذه الآية..^(٢).

(١) الآيتان ٦٥ و ٦٦ من سورة التوبة.

(٢) البرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٤٠ والبحار ج ٢١ ص ٢٣٦ وتفسير نور الثقلين ج ٢

١٩٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

٢ - قال الطبرسي في قوله تعالى: ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ «نزلت في اثني عشر رجلاً، وقفوا على العقبة، ليفتكوا برسول الله «صلى الله عليه وآله» عند رجوعه من تبوك، فأخبر جبريل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك، وأمره أن يرسل إليهم، ويضرب وجوه رواحلهم، وعَبَّار كان يقود دابة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وحذيفة يسوقها، فقال لحذيفة: اضرب وجوه رواحلهم، فضربها حتى نحاهم.

فلما نزل قال لحذيفة: من عرفت من القوم؟

قال: لم أعرف منهم أحداً.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنهم فلان وفلان، حتى عددهم كلهم.

فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟

فقال: أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم»^(١).

٣ - ورويت القصة عن الإمام الحسن العسكري «عليه السلام» بنحو أبسط، وفيها: أنهم دحرجوا دباباً من فوق الجبل لينفروا به «صلى الله عليه وآله» ناقتة، فارتفعت الدباب عن الناقة، ووقعت في الجانب الآخر فراجع»^(٢).

(١) تفسير مجمع البيان ج ٥ ص ٨١ والبحار ج ٢١ ص ١٩٦ والتفسير الصافي ج ٢

ص ٣٥٤ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٣٧ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٣٤٢

والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٤٠ و ١٤١ عن مجمع البيان.

(٢) البرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٤١ - ١٤٤ والبحار ج ٢٨ ص ٩٩ والدرجات الرفيعة

للسيد علي خان ص ٢٩٨.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والكاؤون واللاحقون ١٩٣

٤ - وقد ذكر حذيفة أسماء الذين نفروا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم أربعة عشر: أبو الشرور، وأبو الدواهي، وأبو المعازف، وأبوه، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وأبو الأعور، والمغيرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وخالد بن الوليد، وعمر بن العاص، وأبو موسى الأشعري، وعبد الرحمن بن عوف. وهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَهُمْوَايْمَا لَمْ يَنَالُوا﴾^(١).

ويلاحظ: أن عبد الله بن أبي الذي يزعمون أنه كان رأس المنافقين لم يكن من بين هؤلاء. وذلك لأنه كان في المدينة، ولم يشارك في المسير إلى تبوك.
٥ - وروى حديث ليلة العقبة: ابن جريج وقال: إنهم اثنا عشر رجلاً^(٢). وذكر الزمخشري: أنهم كانوا خمسة عشر رجلاً^(٣).

٦ - وراجع ما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، وفيه: ﴿وَهُمْوَايْمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من قتل محمد يوم العقبة، وإخراج ضعفاء الشيعة من المدينة، بغضاً لعل^(٤).

وأما روايات غير أهل البيت وشيعتهم، فقد اختلفت في المراد من

(١) البرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٤٧ والخصال ص ٤٩٩ والبحار ج ٢١ ص ٢٢٢ وج ٣١ ص ٦٣١ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٦٠٢.

(٢) البرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٤٧ و ١٤٨ وتفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٥١ وتفسير أبي السعود ج ٤ ص ٧١ وتفسير الآلوسي ج ١٠ ص ١١٣.

(٣) الطرائف لابن طاووس ص ٣٨٩ وسعد السعود ص ١٣٥ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٤٨ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج ٢ ص ٢٥٠.

(٤) البرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٤٧ عن الطبرسي.

الآيات المشار إليها:

- ١ - فذكرت طائفة منها أن المراد هم الأربعة الذين تقدمت أسماؤهم.
- ٢ - ولكن رواية جابر تدل على أنها نزلت في وداعة بن ثابت، حيث تخلف في المدينة، فقيل له: ما خلفك عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ فقال: الخوض واللعب.
- فأنزل الله فيه وفي أصحابه: ﴿وَلَيْتُمْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾^{(١)(٢)}.
- ٣ - هناك روايات أخرى عن شريح بن عبد الله، وعن عبد الله بن عمر تقول: إن رجلاً تكلم في حق القراء، فجاء به عمر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال ذلك الرجل: إنما كنا نخوض ونلعب.
- فأوحى الله تعالى إلى نبيه: ﴿وَلَيْتُمْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾^{(٣)(٤)}.
- وقد صرحت رواية ابن عمر: أن قائل ذلك هو ابن أبي فراجع^(٥).

(١) الآيتان ٦٥ و ٦٦ من سورة التوبة.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٥ عن ابن مردويه، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٣٣.

(٣) الآية ٦٥ من سورة التوبة.

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٤ عن حلية الأولياء، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وفتح القدير ج ٢ ص ٣٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٧ ص ١١٩.

(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٤ عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والعقيلي، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والخطيب في رواة مالك، وفتح القدير ج ٢ ص ٣٧٨.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ١٩٥

٤ - عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُصُّ وَنَلْعَبُ...﴾ قال: قال رجل من المنافقين: يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، وما يدريه بالغيب^(١). فنزلت الآية. وهذا يدل على: أن الآية قد نزلت بعد قصة ضياع الناقة، وهو إنما يناسب قضية العقبة.

الجد بن قيس يرفض المشاركة في تبوك:

عن ابن عباس: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: اغزوا تغنموا بنات بني الأصفر، فقال ناس من المنافقين: إنه ليفتنكم بالنساء، فأنزل الله: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾^(٢) ^(٣).

وفي نص آخر أنه قال: غزرو الروم إن شاء الله، ونصيب من بنات بني الأصفر، كان يذكر من حسنهن ليرغب المسلمون في الجهاد، فقام رجل من

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٤ عن ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبحار ج ٢١ ص ١٩٧ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج ٥ ص ٨٢ وتفسير مجاهد ج ١ ص ٢٨٣ وامع البيان للطبري ج ١٠ ص ٢٢١ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٣٠ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٦٥ وزاد المسير لابن الجوزي ج ٣ ص ٣١٥ والدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٢٥٤.

(٢) الآية ٤٩ من سورة التوبة.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ عن الطبراني، وابن مردويه، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٠ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١١٨ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١٠٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠٣.

المنافقين، فقال: يا رسول الله، قد علمت حبي للنساء، فائذن لي ولا تخرجني، فنزلت الآية^(١).

وعن ابن عباس، وجابر بن عبد الله، وآخرين: أن الجد بن قيس أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في المسجد معه نفر، فقال: يا رسول الله ائذن لي في القعود، فإني ذو ضيعة وعلة فيها عذري.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «تجهز تجهز فإنك موسر، لعلك تحقب من بنات بني الأصفر!»

قال الجد: أوتأذن لي ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي ما أحد أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهن. فأعرض عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: «قد أذنا لك».

زاد محمد بن عمر فجاءه ابنه عبد الله بن الجد - وكان بدرياً - وهو أخو معاذ بن جبل لأمه، فقال لأبيه: لم ترد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقالته؟! فوالله ما في بني سلمة أحد أكثر مالأ منك، فلا تخرج ولا تحمل؟! فقال: يا بني، ما لي وللخروج في الريح، والحر الشديد، والعسرة إلى بني الأصفر، فوالله ما آمن - خوفاً - من بني الأصفر وأنا في منزلي، أفأذهب إليهم أغزوهم؟! إني والله يا بني عالم بالدوائر.

فأغلظ له ابنه وقال: لا والله ولكنه النفاق، والله لينزلن على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيك قرآن يقرأ به.

فرفع نعله فضرب به وجه ولده، فانصرف ابنه ولم يكلمه.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والباؤون واللاحقون ١٩٧
وأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(١).

أي إن كان إنما خشي الفتنة من نساء بني الأصفر، وليس ذلك به، فما
سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» والرغبة
بنفسه عن نفسه، يقول: وإن جهنم لمن ورائه^(٢).

وجعل الجد وغيره من المنافقين يثبطون المسلمين عن الخروج، قال الجد
لجبار بن صخر ومن معه من بني سلمة: «لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد،
وشكا في الحق، وإرجافاً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأنزل الله سبحانه
وتعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ
فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكِوْا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣)^(٤).

(١) الآية ٤٩ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٧ عن ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي
نعيم في المعرفة، وابن أبي حاتم، وابن عقبة، ومحمد بن إسحاق، والواقدي، وقال
في هامشه: أخرجه البيهقي في السنن ج ٩ ص ٣٣ وفي الدلائل ج ٥ ص ٢٢٥.
وانظر: الدر المنثور ج ٣ ص ٢٤٧ و ٢٤٨ عن ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه،
وابن أبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن أبي حاتم، وابن إسحاق، والبيهقي في
الدلائل، وتفسير القمي ج ١ ص ٢٩٢.

(٣) الآيتان ٨١ و ٨٢ من سورة التوبة.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٧ وراجع: تفسير القمي ج ١ ص ٢٩٢ وتاريخ
الطبري ج ٢ ص ٣٦٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٦ والسيرة النبوية لابن هشام
ج ٤ ص ٩٤٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥.

ونقول:

في النص المتقدم عدة موارد تحتاج إلى توضيح، أو تقتضي التصحيح، فمن ذلك:

لعلك تحقب من بني الأصفر:

زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حاول أن يشجع الجدد بن قيس على المسير إلى تبوك بقوله: «لعلك تحقب من بني الأصفر».. ونقول:

أولاً: إننا لا نستسيغ هذا التصرف فيما عرفناه من أخلاق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي يهتم بتوجيه الناس إلى الإخلاص في الجهاد، والتماس ثواب الله فيه. لا أن يكون جهادهم من أجل الدنيا، فإن ذلك مما لا يدعو إليه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهو يناقض ما جاؤوا به فلاحظ:

ألف: قال أمير المؤمنين «عليه السلام» في بعض خطبه: «يقول الرجل جاهدت ولم يجاهد، إنما الجهاد اجتناب المحارم، ومجاهدة العدو، وقد تقاتل أقوام فيحبون القتال لا يريدون إلا الذكر والأجر، وإن الرجل ليقاتل بطبعه من الشجاعة، فيحمي من يعرف ومن لا يعرف، ويحب بطبيعته من الجبن، فيسلم أباه وأمه إلى العدو، وإنما المثال حتف من الختوف، وكل امرئ على ما قاتل عليه، وإن الكلب ليقاتل دون أهله»^(١).

(١) البحار ج ٩٧ ص ٤٢ وج ٦٥ ص ٢٣٣ عن الغارات للثقي، ومستدرک الوسائل ج ١١ ص ١٨ والغارات للثقي ج ٢ ص ٥٠٢ و ٥٠٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٣ ص ١٢١ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج ١ ص ١٠٣.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والباكون واللاحقون ١٩٩

ب: وعن كعب بن عجرة قال: مر عليّ النبي «صلى الله عليه وآله» فرأى أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» في جلدة ونشاطة، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان^(١).

ثانياً: إنه إذا كان الجدّ بن قيس لا يصبر عن بنات بني الأصفر، فإن ذلك لا يمنع من خروجه، إذ إنهم إذا وقعن في السبي، يصبح الوصول إليهن سهل المؤونة، حيث إن النبي «صلى الله عليه وآله» سوف يقسم ذلك السبي على مستحقه، ويزيل العلة، وتنحل بذلك عقدة الجد بن قيس وغيره ممن هم على شاكلته، ولا يتضمن ذلك أية فتنة له ولا لغيره.. فما معنى أن يتعلل بأنه إن رآهن لا يصبر عنهن؟! فإنهم إذا كن في حماية جيش العدو، فلا سبيل إليهن، وإن أصبحن في حوزة المسلمين، فإن العقدة تنحل، وتزول الموانع بأسهل طريق.

ثالثاً: إننا لا نرى مبرراً لقسوة الابن على أبيه إلى حد مواجهته بتهمة النفاق، كما جرى بين عبد الله بن الجد بن قيس مع أبيه، فإن ذلك مما لا

(١) مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣٢٥ وميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٤١٥ عن الترميز والتهريب ج ٣ ص ٦٣ والمعجم الأوسط ج ٧ ص ٥٦ والمعجم الصغير ج ٢ ص ٦٠ والمعجم الكبير ج ١٩ ص ١٢٩ والعهود المحمدية للشعراني ص ٢٩٢ وفيض القدير للمناوي ج ٣ ص ٤١ والدر المنثور ج ١ ص ٣٣٧.

٢٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

يرضى به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إن كان ذلك قد حصل بمرأى منه ومسمع، كما أنه مما لا تسمح به آداب الإسلام.

النبد الإجتماعي للمتخلفين:

لما دنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا عنه، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لأصحابه «لا تكلموا رجلاً منهم، ولا تجالسوهم، حتى آذن لكم»^(١).

فأعرض عنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمؤمنون حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه، وحتى إن المرأة لتعرض عن زوجها، فمكثوا كذلك أياماً حتى ركب الذين تخلفوا، وجعلوا يعتذرون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالجهل والأسقام، ويحلفون له، فرحمهم، وبإيعهم، واستغفر لهم^(٢).

ونقول:

إن أسلوب المقاطعة الذي أريد به تعريف الناس بحقيقة ما يجري، وإيقافهم على مدى خطورة ما صدر عن هؤلاء، ودلالته على مناشئ الخطر، والمتسببين به، قد سبق ومورس مع من ارتكبوا خطأ فادحاً، تسبب في إضعاف

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٦ عن ابن مردويه، وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٢ عن ابن عتبة، وعن دلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢٨٠، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٢٣ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٨١ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٨٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٢ و ٤٧٣ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٦.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والباكؤون واللاحقون ٢٠١

روح المسلمين، وأدخل عليهم شيئاً من المهانة والذل والإنهزام في غزوة مؤتة.. وها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمر أصحابه بمقاطعة هؤلاء الذين أرادوا أن يسقطوا الهيكل كله على رأس الجميع، فخبب الله مسعاهم، وباؤوا بغضب من الله، بالفضيحة والخزي والمهانة في الحياة الدنيا.

وقد أظهر هذا الأسلوب لهم ولكل أحد أن الدين والإيمان هو الأقوى، وأن لا شيء يستطيع أن يقف في وجهه، وأن يحذ من مده، وأن يفل من حده. وقد لقنهم درساً لن ينسوه، وعرفهم بحجمهم الحقيقي، ودل الناس عليهم، وبين لمن كان له فيهم رغبة وهوى أن ثمن ذلك سيكون باهظاً قد لا يقدر على تحمله، فالارتداع عنهم أصوب، والحياة مع غيرهم أطيب، ونمير سواهم أعذب.

النبي ﷺ يحرق بيت سويلم على المنافقين:

عن عبد الله بن حارثة قال: بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، يشبطون الناس عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك، فبعث إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم اليهودي.

ف فعل طلحة، واقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فأفلتوا^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٧ عن ابن هشام، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦.

ونقول:

أسئلة هامة وأجوبتها:

وأول سؤال يطرح نفسه هنا هو:

لماذا أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بإحراق البيت على أولئك المجتمعين؟! ألم يكن يكفي أن يأمره بأن يأتيه بهم ليعاقبهم على رؤوس الأشهاد؟!

والأ يتنافى ذلك مع ما أعلنه «صلى الله عليه وآله» أكثر من مرة بقوله: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟!

والأ يعتبر إحراق البيت عليهم إتلافاً لمال يمكن أن يتحقق الغرض بدون إتلافه؟!

ولماذا لم يثبت الأمر من المتهمين أنفسهم، ولم يفسح المجال لهم للدفاع عن أنفسهم؟!

وللإجابة على هذه الأسئلة نقول:

أولاً: البيت ليهودي قد نقض عهده، فلم يبق له ولا لبيته حرمة..
ثانياً: إن إبقاء البيت، والإكتفاء بالإستيلاء عليه سوف يبقى أطماع المنافقين تحوم حوله، وسيكون ذريعة لإثارة الشعور، ولو بصورة الوسوسة الخفية للناس، بأنه قد أُخذَ ظلماً، أو أن الأمر لم يكن يستوجب مصادرة البيت.

وفي ذلك تشكيك بصوابية فعل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويتضمن خدشاً في هيئته، وفي عدله وقداسته..

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ٢٠٣

ثالثاً: سيأتي أن النبي «صلى الله عليه وآله» هدم مسجد ضرار، ولم يكتف بالإعلان عن إدانة النفاق وأهله، أو نحو ذلك، كما أن الله سبحانه قد خسف بقارون وبداره، وأتى على قرية لوط فجعل عاليها سافلها. ولعل سبب اختيار النبي «صلى الله عليه وآله» أسلوب الإحراق هنا هو: أن ذلك كان أروع للعدو، وأبعد للسمع، وأثبت في الذاكرة، وأوقع في النفوس.

ولعله لم يكن «صلى الله عليه وآله» يريد أن يلحق بالمجتمعين في ذلك البيت أذى جسدياً مباشراً، نظير ما جرى في قصة مأبور، حيث أمر «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بقتله، فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: يا رسول الله إنك تبعثني في الأمر أكون فيها كالسكة المحماة، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟

قال: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب^(١).

فلحقه بالسيف حتى كشف أمره، وأظهر كذب المفتريين.

أي أنه «صلى الله عليه وآله» إنما كان يريد أن يفسح لهم المجال للفرار

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٨٣ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٤ ص ١٩١٢ وكنز العمال ج ٥ ص ٤٥٤ و ٧٧٣ و ٨٠٣ وكشف الخفاء ج ٢ ص ٣ وفيض القدير ج ٤ ص ٢٢٦ وشرح نهج للمعتزلي ج ١٠ ص ٢٦٢ وأمالى المرتضى ج ١ ص ٥٤ و ٥٥ وأمالى الطوسي ص ٣٣٨ والبحار ج ٢١ ص ٧٠ وج ٢٢ ص ٥٣ و ١٦٧ وج ٣٨ ص ٣٠٢ وج ٤٢ ص ١٨٦ ومكارم الأخلاق ص ٢٥٢ والكافي ج ٨ ص ٣٤٩ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٩٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٤٤١ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٣٢٤ ودلائل الإمامة للطبري ص ٣٨٧.

٢٠٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

والتفرق، دون أن يفضحهم بين الناس، ويكونون هم الذين يفضحون أنفسهم إن شأؤوا، أو يتلكؤون في الفرار، فيفتضح أمرهم. ويكون احتراق البيت هو الأقل مؤونة، وهو الأقرب إلى تحقيق الهدف ودفع سوء بأقل تكلفة ممكنة.

ولعل مما يشهد على أن هذا هو غرض الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» أنه بالرغم من أن أحداً من المنافقين لم يصب بأذى، وأن أحدهم، وهو الضحّاك بن خليفة قد كسرت فخذه، فإنه «صلى الله عليه وآله» لم يطلب إحصار أحد منهم، ولم نسمع أنه «صلى الله عليه وآله» سأل أو طالب أو عاتب الضحّاك بشيء، أو على شيء، فضلاً عن أن يكون قد عاقبه.

أهل مسجد الضرار:

وجاء أهل مسجد الضرار إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة، والليلة المطيرة، ونحب أن تأتينا فتصلي فيه.

فقال لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنّا في شغل السفر، وإذا انصرفتم سيكون»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٣٨. وراجع: البحار ج ٢١ ص ٢٥٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ٤ ص ٤٥٨ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ١٠٠ و ١٠١ وجامع البيان للطبري ج ١١ ص ٣٢ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٩٢ وأسباب نزول الآيات ص ١٧٥ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٢٦ وتفسير النسفي ج ٢ ص ١٠٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٥٨١ والمححر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ٨١.

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ٢٠٥
ونقول:

إن من الواضح: أن هذه محاولة من هؤلاء المنافقين لتعمية أمرهم على الناس، واكتساب مشروعية لنشاطهم بصلاة النبي «صلى الله عليه وآله» في مسجدهم. مع أن أمرهم لم يكن ليخفى على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه كان قد عود الناس أن يكون هو البادئ بوضع الحجر الأساس لمساجدهم، وهو الذي يخطط لهم الدور والأسواق، وسائر المرافق الحيوية في المدينة كلها.. فما معنى أن يستقل هؤلاء الناس باستحداث مسجد، دون أن يعلموه به، ودون أن يطلبوا منه أن يخطط لهم؟!

على أنهم قد صرحوا في كلامهم بأنهم قد قصدوا بمسجدهم أن يصلي فيه من لا يريد الحضور في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من ذوي العلل والحاجات حسب زعمهم، وهذا يزيد الشبهة في مقاصدهم، ونواياهم الحقيقية.

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يظهر لهم أي شيء غير عادي، بل ذكر لهم أن شغل السفر يمنعه من تلبية طلبهم.. وهذا التأجيل يمنحه الفرصة لاستخراج دخائلهم، ولكي تكشف تقلبات الأحوال باطنهم للناس، وقد حدث ذلك فعلاً كما سنرى.

وهذا معناه: أن ثمة ما يبرر هذا الموقف السلبي النبوي منهم، إذ لا يمكن أن يواجههم «صلى الله عليه وآله» بمثل هذا الكلام من دون مبرر ولا سبب، فإنه نبي معصوم، بل إن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ

٢٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

هُوَ إِلَّا وَخِي يُوحَى ﴿١﴾، يعطي: أن الله سبحانه هو الذي يريد من نبيه أن يواجههم بهذه الحدة والشدة، التي تحمل معها المهانة لهم، والخزي في الدنيا، ولا بد أن يكون العذاب الأليم هو الذي ينتظرهم في الآخرة.

وقد كان يمكن أن نتحمل أن ثمة خطأ من الرواة، أو من أبي موسى في حفظه لكلام رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولكنه حين شفع ذلك بقوله: «وافقته وهو غضبان ولا أشعر»، وبقوله: «مخافة أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجد في نفسه»، قد دلنا على أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك، وقصد معناه فعلاً.

طعن أبي موسى برسول الله ﷺ:

وقد حاول أبو موسى أن يطعن برسول الله «صلى الله عليه وآله» ليبرئ نفسه، ويبرئ أصحابه من إساءتهم للرسول «صلى الله عليه وآله» التي استوجبت هذا الموقف النبوي الصارم منهم، الذي ألحق بهم المهانة والخزي، فاتهم النبي بأنه «صلى الله عليه وآله» قد قال ما قال وهو في حالة الغضب، فلا قيمة لكلامه، لأن الإنسان قد يصدر عنه في هذه الحال ما لا يرضى بصدوره منه في الحالات العادية، فلا ضير إذن في أن يندم النبي «صلى الله عليه وآله» ويلوم نفسه، وربما يعتذر أو يتوب، إذا كان قد بلغ حد الخطيئة.. وقد اخترعوا على لسان الرسول «صلى الله عليه وآله» أحاديث تشير إلى أنه مبتلى بهذا الأمر، وأنه قد أعلن أنه يطلب من الله تعالى أن يجعل

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ٢٠٧
سبه ولعنه وجلده لأي رجل من المسلمين في حال الغضب زكاة ورحمة
لذلك الرجل^(١).

فأبو موسى إذن يؤثر أن ينسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» الخطأ،
وأن ينفي العصمة عنه، وأن يكذب الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).
على أن يلحقه هو وأصحابه أدنى مهانة بسبب أعمالهم الشريرة،
ونفوسهم المريضة!!

إذا كان قد ابتاعهن من سعد:

ولعلك تقول: إذ اكان «صلى الله عليه وآله» قد ابتاع ستة أبعرة من
سعد، فذلك يعني: أنه كان لديه مال يبتاع به ستة أبعرة، فلماذا قال قبل
ساعة لأبي موسى: ما عندي ما أحلكم عليه؟!

(١) راجع: مسند أحمد ج ٢ ص ٤٩٣ و ٤٩٦ وصحيح مسلم ج ٨ ص ٢٥ و ٢٦
والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٦١ وشرح مسلم للنووي ج ١٦ ص ١٥٠
ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٦٧ وعمدة القاري ج ٢٢ ص ٣١٠ وعون المعبود ج ١٢
ص ٢٧٠ وكتر العمال ج ٣ ص ٦١١ و ٦١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٨٩
وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ١١٦٩ وسير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٣٥٤
وذكر أخبار إصبهان ج ٢ ص ٢ وإمتاع الأسعاع ج ٢ ص ٢٥١ والجامع لأحكام
القرآن ج ١٠ ص ٢٢٧ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ٩١ والبداية والنهاية
ج ٨ ص ١٢٨ والشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٩٥.

(٢) الأيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

٢٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

والجواب: لعله كان يقصد أنه لا يملك إبلاً تحملهم، أو أنه قد اشترى تلك الإبل بثمن مؤجل..

كاد المريب أن يقول خذوني:

إن الرواية المتقدمة: قد أوضحت أن أبا موسى كان مهتماً بإثبات صدقه أمام أصحابه حتى لقد أقسم أن لا يدعهم حتى ينطلق بعضهم معه ليسمعه ممن حضر ما جرى بينه وبين النبي «صلى الله عليه وآله» في المرة الأولى حين لم يعطه لهم شيئاً.

فإن هذا الإصرار منه يدل على أنه كان يرى نفسه في موضع الإتهام بنظرهم، وذلك يدل على أن ما يزعمونه له من مكانة وعزة بين الصحابة موضع شك وريب، حتى من أقرب الناس إليه، فإنهم لا يثقون به، وهو يعرف ذلك منهم، فكيف بمن سواهم؟!

هل منعهم النبي ﷺ؟!:

إن تعبير أبي موسى بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد منعهم أول مرة يشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» كان لديه ما طلبوه، ولكنه منعهم منه.. وهذا هو مفاد قوله لأبي موسى: «والله لا أحملك على شيء». فلماذا منعهم؟! ولماذا احتاج أبو موسى إلى أن يثبت ذلك لأصحابه..

النبي ﷺ يحث في يمينه:

ولا يبالي أبو موسى أن ينسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» الحنث في يمينه، إذا كان ذلك يثبت فضيلة له ولأصحابه..

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبكاؤون واللاحقون ٢٠٩

وهذا ما حدث هنا فعلاً، فقد نسب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» أنه يخطئ في تشخيص ما هو مصلحة، وأنه إذا حلف اليمين قد يظهر له أن غيرها خيراً منها، فلا يعمل بمقتضاها، ويفعل ما يخالفها، ثم يكفر عنها..

فما هذا النبي الذي يخالف اليمين، ويحتاج إلى التكفير عنها؟!

وما معنى أن يتقلب هذا النبي «صلى الله عليه وآله» في آرائه؟!

وكيف يمكن الوثوق بصحة ما يصدر عنه، وهو يعلن للناس أنه قد

يخطئ فيما يختاره، فقد يختار غير الأصلح، فإذا عرف الأصلح تراجع عما

اختاره أولاً، وانتقل إليه؟!

الفصل الخامس:

الثلاثة الذين خلفوا..
وحديث كعب بن مالك

رسالة اخا راحقا

ايها اخي زينا حثا لثنا
تفاله زبا ببع شيعم

أبو لبابة وأصحابه:

عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونا عَتَرُوا بِذُنُوبِهِم خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَأَخَرَ سَيِّئًا﴾^(١)، قال ابن عباس: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك، منهم: أبو لبابة، وسمى قتادة منهم: جد بن قيس وجذام بن أوس^(٢).

فلما قفل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد، وكان ممر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا رجع من المسجد عليهم، فلما رآهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «من هؤلاء الموثقون أنفسهم؟!»

(١) الآية ١٠٢ من سورة التوبة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٨ و ٤٧٩ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٧٢ عن أبي الشيخ وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢٧٢، وجامع البيان للطبري ج ١١ ص ١٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٧٢ وزاد المسير لابن الجوزي ج ٣ ص ٣٣٥ وتفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٩٨ وفتح القدير ج ٢ ص ٤٠١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٢ وإمتاع الأسماع ج ٨ ص ٣٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٨.

٢١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

قالوا: هذا أبو لبابة، وأصحاب له، تخلّفوا عنك يا رسول الله، فاعهدوا
الله ألا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم، فترضى عنهم
وتعذرهم، وقد اعترفوا بذنوبهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا
أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم، رغبوا عني، وتخلّفوا عن
الغزو مع المسلمين!!

فلما بلغهم ذلك قالوا: ونحن لا نطلق أنفسنا حتى يكون الله تبارك
وتعالى هو الذي يطلقنا، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَخْرُوجُوا غُرُفًا
يَذْنُوبُهُمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾^(١)،
وعسى من الله واجب، ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

فلما نزلت أرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم فأطلقهم
وعذرهم.

قال ابن المسيب: فأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي لبابة
ليطلقه، فأبى أن يطلقه أحد إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاءه
رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأطلقه بيده، فجاءوا بأموالهم فقالوا: يا
رسول الله، هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما أمرت أن آخذ أموالكم»،
فأنزل الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٣٧ من سورة البقرة.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢١٥
عَلَيْهِمْ..»، يقول: استغفر لهم ﴿..إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(١) يقول: رحمة
لهم، فأخذ منهم الصدقة، واستغفر لهم.

وكان ثلاثة نفر منهم لم يوثقوا أنفسهم بالسواري، فأرجئوا سنة لا
يدرون: يعذبون، أو يتاب عليهم. فأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ
وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ..﴾^(٢) إلى آخر الآية.
وقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾. إلى قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ
اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣). يعني استقاموا فأنزل الله تبارك - وتعالى - في
شأن هذه الغزوة كثيراً من سورة براءة.

وزعموا: أن ارتباط أبي لبابة كان في وقعة بني قريظة، وقد روينا عن
ابن عباس وسعيد بن المسيب ما دلّ على أن ارتباطه كان بتخلفه في غزوة
تبوك^(٤).

الثلاثة الذين خلفوا:

وقد روى الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك: أن أباه
كعب بن مالك حدث بما جرى له فقال: لم أتخلف عن رسول الله «صلى
الله عليه وآله» في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أنني كنت تخلفت عن

(١) الآية ١٠٣ من سورة التوبة.

(٢) الآية ١١٤ من سورة التوبة.

(٣) الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٩ عن ابن إسحاق، والبيهقي، وفتح القدير ج ٢
ص ٤٠٢ وراجع المصادر المتقدمة.

غزوة بدر، ولم يعاتب الله أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

ولقد شهدت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة حين تواقفنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر. كان من خبري: أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد غزوة إلا ورى بغيرها، وكان يقول: «الحرب خدعة»، حتى كانت تلك الغزوة، غزاها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفازاً، وعدداً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم - وفي لفظ: أهبة عدوهم - فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» كثيرون^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٣ عن ابن إسحاق، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٨ ص ١١٣ (٤٤١٨) و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٣٠ ومسلم ج ٤ ص ٢١٢٠ - ٢١٢٨ (٥٣)، والبيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢٧٣ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٩٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٥ ص ٢٩ وراجع: عمدة القاري ج ١٨ ص ٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٤.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢١٧

وعند مسلم: يزيدون على عشرة آلاف^(١).

وروى الحاكم في الإكليل عن معاذ قال: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى غزوة تبوك زيادة على ثلاثين ألفاً.

وقال أبو زرعة الرازي: لا يجمعهم كتاب حافظ.

قال الزهري: يريد الديوان.

قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له ما لم ينزل

فيه وحي الله تعالى^(٢).

وغزا رسول الله «صلى الله عليه وآله» تلك الغزوة حين طابت الشار

والغلال، في قيظ شديد، في حال الخريف، والناس خارفون في نخيلهم.

وتجهز رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتجهز المسلمون معه، فخرج في

يوم الخميس. وكان يجب إذا خرج في سفر جهاد أو غيره أن يخرج يوم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٣ ومسلم ج ٤ ص ٢١٢٠-٢١٢٨ (٥٣) و (ط

دار الفكر) ج ٨ ص ١١٢ وشرح مسلم للنووي ج ١٧ ص ١٠٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٣ عن الحاكم في الإكليل، وفي هامشه عن:

البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٥٣ وراجع:

صحيح البخاري ج ٥ ص ١٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٣٤ وعمدة

القاري ج ١٨ ص ٤٨ ورياض الصالحين للنووي ص ٦٧ وتاريخ مدينة دمشق

ج ٥٠ ص ١٩٧ وتفسير الألوسي ج ١١ ص ٤٢ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٣٤

وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤١١ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٧ والبداية

والنهاية ج ٥ ص ٢٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤

ص ٤٣.

الخميس. فطففت أعدوا لكي أتجهز معهم، فارجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه.

وفي رواية: وأنا أقدر شيئاً في نفسي على الجهاد، وخفة الجهاد، وأنا في ذلك أصبوا إلى الظلال والثمار، ولم يزل يتماذى بي الحال حتى اشتد بالناس الجدد، فأصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» غادياً والمسلمون معه يوم الخميس، ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت - بعد أن فصلوا - لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً.

فلم يزل ذلك يتماذى بي حتى أمعن القوم وأسرعوا، وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم - ولتيني فعلت!! - فلم يقدر لي ذلك.

فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله «صلى الله عليه وآله» فطففت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق، أو رجلاً ممن عذر الله تعالى من الضعفاء.

وعند عبد الرزاق: وكان جميع من تخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بضعة وثمانين رجلاً - ولم يذكرني رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى بلغ تبوك.

فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب ابن مالك؟»

فقال رجل من بني سلمة، وفي رواية من قومي - قال محمد بن عمر: هو عبد الله بن أنيس السلمي - بفتح اللام - لا الجهني: يا رسول الله حبسه برداه، ونظره في عطفه.

فقال معاذ بن جبل - قال محمد بن عمر: وهو أثبت، ويقال: أبو قتادة: بئس ما قلت! والله يا رسول الله، ما علمت عليه إلا خيراً.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢١٩
فسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» توجه قافلاً حضرني همي، وطفقت أعد عذراً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وأهبيء الكلام، وأقول: بماذا أخرج من سخطه «صلى الله عليه وآله» غداً، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي.

فلما قيل إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أطل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أنني لم أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وعرفت أنه لا ينجيني منه إلا الصدق.

وأصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» قادماً، قال ابن سعد: في رمضان، قال كعب: وكان إذا قدم من سفر لا يقدم إلا في الضحى، فيبدأ بالمسجد، فيركع فيه ركعتين، ثم يدخل على فاطمة، ثم على أزواجه، فبدأ بالمسجد فركعهما، ثم جلس للناس.

فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى. فجيئته، فلما سلمت عليه، تبسم تبسم المغضب، فقال: «تعال». فجيئت أمشي حتى جلست بين يديه.

وعند ابن عائد: فاعرض عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا نبي الله، لم تعرض عني؟ فوالله ما نافقت، ولا ارتبت، ولا بدلت.

قال كعب: فقال لي: «ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟»

فقلت: بلى إني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا

٢٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني - والله - لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله تعالى أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك اليوم حديث صدق تجد عليّ فيه، إني لأرجو فيه عفو الله عني، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله تعالى فيك ما يشاء».

فقممت، فمضيت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا: ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما اعتذر به إليه المخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله «صلى الله عليه وآله» لك.

فوالله ما زالوا يؤنبوني، حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، فقلت: ما كنت لأجمع أمرين: أتخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأكذبه.

ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟

قالوا: نعم، رجلاً قالاً مثل ما قلت، ففيل لهما مثل ما قيل لك.

فقلت: من هما؟

قالوا: مرارة بن الربيع العمري وهلال بن أمية الواقفي.

وعند ابن أبي حاتم من مرسل الحسن: أن سبب تخلف الأول أنه كان

له حائط حين زها، فقال في نفسه: قد غزوت قبلها فلو أقمت عامي هذا؟!

فلما تذكر ذنبه قال: اللهم أشهدك أني قد تصدقت به في سبيلك.

وأن الثاني كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال: لو أقمت هذا العام

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٢١

عندهم. فلما تذكر قال: اللهم لك عليّ أن لا أرجع إلى أهلي ولا مالي.
قال كعب: فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرًا فيهما أسوة،
فمضيت حين ذكروهما لي.

ونهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة
من بين من تخلف عنه.
فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا.

وعند ابن أبي شيبه: فطفقنا نغزو في الناس لا يكلمنا أحد، ولا يسلم
علينا أحد، ولا يرد علينا سلاماً.

وعند عبد الرزاق: وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذي نعرف،
وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالتي نعرف. انتهى.

ما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي عليّ رسول الله «صلى الله
عليه وآله»، أو يموت فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد، ولا
يصلي علي حتى تنكرت في نفسي الأرض حتى ما هي التي أعرف.
فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

فأما صاحبائي فاستكانا، وقعدا في بيتيها يبكيان.
وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة
مع المسلمين، وأطوف الأسواق، فلا يكلمني أحد، ولا يرد علي سلاماً وآتي
رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم عليه،
وأقول في نفسي: هل حرك شفّتي برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه
فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل علي، فإذا التفت نحوه أعرض
عني.

٢٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي. أي أنه من بني سلمة، وليس هو ابن عمه أخو أبيه الأقرب، قال كعب: وهو أحب الناس إلي، فسلمت عليه، فوالله، ما رد علي، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله، هل تعلمني أحب الله ورسوله؟

فسكت، فعدت له فنشدته، فسكت [فعدت له فنشدته] فلم يكلمني، حتى إذا كان في الثالثة أو الرابعة قال: الله ورسوله أعلم.

ففاضت عياني، وتوليت حتى تسورت، قال: فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا بنبطي من أنباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟

فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان، وعند ابن أبي شيبة: من بعض من بالشام، كتب إلي كتاباً في سرقة حرير فإذا فيه:

أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، فأقصاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضیعة، فإن تك متحولاً فالحق بنا نواسيك.

فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، قد طمع في أهل الكفر، فتيمنت بها التنور فسجرت به.

وعند ابن عائذ: أنه شكا قدره إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: ما زال إعراضك عني حتى رغب في أهل الشرك.

قال كعب: حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأتيني.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٢٣

قال محمد بن عمر: وهو خزيمة بن ثابت، وهو الرسول إلى مرارة وهلال بذلك.

قال كعب: فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمر أن تعتزل امرأتك. أي عمرة بنت حمير بن صخر بن أمية الأنصارية أو خيرة - بفتح الخاء المعجمة فالتحتانية.

فقلت: أطلقها، أو ماذا أفعل؟

قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك.

فقلت لامرأتي: الحقى بأهلك، فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال كعب: وجاءت امرأة هلال بن أمية، أي خولة بنت عاصم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» فقالت: يا رسول الله، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم - وعند ابن أبي شيبة: إنه شيخ قد ضعف بصره - انتهى. فهل تكره أن أخدمه؟

قال: «لا، ولكن لا يقربك».

قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء!! والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال كعب: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في امرأتك كما أذن لهلال بن أمية أن تخدمه.

فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» وما يدريني ما يقول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب.

٢٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة، من حين نهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن كلامنا.
وعند عبد الرزاق: وكانت توبتنا نزلت على النبي «صلى الله عليه وآله»
ثلاث الليل.

فقال أم سلمة: يا نبي الله ألا نبشر كعب بن مالك؟

قال: إذا يحطمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة.

قال: وكانت أم سلمة تحيئه في ثاني عشرة بأمرى، فلما صليت الفجر
صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال
الذي ذكره الله تعالى قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت،
سمعت صوتاً صارخاً أوفى على جبل سلع، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن
مالك، أبشر.

وعند محمد بن عمر: أن الذي أوفى على سلع أبو بكر الصديق فصاح:
قد تاب الله - تعالى - على كعب، يا كعب: أبشر.

وعند ابن عقبة: أن رجلين سعيًا يريدان كعباً يبشرانه، فسبق أحدهما،
فارتقى المسبوق على سلع فصاح: يا كعب، أبشر بتوبة الله تعالى وقد أنزل
الله - تعالى - عز وجل فيكم القرآن، وزعموا أن اللذين سعيًا هما: أبو بكر
وعمر.

قال كعب: فخررت ساجداً أبكي فرحاً بالتوبة، وعرفت أن قد جاء
فرج، وأذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بتوبة الله تعالى علينا حين صلى
صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِل صاحبِيّ مبشرون،
وركض إليَّ رجل على فرس - وعند محمد بن عمر: هو الزبير بن العوام.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٢٥

قال كعب: وسعى ساع من أسلم حتى أوفى على الجبل، وعند محمد بن عمر: أنه حمزة بن عمرو الأسلمي.

قال كعب: وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته، وهو حمزة الأسلمي يبشرني، نزعت له ثوبَيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ. واستعرت ثوبين من أبي قتادة - كما عند محمد بن عمر - فلبستهما.

قال: وكان الذي بشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد، فما ظننت أنه يرفع رأسه حتى تخرج نفسه، أي من الجهد، فقد كان امتنع عن الطعام حتى كان يواصل الأيام صياماً لا يفتر عن البكاء، وكان الذي بشر مرارة بن الربيع بتوبته سلكان بن سلامة أو سلامة بن وقش.

قال كعب: وانطلقت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتلقاني بالتوبة، يقولون: لَتُهْنِكَ توبة الله تعالى عليك.

قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا برسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس حوله الناس، فقام إليَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني. والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يبرق وجهه من السرور: [أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك].

فقلت: يا رسول الله، أمن عندك أم من عند الله؟

قال: «لا بل من عند الله، إنكم صدقتم الله فصدقكم الله».

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا سُر استنار وجهه كأنه قطعة

قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي كله صدقة إلى الله تعالى وإلى رسوله «صلى الله عليه وآله». قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك».

قلت: نصفه؟

قال: «لا».

قلت: ثلثه؟

قال: «نعم».

قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير.

وقلت: يا رسول الله، إنما نجاني الله تعالى بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى يومي هذا كذباً، وإني لأرجوا أن يحفظني الله تعالى فيما بقيت.

فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله «صلى الله عليه وآله»: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١)، فوالله ما أنعم الله علي من نعمة - بعد أن هداني للإسلام - أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٢٧
الذين كذبوا، فإن الله تعالى قال في الذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال
لأحد، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى
قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

قال كعب: وكنا قد تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم
رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم،
وأرجأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمرنا حتى قضى الله سبحانه وتعالى
فيه بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ
إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢) وليس الذي
ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما تحليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له
واعتذر إليه، فقبل منه^(٣).

(١) الآيتان ٩٥ و ٩٦ من سورة التوبة.

(٢) الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٣) الحديث السابق ذكره بطوله في سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٣ - ٤٧٨ والنص
له، وفي الدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٧ - ٢٨٩ عن عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وابن
جرير، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان،
وابن مردويه، والبيهقي.

وراجع: الديباج على مسلم ج ٦ ص ١١٥ وصحيح البخاري ج ٥ ص ١٣٥ وعمدة
القاري ج ١٨ ص ٥١ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١١٢ والسنن الكبرى للنسائي
ج ٦ ص ٣٦١ وجامع البيان للطبري ج ١١ ص ٨٣ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦
ص ١٩٠٣ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٨٢.

وعن كعب بن مالك قال: لما نزلت توبتي قبلت يد رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

وفي نص آخر: قبلت يده وركبته^(٢).

ونقول:

خلفوا أم تخلفوا؟!:

إننا قبل أن ندخل في مناقشة النص أو النصوص المتقدمة نحب أن نشير إلى أن التعبير القرآني عن الذين لم يسيروا إلى تبوك قد جاء بصيغة «خلفوا» المبني للمجهول. أي الذين تُركُوا وخلفهم المسلمون وراء ظهورهم، وساروا للجهاد في سبيل الله. ربما يشير إلى أن مخالفتهم لأمر النبي «صلى الله عليه وآله» دعت المسلمين إلى تركهم، والإنفصال عنهم، ومواصلة سيرهم إلى الله تعالى بدونهم..

هذا وقد فسر الأئمة الطاهرون: زين العابدين، والباقر، والصادق، والكاظم «عليهم السلام» بأنهم الثلاثة الذين خالفوا، أو قرأوها قراءة تفسيرية كذلك^(٣). فراجع.

(١) سبل الهدى الرشاد ج ٥ ص ٤٧٨ عن ابن عساكر، وكتر العمال ج ١٣ ص ٥٨١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٠ ص ٢٠.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٩ عن أبي الشيخ، وابن مردويه.

(٣) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٤١٣ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ٦٩ عن تفسير القمي، والكليني، ونور الثقلين ج ٢ ص ٢٧٨ عن مجمع البيان.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٢٩
وبعدما تقدم نقول:

كنا قد ذكرنا في حديثنا عن غزوة بني قريظة في فصل: «فشل المفاوضات وخيانة أبي لبابة».. حديث خيانة أبي لبابة، وارتباطه إلى سارية من سواري المسجد النبوي، حتى أطلق النبي «صلى الله عليه وآله» سراحه بعد نزول الآيات في حقه.. وأثبتنا أنه حديث غير دقيق، بل هو في أكثره مكذوب ومختلق..

وحيث إنهم قد ذكروا عنه هذا الأمر في غزوة تبوك، فلا محيص عن العودة للإشارة إلى بعض ما يفيد في جلاء الحقيقة، فنسجل مع مراعاة الاختصار الشديد ما يلي:

خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا:

إن قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾^(١) لا ينطبق على قصة أبي لبابة وأصحابه، لأن المفروض: أن ما صدر منهم هو التخلف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم الاعتراف بالذنب، والآية لم تصرح بتوبته.

وإذا كان قد تاب فعلاً فإن الآية تقول: إن التوبة إنما تعقبت العمل الصالح والسيء اللذين اختلطا. وبدون ذلك فلا يوجد إلا عمل سيء، واعتبار التوبة هي العمل الصالح غير ظاهر.

بل قد روي: أن هذه الآية نزلت في حق الذي تكلم في حق القراء بها لا

(١) الآية ١٠٢ من سورة التوبة.

٢٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

يليق، فشكاه عمر بن الخطاب إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ولعل ذلك قد جرى في غزوة تبوك أيضاً^(١).

وقيل: نزلت في عبد الله بن أبي^(٢).

وفي نص آخر: أنها نزلت في رجل من المنافقين قال: يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا في يوم كذا وكذا، وما يدريه بالغيب؟!^(٣).
وفي نص آخر: أنها نزلت في بعض المنافقين في تبوك^(٤).

خذ من أموالهم صدقة:

وعن آية خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم نقول:
روي عن الإمام الباقر «عليه السلام»: أنها نزلت في شهر رمضان فأمر «صلى الله عليه وآله» مناديه فنأدى في الناس: إن الله فرض عليكم الزكاة كما فرض عليكم الصلاة^(٥).

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٤ عن أبي نعيم في حلية الأولياء، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه. وراجع المصادر في الهوامش السابقة.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٤ عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والعقيلي في الضعفاء، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والخطيب في رواة مالك.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٤ عن ابن أبي شيبه، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والبحار ج ٢١ ص ١٩٧ وتفسير مجمع البيان ج ٥ ص ٨٢ وتفسير مجاهد ج ١ ص ٢٨٣ وجامع البيان للطبري ج ١٠ ص ٢٢١ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٣٠ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٦٥ وزاد المسير ج ٣ ص ٣١٥.

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٤ عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، عن قتادة.

(٥) الكافي ج ٣ ص ٤٩٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ =

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٣١
وهذا معناه - إن كانت الآية تعني أبا لبابة -: أن النبي «صلى الله عليه
 وآله» لم يقبل من أبي لبابة ومن معه أموالهم كصدقات، وإنما أخذ منهم زكاة
 أموالهم..

مع ملاحظة أننا قد قلنا فيما سبق: إن الزكاة قد فرضت قبل ذلك في
 مكة، فتكون هذه الآية قد جاءت لتمنع من أخذ غير الزكاة المفروضة قبل
 ذلك، إما إرفاقاً بهم، وإما للإشارة إلى عدم خلوص نيتهم في هذا العطاء..

إختلاف الروايات:

وقد ذكرنا في حديثنا عن غزوة بني قريظة طائفة من تناقضات وإختلاف
 الروايات فيما يرتبط بقصة أبي لبابة.
 ونشير هنا أيضاً إلى: أن هذه التناقضات ظاهرة أيضاً بين الروايات
 التي تدّعي أن ما جرى قد كان في غزوة تبوك، وكمثال على ذلك نذكر:
 أن الرواية المتقدمة عن ابن عباس تقول: إن سبعة ارتبطوا في المسجد،
 معلنين توبتهم، وإن المتخلفين كانوا عشرة.
 ولكن رواية أخرى عن ابن عباس تقول: إن المتخلفين كانوا ثلاثة،

= هادي النجفي ج ٨ ص ٤٦٩ وميزان الحكمة ج ٢ ص ١٥٩٤ ونهج السعادة
 ج ٨ ص ٦٤ والتفسير الأصفي ج ١ ص ٤٨٨ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٧١
 وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٦٠ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٣٨٤ ومنتقى الجمان
 ج ٢ ص ٣٥٨ وتفسير البرهان ج ٢ ص ١٥٦ وذخيرة المعاد (ط. ق) ج ١ ق ٣
 ص ٤١٨.

٢٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

وهم الذين ارتبطوا أنفسهم في سواري المسجد وبقي ثلاثة^(١).

وفي نص آخر عن ابن زيد: أن الذين ربطوا أنفسهم كانوا ثمانية^(٢).

وفي حديث قتادة: إن المجموع كان سبعة، والذين ارتبطوا بالسواري كانوا أربعة^(٣).

وفي حديث عن جابر: إن المتخلفين كانوا ستة^(٤).

اختلاف الروايات في الثلاثة الذين خلفوا:

وعن مقدار المدة التي أرجئ إليها الثلاثة الذين خلفوا تقول رواية تقدمت: إنها سنة.

لكن رواية أخرى تقول: إنهم أرجئوا أربعين يوماً^(٥).

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٧٣ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وراجع: زبدة البيان ص ١٨٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٩٧ وتفسير الكبير للرازي ج ١٦ ص ١٧٥.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٧٣ عن ابن أبي حاتم، وتفسير الألوسي ج ١١ ص ١٢ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٤٢.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٧٣ عن ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٧٣ و ١٨٧٥ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٨٩.

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٧٣ عن أبي نعيم في المعرفة، وابن عساكر، وابن مندة، وأبي الشيخ. وراجع: لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١٢٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١١١.

(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٧٣ عن أبي الشيخ، وابن مندة، وابن عساكر، وأبي نعيم في معرفة الصحابة، وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٠ ص ١٩٦.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٣٣

ورواية كعب بن مالك الطويلة تقول: إنهم بقوا خمسين ليلة^(١).

وعن أسمائهم نقول:

قيل: إن الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم إلى سوار المسجد، فنزلت فيهم

الآية هم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية^(٢).

وفي نص آخر: هم عثمان وصاحبه^(٣).

وعن صفوان، قال أبو عبد الله «عليه السلام»: كان أبو لبابة أحدهم^(٤).

(١) عمدة القاري ج ١٨ ص ٢٧٩ .

(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ١١٥ وتفسير البرهان ج ٢ ص ١٦٩ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٦ - ٢٨٩ عن ابن جرير، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مندة، وابن مردويه، وابن عساكر، وعن تفسير القمي ج ١ ص ٢٩٦ و ٢٩٧ وحواشي الشرواني ج ٧ ص ٤٥٥ والبحار ج ٢١ ص ٢٠٤ و ٢١٩ وعمدة القاري ج ١٣ ص ٢١١ وج ١٧ ص ١٠٢ وج ١٨ ص ٢٧٨ وج ٢٢ ص ١٤٤ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٨٦ و ٣٨٧ وتفسير السمرقندي ج ٢ ص ٩٣ وجامع البيان للطبري ج ١١ ص ٧٨ وتفسير غريب القرآن للطريحي ص ١٤٣ وتفسير مجمع البيان ج ٥ ص ١٣٧ وتفسير جوامع الجامع ج ٢ ص ١٠٢ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٤ ص ١٥٤٢ تحفة الأحوذى ج ٨ ص ٤٠٤.

(٣) الكافي ج ٨ ص ٣٧٧ والبحار ج ٢١ ص ٢٣٧ وج ٨٩ ص ٥٨ وتفسير العياشي ج ٢ ص ١١٥ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٧٨ والبرهان في تفسير القرآن ج ٢ ص ١٦٩.

(٤) البحار ج ٢١ ص ٢٣٧ وتفسير العياشي ج ٢ ص ١١٦ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٧٨.

هل كفر المتخلفون؟!:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل إلى المتخلفين، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع يأمرهم باعتزال نسائهم.. فهل هذا لمجرد التضييق عليهم، أم أن ما فعلوه قد أظهر ردتهم عن الإسلام، ولا يصح نكاح المرتد، بل لا بد لزوجته من أن تعتد منه؟!:

ألا نبشر كعب بن مالك؟!:

ويستوقفنا هنا أيضاً ما زعمته رواية كعب: من أن براءتهم قد نزلت في الثلث الأخير من الليل، فقالت أم سلمة: ألا نبشر كعب بن مالك؟ فقال «صلى الله عليه وآله»: «إذن يحطمكم الناس، ويمنعونكم النوم سائر الليلة..»

وهذا غير مقبول أيضاً:

أولاً: لماذا اهتمت أم سلمة بخصوص كعب بن مالك، وأهملت رفيقيه، فإن كان قريباً لها فذلك لا يمنع من تبشير سواه، وقد تقدم: أنها هي التي يزعمون أنها بشرت أبا لبابة حين ربط نفسه في المسجد في قصة بني قريظة.. ثانياً: هل يصح إبقاء إنسان مسلم رهن العذاب ولو نفسياً لمجرد الخوف من اجتماع الناس ومنعهم المبشر من إكمال نومته تلك الليلة؟!:

لم يعاتب الله أحداً تخلف عن بدر:

زعم كعب بن مالك: أن الله لم يعاتب أحداً تخلف عن بدر.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٣٥

وإنما يريد بكلامه هذا: أن يعذر نفسه، ويحفظ ماء وجهه في تخلفه عن ذلك المشهد العظيم.. بل هو يحاول أن يفضل بيعة العقبة عليها..

ونقول:

١ - إن عدم لوم الله لهم لا يعني أن ما فعلوه كان مقبولاً، فإن نفس عدم استجابتهم لدعوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم للمسير معه خذلان عظيم. وعدم عتاب الله تعالى لهم إنما هو بفضل منه، ورحمة.

٢ - إن الله تبارك وتعالى قد عاب على من تخلف عن بدر تخلفهم، فقال: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(١).

وفي هذا الكلام لوم وتقريع ظاهر، فلماذا يحاول كعب أن ينكره:!

٣ - أما تفضيل بيعة العقبة على غزوة بدر فهو غير مسموع، لأن الذين شهدوا العقبة، قد أعطوا العهد والميثاق، والتزموا بنصرة النبي «صلى الله عليه وآله»، وبايعوه على ذلك.. فمن وفي منهم فله أجره ومنزله عند الله بوفائه، لا بنفس بيعته. ومن قعد عن نصرته، ونكث بعهدة جوزي بفعله.. وأما قبل حضور وقت النصر، فإن للبيعة فضلها، من حيث تضمنها لدرجة من الطمأنينة والتأييد.

أما الذين شهدوا بدرًا، فالذين جاهدوا منهم بأموالهم وأنفسهم واستشهدوا، قد وفوا بعهدهم، وعقدتهم وبيعتهم، ومن لم يستشهد فلا بد من الإنتظار إلى الأخير لنرى ما تكون نهايته، وإلى ما يؤول إليه أمره..

(١) الآيتان ٥ و ٦ من سورة الأنفال.

٢٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

ولا ينفع تبجح كعب بن مالك بنفس البيعة، فإن الأمور مرهونة بخواتيمها، فضلاً عن أن الوفاء بالبيعة لا يكفي فيه الحضور في المشاهد المتعاقبة، بل لا بد من صدق الجهاد فيها، وصحة النية، وعدم الفرار من الزحف في أحد، وخير، وقرينة، وحنين، وغير ذلك.

وليس لأحد أن يفضل مقاماً على مقام، ومشهداً على مشهد من عند نفسه، ولغايات شخصية.. بل لا بد أن يقدم الشاهد على ذلك من القرآن والسنة الشريفة.

مبررات المتخلفين:

لقد ساق كعب الكثير من العبارات التي تشير إلى وجود مشبطات له ولغيره من المسلمين عن ذلك المسير، مثل: الحر الشديد، وأنه استقبل سفيراً بعيداً، ومغازاً، وعدداً كثيراً، وأن المسلمين الذين كانوا يريدون السفر كثيرون. وأن الثمار طابت، والناس خارفون في نخيلهم، وأنه يصبو للظلال والثمار.

غير أننا نقول:

إن ذلك لو صح، ولم يكن السبب في تخلفه هو ضعف الإيمان، فقد كان يجب أن يؤثر على عزيمة الثلاثين ألفاً الباقين الذين نفروا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله». فلماذا لم يؤثر ذلك إلا على جماعة يبالغون في تصغير حجمها حتى ادّعى بعضهم: أن مجموعها يصل إلى بضعة وثمانين شخصاً حسب زعمهم؟!

على أن ذلك لو صح أيضاً لكان يجب أن نجد ولو واحداً من هؤلاء

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٣٧
الناس يذكر ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويطلب منه تأجيل
مسيره، أو التفكير في حل لهذه المشكلة..

كما أنه «صلى الله عليه وآله» كان أرف وأرحم بالمسلمين منهم
بأنفسهم، فلماذا لم يلاحظ ذلك، ولا سيما مع شدة الحر، وبعد الشقة، وما
إلى ذلك من اعتبارات؟!

وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة، حين قال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ
أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١)،
يضاف إلى ذلك: أن الله تعالى هو أرحم الراحمين، فلماذا لم يعفهم من
ذلك المسير رحمة، وهو تعالى يعلم واقع حالهم. مع العلم بأن المنافع التي
سيجنونها منه، لا قيمة لها في قبال الضرر الذي سينالهم بسببه؟!

إن ذلك كله يوضح: أن كلام كعب غير صحيح، وأن الحقيقة هي
تلك التي أظهرها كعب بن مالك نفسه في بعض كلماته المتقدمة حيث قال:
«فكنت إذا خرجت في الناس، بعد خروج رسول الله «صلى الله عليه وآله»،
فطفت فيهم أحزني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق، أو رجلاً
من عذر الله تعالى من الضعفاء».

حبسه برداه، ونظره في عطفه:

وقد ظهر من سكوت النبي «صلى الله عليه وآله» عن ذلك الرجل
الذي تناول كعب بن مالك بقوله: «حبسه برداه ونظره في عطفه» أن النبي

٢٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

«صلى الله عليه وآله» لم يرَ في كلام هذا الرجل ما يوجب الإعتراض، وأنه لم يعتبر ذلك من مفردات الغيبة المحرمة.. كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يؤيد معاذ بن جبل في دفاعه، فدل ذلك على جواز غيبة كعب، وإنما تجوز غيبة الفاسق فيها تجاهر به على الأقل..

على أن دفاع معاذ لا فائدة فيه، فإن معاذاً لم يرى كعباً مما قاله ذلك الرجل، لأن معاذاً لم يزد على ادّعاء أنه لا يعرف عن كعب شيئاً..

الصدق والكذب في كلام كعب بن مالك:

إن النص المتقدم رواه لنا كعب بن مالك عن نفسه، ولا نستطيع أن نؤكد صحة جميع ما ورد فيه، لا لأجل قوة احتمال: أنه يريد أن يجزئ النار إلى قرصه، مع ظهور حرصه في مختلف الفقرات على التأكيد على براءته من النفاق، مع اعترافه بأنه يرى من المتخلفين إلا من كان منافقاً باستثناء الضعفاء..

بل لأننا وجدناه يصرح: بأنه كان مهتماً ببراءة نفسه ولو بصنع كذبة حتى على رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وإنه لم يتراجع عنها إلا خوفاً من أن يفضحها النبي «صلى الله عليه وآله» الذي كان يعلم بالغيب، لأنه لو كذب عليه ليرضى عنه ليوشكن الله تعالى أن يسخطه عليه، بإعلامه بكذبه عليه..

غير أن ثمة استثناء كان الناس يعرفونه، وهو أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يصرح بنفاق أهل النفاق، إذ ليس للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يفعل ذلك. بل يجب أن يعاملهم وفق ظاهر حالهم..

وقد صرح «صلى الله عليه وآله» بذلك، كما ذكره كعب نفسه في

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٣٩

الحديث المتقدم - حيث نقل عنه أنه حين اعتذر له المخلفون «قبل منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكّل سرائرهم إلى الله تعالى..».

ولذلك يدّعي كعب: أنه قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «ما نافقت، ولا بدلت، ولا ارتبت».

مفارقة مرفوضة:

وقد اتهم كعب بن مالك النبي «صلى الله عليه وآله» بأمر خطير، وارتكاب مفارقة غير مقبولة في تعامله مع المخلفين، حيث ذكر: أن المخلفين جاؤوا إليه «صلى الله عليه وآله»، فاعتذروا، فقبل منهم علانيتهم. وبايعهم، ووكّل سرائرهم إلى الله تعالى..

ولكنه حين جاءه كعب بن مالك. وقدم له عذره، فإنه بالرغم من أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد صدقه، فإنه لم يقبل منه علانيته، ولا بايعه، ولا استغفر له، بل قال له: «.. فقم حتى يقضي الله تعالى فيك ما يشاء».

فإن كان المخلفون قد كذبوا فيما اعتذروا به، وصدق كعب، فهل يكون جزاء الصدق والصادق التضيق والمعاناة، وجزاء الكذب والكاذب الرفق والمحابة؟!

ولماذا يدفعه النبي «صلى الله عليه وآله» بتعامله معه إلى أن يندم على صدقه، وتحذّثه نفسه باللجوء إلى الكذب؟!

ولماذا ينهى النبي «صلى الله عليه وآله» الناس عن كلام هؤلاء الثلاثة الذين صدقوا، دون سواهم ممن كذب وناق؟!

٢٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

إلا إذا كان كعب يريد بذلك أن يقول: إن المنافق كان يعامل بظاهره، وتوكل سريره إلى خالقه - وأما هو فليس من المنافقين، ولذا لم يكتف منه بالظاهر حتى يكون الله تعالى هو الذي يحكم فيه.
وفي هذا من مدح النفس وتركيتها ما لا يخفى..

الثلاثة لم يتوبوا:

ثم إن الآية الشريفة تقول: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

وقد زعموا: أن هذه الآية قد دلت على توبة الثلاثة، وعلى قبولها من الله تبارك وتعالى، وقد تقدم ذلك في رواية كعب بن مالك أيضاً..
غير أننا نقول:

إن الآية الشريفة لا تدل على توبتهم ولا على قبولها، بل هي وسابقتها قد دلّت على أن الله تعالى قد عاد على النبي «صلى الله عليه وآله» بالرحمة، كما عاد على المهاجرين والأنصار بها، فذكر النبي «صلى الله عليه وآله» في الآية الأولى تشريفاً للأمة وتكريماً للرسول ليفيد أنه «صلى الله عليه وآله» هو الواسطة في نزول الخير والبركات على أمته، ثم ذكر في الآية الثانية الثلاثة الذين خلفوا، وأنه قد تاب عليهم أي رجع عليهم برحمة الهداية إلى الخير، لكي يهتدوا بها إلى الاستغفار والتوبة، فإذا فعلوا ذلك قبل توبتهم وعاد

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٤١
عليهم بغفران ذنوبهم.

أي أن الآية تقول: إن الله تاب على الثلاثة. أي عاد إليهم برحمة الهداية للإستغفار، لكي يتوبوا، لكنه لم يبين لنا هل تابوا فعلاً أم لا.. بل اكتفى بقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾^(١) كما أنه لم يبين أنه قبل توبتهم أم لم يقبلها. وقد ادّعى كعب بن مالك: أنه فعل ذلك، وادّعى أيضاً: أن الله قد قبل توبته.

ولكننا نشك في صحة قوله، إذ لو كان قد تاب فعلاً، وكان الله قد قبل توبته لجاءت الآية هكذا: ثم تاب عليهم ليتوبوا، فلما تابوا قبل توبتهم.. ولكن الله لم يقل ذلك.

بل قد وجدنا في كلمات كعب المتقدمة ما يدل على خلاف ذلك. وقد روي عن الإمام أبي جعفر الصادق «عليه السلام» أيضاً قوله: أقاهم، فوالله ما تابوا^(٢).

لا يثق بما يختاره له النبي ﷺ:

وقد رفض كعب من مالك أن يستأذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمر امرأته، لأنه لا يدري ما يقول إذا استأذنه.. وهو رجل شاب. أي أنه يخشى أن يأمره بما لا يتوافق مع ميوله وغرائزه، كشاب، وكأنه يرى أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد لا يراعي حاله، وحاجاته، ومصلحته،

(١) الآية ١١٨ من سورة التوبة.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٢٣٧ والبرهان (تفسير) ج ٢ ص ١٦٩ ونور الثقلين ج ٢ ص ٢٧٨ وتفسير العياشي ج ٢ ص ١١٦.

٢٤٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

فأثر أن يبقى في دائرة الجهل بما يريده الرسول، ولا يعرض نفسه لاحتimalات لا يريد أن يعرض نفسه لها..

وهذا يشير إلى ضعف ثقته بما يختاره الله ورسوله له، وإيائه عن القبول به، ويشير أيضاً إلى أن نفسه أحب إليه من كل شيء حتى من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهذا يدعوننا إلى عدم الوثوق بما زعمه من ندم على ما فرط منه لقوة احتمال أنه كان يريد أن تأتي الأمور كلها موافقة لأهوائه وما تشتهي نفسه، ولعل ما يظهره من توبة إنما هو للتخلص من سلبيات نبذ الناس له، وحرمانه مما كان يطمح للحصول عليه، والوصول إليه في الظروف العادية..

فإن قلت: لعل مراده أن الأمر قد جاء باعتزال امرأته هو وصاحباها، فألحقها بأهلها، ثم إن امرأة هلال بن أمية استأذنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» في البقاء لخدمته فأذن لها.

فقال لكعب بعض أهله: استأذن رسول الله في امرأتك. أي أن ترجع إليك لتكون عندك للخدمة كامرأة هلال بن أمية.

فقال: لا أستأذن فيها، ولا أدري إن كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يجيبني على ما أطلب أم لا؟! وكيف يجيبني إلى استخدام امرأتي وأنا رجل شاب أقدر على خدمة نفسي، بينما هلال بن أمية شيخ ضعيف البصر؟!!

قلنا: إن هذا الوجه وإن كان محتملاً، فإنه لا يمنع من احتمال الوجه الذي ذكرناه آنفاً.. وذلك يمنع من الوثوق بنزاهة الرجل كما هو ظاهر..

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٤٣
لماذا كعب دون سواه؟!:

واللافت هنا: أن الصائح يوفي على سلع، ويصرخ بأعلى صوته
بالبشارة لكعب، ولا يذكر الرجلين الآخرين، فما هذا الإهتمام بكعب دون
سواه؟!!

ولماذا لا تكون البشارة للثلاثة في نداء واحد؟!
وما هذه العظمة والأهمية لكعب، حتى جعلت أبا بكر يصرخ بالبشارة
له، بل لعل عمر قد شارك أبا بكر في ذلك أيضاً؟!!

يوم التوبة خير يوم:

قال الصالحى الشامي:

استشكل إطلاق قوله «صلى الله عليه وآله»: «أبشر بخير يوم مر عليك
منذ ولدتك أمك» بيوم إسلامه، فإنه مر عليه بعد أن ولدته أمه، وهو خير
ما مر، فقيل: هو مستثنى تقديرًا، وإن لم ينطق به لعدم خفائه.

قال الحافظ (يعني العسقلاني): «والأحسن في الجواب أن يوم توبته
يكمل يوم إسلامه، فيوم إسلامه بداية سعادته، ويوم توبته مكمل لها، فهو
خير من جميع أيامه.

وإن كان يوم إسلامه خيرها، فيوم توبته المضاف إلى إسلامه خير من
يوم إسلامه المجرد عنها»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٨١ و ٤٨٢.

ونقول:

إن هذا الذنب العظيم الذي أوجب رده عن الإسلام، فيوم توبته منه خير يوم، لأن توبته كانت السبب في نجاته من الخلود في النار مع الكافرين والمشركين الذين جحدوا بآيات الله، وعصوا رسوله..
ولا خير في يوم إسلام تعقبه الردة..
ولعل هذا هو المراد بكلام الحافظ المذكور أخيراً..

كعب لا يملك إلا ثوبيه:

وقد زعم كعب: أنه أعطى ثوبيه لمن بشره بتوبة الله عليه، وقال «والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعار ثوبين من أبي قتادة».
ونقول:

إن هذا قد لا ينسجم مع قوله حين مسيرهم إلى تبوك: «إني لم أكن قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنه تلك الغزوة. والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة».
وقال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك».

فهل عاد فأنفق ذلك كله في تلك الأيام اليسيرة، حتى لم يبق معه سوى ثوبيه اللذين يلبسهما؟!!

ومما يزيد ريبنا في مقولات كعب: أنه هو نفسه يعود فيدعي أنه عرض على رسول الله أن يتصدق بجميع ماله، ثم بنصفه، فلم يقبل منه، ثم قبل منه أن يتصدق بثلث ماله، فمن أين جاءه المال، إذا كان قد استعار ثوبين

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٤٥
من أبي قتادة ليلبسهما، بعد أن أعطى ثوبيه للبشير.

أمن عندك؟! أم من عند الله؟!

ولا نستطيع أن نغض الطرف عن قول كعب للنبي «صلى الله عليه وآله» حين بشره «صلى الله عليه وآله» بخير يوم مرَّ عليه: «أمن عندك؟ أم من عند الله؟! فإنه يتضمن اتهاماً للنبي «صلى الله عليه وآله» بأنه يقول أشياء من عند نفسه، مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(١). ولا يمكن أن يصدر هذا من مؤمن صحيح الإيمان..

النبي ﷺ يأمر كعباً بإمساك ماله؟!

وقد ذكر لنا كعب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرض منه بأن يتصدق بماله كله، ولا بنصفه، وقال له: أمسك بعض مالك فإنه خير لك. مع أنهم يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» قد قبل من أبي بكر أن يأتي بماله كله لينفقه في سبيل الله حين كان يتجهز لتبوك، ورضي بأن لا يترك أبو بكر لأهله شيئاً..

كما أنه قد رضي من عمر بأن يأتي بنصف ماله، ورضي من عثمان بأن يجهز جيش العسرة كله..

فإما أن يكون ذلك كله مكذوباً، أو يكون كلام كعب غير صحيح!! مع احتمال الكذب في الجميع أيضاً.. ولعل هذا هو الأقرب والأصوب حسبما ظهر مما ذكرناه في هذا الكتاب.

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

٢٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

على أننا قد سألنا كعباً من أين له هذا المال الذي يريد أن يتصدق به أو بنصفه أو بثلثه وهو يدّعي قبل لحظات أنه أعطى ثوبه للبشير، ولم يكن يملك شيئاً غيرهما، ثم استعار ثوبين من أبي قتادة ليلبسهما؟! على أنه قد اعترف أيضاً بأن له سهماً بخير أيضاً، وقد صرح بأنه يمسكه، ويتخلى عما عداه.

الانسجام بين طلحة وبين كعب:

وقال بعضهم: إن سبب قيام طلحة لكعب: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان أخى بينهما لما أخى بين المهاجرين والأنصار، والذي ذكره أهل المغازي: أن كعباً كان أخا الزبير لكن كان الزبير أخا طلحة في أخوة المهاجرين فهو أخو أخيه^(١). ونقول:

لعل هناك عاملاً آخر يمكن إضافته إلى ما ذكره هذا البعض، وهو أن ثمة انسجاماً في الروحية، وفي الأفكار، والتصورات، وربما في السلوك، بين كعب وبين طلحة.

وقد أظهرت الأحداث مدى جرأة طلحة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى لقد آذاه في عرضه وأزواجه حين قال: «ليموتن محمد ولنجلسن بين خلايل نسائه حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٨١ وفتح الباري ج ٨ ص ٩٢.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٤٧
عَظِيمًا^(١)». ومات النبي «صلى الله عليه وآله» وهو ساخط عليه^(٢).

ثم حارب وصيه من بعده في حرب الجمل.. إلى غير ذلك من أفاعيله
الكثيرة التي لا مجال هنا لتبعتها..

ثم أظهر حديث كعب السابق - موقف كعب من رسول الله «صلى الله
عليه وآله» - وهو موقف يدين كعباً ويكشف حقيقته.. وستأتي الإشارة إلى
موقفه من وصيه من بعده أيضاً.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يواخي بين كلّ ونظيره حسبها
أشرنا إليه في حديث المؤاخاة.

كعب وكتاب ملك غسان:

قال بعضهم: دلّ صنع كعب بكتاب ملك غسان على قوة إيمانه،
ومحبته لله تبارك وتعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»، وإلا فمن صار في
مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، وتحمله

(١) الآية ٥٣ من سورة الأحزاب.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ٥٦ و ٣٢٣ وراجع: الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٤ عن
ابن أبي حاتم، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن سعد عن السدي،
وقتادة، ومحمد بن عمرو بن حزم، والبحار ج ١٧ ص ٢٧ وج ٢٢ ص ١٩٠
وج ٣٢١ ص ١٠٧ والتفسير الأصفي ج ٢ ص ١٠٠٠. وراجع: كتاب الأربعين
للشيرازي ص ٢١٧ والتفسير الصافي ج ٤ ص ١٩٩ وج ٦ ص ٦١ وتفسير نور
الثقلين ج ٤ ص ٢٩٨.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ١٨٦.

الرغبة في الجاه والمال على هجران من هجره، ولا سيما مع أنه من الملك الذي استدعاه إليه، لأنه لا يكرهه على فراق دينه، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الإفتتان، حسم المادة، وأحرق الكتاب، ومنع الجواب.

هذا مع كونه من البشر الذين طبعت نفوسهم على الرغبة ولا سيما مع الإستدعاء، والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال، ولا سيما والذي استدعاه قريبه، ومع ذلك فغلب عليه دينه، وقوي عنده يقينه، ورجح ما فيه من النكر والتعذيب، على ما دعي إليه من الراحة والتنعيم، حباً في الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»، كما قال «صلى الله عليه وآله»: «وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»^(١).

ونقول:

١ - إن ما ذكره هذا البعض غير سليم، ولا قويم، بل هو موضع تساؤل وريب، فإن عدم الإستجابة للملك غسان كما يكون بسبب قوة إيمان كعب، فإنه قد يكون أيضاً لأجل ضعف كعب، وعدم قدرته على مواجهة سليات استجابته لطلب ملك غسان.. لا سيما إذا كانت هناك أمور

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٨١. وراجع: المجموع للنووي ج ١٩ ص ٢٢١ و ٢٢٤ وسبل السلام ج ١ ص ٣٥ ونيل الأوطار ج ٣ ص ٣٢٥ و ٣٢٦ وروضة الواعظين ص ٤١٧ ومستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٣٤ ومشكاة الأنوار للطبرسي ص ٢٢٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٦ ص ٢٢٩ ومسند أحمد ج ٣ ص ١٠٣ و ١٧٢ و ٢٠٧ و ٢٣٠ و ٢٤٨ و ٢٧٥ و ٢٧٨ و ٢٨٨ وصحيح البخاري ج ١ ص ١٠ و ١١ وصحيح البخاري ج ٧ ص ٨٣ وج ٨ ص ٥٦ وصحيح مسلم ج ١ ص ٤٨ ومصادر كثيرة أخرى.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٤٩
أساسية وهامة، لا يستطيع أن يعرضها لخطر لا يعرف طبيعته ولا مداه إذا
اتخذ قراراً بالإلتحاق بمعسكر الكفر..

بل إن ما رآه من قوة وشوكة الإسلام ونبي الإسلام كما ظهر في غزوة
مؤتة، ثم تأكد ذلك في غزوة تبوك، التي لم يجترئ فيها طاغية الروم حتى
على التفكير بالتصدي والتحدي - إن هذا الذي رآه - يجعله شديد التردد في
الإستجابة، لأنه يرى فيها خطراً عظيماً على نفسه، وعلى كل مشروعه في
هذه الحياة. لا سيما وأن الرسالة قد وصلت بصورة معلنة وظاهرة، وقد
ذهبت أخبارها في كل اتجاه.

٢- إن ما ذكره النص الأنف الذكر من أن ملك غسان سوف لا يكرهه
على فراق دينه غريب وعجيب.
فأولاً: من أين ظهر له أن ملك غسان سوف لا يكرهه على فراق
دينه.. حتى لو وعده بذلك..

ثانياً: هل هذا الذي يلجأ إلى أعداء دينه، وأعداء رسوله يبقى على دين
الإسلام، لا سيما إذا كان التجاؤه هذا مضادة لنبيه، وكيداً منه له.. لا سيما
وأن القرآن قد حدد موقع من يتولى أعداء الله ورسوله، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾^(١).

أسئلة حاسمة حول الرسالة:

وتبقى هناك أسئلة أساسية وحاسمة، وهي: لماذا يتصل ملك غسان

٢٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

بكعب بن مالك دون رفيقه، اللذين نزلت الآية فيه، وفيها؟!
بل لماذا لم يتصل بعبد الله بن أبي الذي يزعمون: أن معسكره لم يكن
بأقل المعسكرين - حين المسير إلى تبوك؟ أو لماذا لم يتصل بمحمد بن
مسلمة، وهو لم يكن مريضاً، ولا ضعيفاً؟!

وسؤال آخر: لماذا لم يوصي ملك غسان حامل رسالته إلى كعب بن
مالك بمراعاة جانب السرية في الإتصال معه؟!
ألا يحتمل أن يكون أمر الرسالة قد اكتشف بواسطة الغيب، كما
اكتشفت رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يوم الفتح؟؟.

من المكلف بمقاطعة المتخلفين؟!

بالنسبة إلى قول أبي قتادة لما سأله كعب: الله ورسوله أعلم. قال
القاضي: لعل أبا قتادة لم يقصد بهذا تكليمه، لأنه منهي عن كلامه. وإنما قال
ذلك لنفسه لما ناشده، فقال أبو قتادة ذلك مظهراً لاعتقاده، لا ليسمعه.
وبالنسبة لقول كعب: قال لي بعض أهلي.

قال في النور: الظن أن القائل له من بعض أهله امرأة، وذلك أن النساء
لم يدخلن في النهي، لأن في الحديث: «ونهى المسلمين عن خطابنا».
وهذا الخطاب لا يدخل فيه النساء، وأيضاً فإن امرأته ليست داخلية في
النهي، فدل على أن المراد الرجال.

وقال الحافظ: لعل القائل بعض ولده أو من النساء، ولم يقع النهي عن
كلام الثلاثة للنساء اللاتي في بيوتهن، أو أن الذي كلمه كان منافقاً، أو

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٥١
الذي يخدمه. ولم يدخل في النهي^(١).

ونقول:

١ - إن قولهم: نهى المسلمين عن خطابنا لا يدل على عدم شمول النهي للنساء، فإن المراد بالمسلمين هم الأشخاص المسلمون، سواء كانوا رجالاً أم نساءً، وهذه هي طريقة الخطابات القرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، فإن المراد هم: الناس المؤمنون، وليس المراد خصوص الرجال المؤمنين، لأنه استعمل صيغة جمع المذكر السالم.. وهكذا سائر الآيات القرآنية والخطابات النبوية.

ولو أراد الذكور وحدهم لقال - مثلاً: نهى رجال المسلمين.

٢ - إن كعب بن مالك - كما في الدر المنثور - قال: «نهى رسول الله الناس عن كلامنا» ولم يقل: نهى المسلمين، ولعل ذلك يفسر لنا التصريح بأن الناس هجروا المتخلفين حتى الصبيان^(٣).

وفي تفسير القمي: «لم يكلمهم رسول الله ولا إخوانهم، ولا أهلهم، فضاقت عليهم المدينة»^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٨١، وفتح الباري ج ٨ ص ٩١ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٨١.

(٢) الآية ١ من سورة المؤمنون.

(٣) تفسير مجمع البيان للطبرسي ج ٥ ص ١٣٧ والبحار ج ٢١ ص ٢٠٥ والتبيان ج ٥ ص ٣١٦.

(٤) تفسير البرهان ج ٢ ص ١٦٩ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٩٨ ونور الثقلين ج ٢ ص ٢٧٩ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٣٠٣.

وقد ذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال لأصحابه: «لا تكلّموا رجلاً تخلف عنا، ولا تجالسوه حتى أذن لكم»، وإنه قد قال ذلك لأصحابه قبل وصوله إلى المدينة حين جاء المنافقون يتلقونه، ثم إنه «صلى الله عليه وآله» رحمهم وباعهم واستغفر لهم، ثم كانت قضية الثلاثة الذين خلفوا^(١).

كعب بن مالك ليس كأبي ذر:

وقد انضح من جميع ما تقدم: أنه ليس من الصواب اعتبار حال كعب بن مالك كحال أبي ذر، إذ شتان ما بين الرجلين، فكعب قد خالف أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأصبح في جملة العصاة، وقد أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهجره، ولم تتحقق له توبة كما ظهر من النص الذي رواه كعب لنا، مع ما فيه من محاولة التضخيم والتفخيم.

أما أبو ذر فله شأن آخر سنوضحه فيما يأتي إن شاء الله تعالى، ولأجل ذلك فنحن لا نوافق على قولهم: وكان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب منهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، وأبو خيثمة، وأبو ذر الغفاري.

وكانوا نفر صدق لا يهتمون في إسلامهم انتهى.

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٦ عن ابن مردويه، وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٢ عن ابن عتبة، وعن دلائل النبوة للبيهقي ج ٥ ص ٢٨٠، والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٢٣ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٨١ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٨٠.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٥٣

هذا وقد لحق أبو خيثمة، وأبو ذر برسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).
وقد صرحت النصوص: أن النساء قد شاركن في مقاطعتهم أيضاً،
فقد قالوا: «فأعرض عنهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمؤمنون، حتى
إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه، وحتى أن المرأة لتعرض عن زوجها»^(٢).

الجهاد فرض عين أو فرض كفاية:

قال الحافظ: إنما غلظ الأمر على كعب وصاحبيه وهو جروا، لأنهم
تركوا الواجب عليهم من غير عذر، لأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً
لزمهم النفير، ولحق اللوم بكل فرد، أي لو تخلف.

قال ابن بطلال: إنما اشتد الغضب على من تخلف، وإن كان الجهاد
فرض كفاية لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين لأنهم بايعوا على ذلك،
ومصدق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً
وكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة، لأنها كالنكت لبيعتهم.
قال السهيلي: ولا أعرف له وجهاً غير الذي قاله ابن بطلال.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤١ عن ابن إسحاق والواقدي، والتفسير الصافي
ج ٢ ص ٣٨٤ والبحار ج ٢١ ص ٢١٥ وتفسير القمي ج ١ ص ٢٩٤ والمستدرک
للحاكم ج ٣ ص ٥٠ وراجع: فيض القدير شرح الجامع الصغير ج ٤ ص ٤٨٤ و
وتفسير أبي السعود ج ٤ ص ١١٠ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٩٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٣ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٨٠ والسيرة الحلبية
ط دار المعرفة ج ٣ ص ١٢٤.

قال الحافظ: قد ذكرت وجهاً غير الذي ذكره، ولعله أقعد.

ويؤيده قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا خَمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

وعند الشافعية: أن الجهاد كان فرض عين في زمنه «صلى الله عليه وآله»، فعلى هذا، فيتوجه العتاب على كل من تخلف مطلقاً^(٢).
ونقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ندب جميع الناس إلى الجهاد، ولم يأذن لأحد بالتخلف، فمن تخلف فقد عصى أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيستحق العتاب والعقاب..

وبذلك يتضح: أن المعيار هنا ليس هو أن الجهاد فرض عين أو فرض كفاية، لكي يعود الأمر في تشخيص ذلك إلى المكلفين أنفسهم! بل المعيار هو أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فمعصية الرسول، والتمرد عليه محرم في نفسه، وطاعته فرض عين، حتى لو كان الجهاد فرض كفاية..

٢ - كما أنه لا محل للحديث عن أن ذلك يختص بالأنصار وحسب، فإن بيعتهم إنما هي لتأكيد إلزامهم بالواجب، تماماً كما جرى في بيعة الغدير، فإن

(١) الآية ٥١ من سورة المائدة.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٨٠ و ٤٨١ وفتح الباري ج ٨ ص ٩٣.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٥٥

الإمامة لا تثبت بالبيعة، ولا تنتفي بعدمها، بل هي ثابتة في حق من بايع، ومن لم يبايع لأنها بالنص، والبيعة إنما هي لتأكيد وجوب الواجب في حقهم على ما هو عليه، ولكنها لا تغير من صفة الوجوب، فلا تجعل الواجب الكفائي واجباً عينياً ولا العكس..

٣- إن التخلف عن الغزو الذي يحتاج المسلمون إلى القيام به للذب عن دينهم، وعن أنفسهم، وقد نذبتهم إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» كبيرة على كل حال، سواء أكان ذلك ممن بايع أو ممن لم يبايع.. فلا يصح اعتبار تخلف المهاجرين صغيرة، وتخلف الأنصار كبيرة.

كعب بن مالك يحتاج إلى أوسمة:

وقد كان لا بد من البحث عن أوسمة، أو اختراعها لكي تمنح لكعب بن مالك، فإنه كان عثمانياً لم يبايع علياً «عليه السلام»^(١).

وكان عثمان قد استعمله على صدقة مزينة، وترك ما أخذ منهم له^(٢).

وقد رثى عثمان بأمور منكورة^(٣).

وربما من أجل ذلك كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد آخى بينه وبين الزبير^(٤)، أو بينه وبين طلحة^(٥).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٥٢.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٥٢ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٩١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٥٣٦.

(٤) المصنف لابن أبي شيبة ج ٦ ص ٢٦٥ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٩٨

وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٥٤٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي =

وقد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يؤاخي بين كل ونظيره..
وكان كعب بن مالك، وحسان بن ثابت، ونعمان بن بشير عثمانيه،
يقدمون بني أمية على بني هاشم، ويقولون: الشام خير من المدينة، واتصل
بهم أن ذلك بلغ علياً «عليه السلام»، فدخلوا عليه، فقال له كعب: أخبرنا
عن عثمان أقتل ظالماً فنقول بقولك؟ أو قتل مظلوماً فتقول بقولنا، ونكلك
إلى الشبهة فيه؟ فالعجب من تيقننا وشكك.. وقد زعمت العرب أن عندك
علم ما اختلفنا فيه، فهاته نعرفه.

فقال لهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر
عثمان فأساء الإثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، وعند الله ما تختلفون فيه إلى
يوم القيامة.

فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذرنا به.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أتردون علي بين ظهري المسلمين
بلا نية صادقة، ولا حجة واضحة؟! أخرجوا عني فلا تجاوروني في بلد أنا
فيه أبداً.

فخرجوا من يومهم فساروا حتى أتوا معاوية فقال: لكم الكفاية أو
الولاية، فأعطى حسناً ألف دينار وكعباً ألف دينار، وولى النعمان حمص^(١).

= ج ١٤ ص ١٢٤ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١١٥ و (ط دار
الكتب العلمية) ص ١٠٢ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٢٧١ والمجموع للنووي
ج ١٥ ص ٤٠٣.

(١) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٧٦٤ وإمتاع الأسماع ج ٦ ص ١٤١.

(٢) نهج السعادة ج ١ ص ٢١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥ ص ١٧٨.

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا.. وحديث كعب بن مالك ٢٥٧

وكان كعب أحد من عاون المصريين، وشهر سلاحه، فلما ناشد عثمان الناس أن يغمدوا سيوفهم، انصرف، ولم ير أن الأمر ينتهي إلى قتله فلما قتل وقف على الأنصار وقال:

من مبلغ الأنصار عنك رسالة رسل تقص عليهم التبيان^(١)
إلخ..

وعن الزهري: أن كعب بن مالك قال يوم الدار: يا معشر الأنصار،
انصروا الله.. مرتين^(٢).

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٥٣٩، وراجع الأغاني.

(٢) شرح الأخبار ج ٢ ص ٢٩ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٣٢٦ وتاريخ

مدينة دمشق ج ٣٩ ص ٤٣٢ وأسد الغابة ج ٥ ص ١٧٢.

الفصل السادس:

هكذا يكيدون علياً عليه السلام

رسالة لسا لصفاء

ليلا نهيج انهم

علي عليه السلام خليفة النبي صلى الله عليه وآله في أهله:

وزعمت بعض الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما خلف علياً «عليه السلام» في أهله، وأنه لم يستخلفه على المدينة كلها، فلاحظ قولهم: وخلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام» على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقلاً له، وتحققاً منه.

فلما قالوا ذلك أخذ علي «عليه السلام» سلاحه، وخرج حتى لحق برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو نازل بالجرف، فأخبره بما قالوا. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي»؟! فرجع علي «عليه السلام» إلى المدينة. وهذا الحديث رواه الشيخان، وله طرق^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤١ عن ابن إسحاق، والبخاري، ومسلم. وقال في الهامش: أخرجه البخاري ج ٧ ص ٧١ (٣٧٠٦) ومسلم ج ٤ ص ١٨٧٠ (٣٠ / ٢٤٠٤). راجع: البحار ج ٣٧ ص ٢٦٧ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ =

٢٦٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

وإمعاناً منهم في حَبْك أكَذُوبَتُهُم المُمَثَّلَة في نفي استخلاف علي عليه السلام على المدينة، زعموا: أنه «صلى الله عليه وآله» استخلف على المدينة محمد بن مسلمة^(١)، وهذا هو الثابت عند الواقدي، وقال: لم يتخلف عنه في غزوة غيرها^(٢).

وقيل: استخلف سباع بن عرفة^(٣).

وقيل: ابن أم مكتوم^(٤).

= ص ١٢٥ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧ والسيرة النبوية لابن هشام (ط درا الكنوز الأدبية) ج ٢ ص ٥١٩ وراجع الثقات لابن حبان (ط الهند) ج ٢ ص ٩٣ فما بعدها، والرحيق المختوم للمباركفوري ص ٣٩٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢ عن ابن إسحاق، والواقدي، والرحيق المختوم للمباركفوري ص ٣٩٨ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٥ عن الديماطي، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧ والسيرة النبوية لابن هشام (ط دار الكنوز) المجلد الثاني ص ٥١٩. وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٥ والعثمانية للجاحظ ص ١٥٣ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٥٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢ عن الواقدي.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧ والسيرة النبوية لابن هشام (ط دار الكنوز) المجلد الثاني ص ٥١٩ والثقات لابن حبان (ط الهند) ج ٢ ص ٩٣ فما بعدها، والرحيق المختوم للمباركفوري ص ٣٩٨ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٥ عن المنتقى، وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٥ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٥٠.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧ والسيرة النبوية =

الفصل السادس: هكذا يكيدون علياً عليه السلام ٢٦٣

وقيل: علي بن أبي طالب «عليه السلام». قال أبو عمر وتبعه ابن دحية: وهو الأثبت.

ورواه عبد الرزاق في المصنف بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص، ولفظه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما خرج إلى تبوك استخلف على المدينة علي بن أبي طالب، وذكر الحديث^(١).

حديث المنزلة كما روي:

قد روي حديث: أنت مني بمنزلة هارون من موسى عن جماعة كثيرة، منهم: أمير المؤمنين «عليه السلام»، وزيد بن أرقم، وأم سلمة، وأسماء بنت عميس، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري، وعمر بن ميمون، وحذيفة، ومحدوج الذهلي، وأنس، وجشي بن جنادة، وعمر، وجابر بن سمرة، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الطفيل، وقيس، وسعيد بن المسيب، وعلي بن زيد بن جدعان، وسعد بن مالك، وإبراهيم، والحارث

= لابن هشام (ط دار الكنوز) المجلد الثاني ص ٥١٩ والثقات لابن حبان (ط الهند) ج ٢ ص ٩٣ فما بعدها، والرحيق المختوم للمباركفوري ص ٣٩٨ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٥ عن المتقي، وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣٥ والعثمانية للجاحظ ص ١٥٣.

(١) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٢ والفصول في سيرة الرسول لابن كثير ص ٩٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٥. وراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوافي ج ١ ص ٥٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٤٢٨.

٢٦٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

بن مالك، وخالد بن عرفة، وآخرون كثير، فراجع ما ذكره آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله» حول رواية هذا الحديث الشريف وأسمائهم.

وسياي: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك لعلي «عليه السلام» في مواضع كثيرة، وقد أوردته طائفة من المصادر من دون تحديد، فراجع^(١).

(١) راجع على سبيل المثال: مسند فاطمة للسيوطي (ط سنة ١٤٠٦) ص ٣٤ و ٤٣ والحلي بتخريج فضائل علي ص ٦٢ عن البزار ١٨٥ - ٣/١٨٦ وتهذيب خصائص الإمام علي للنسائي ص ٦٤ و ٦١ وموضح أوهام الجمع والتفريق ج ٢ ص ٥٨٣ وج ١ ص ٢٩٧ وج ٣ ص ٧٢ وكتاب المعجم لابن المثنى التميمي ص ٩٤ و ٩١ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٣٤٤ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٥ و ٣٣٤ و ٣٣٥ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٦٣ وج ٢٥ ص ٤٢٢ وج ١٦ ص ٣٤٦ والفرائد المتقاة، والغرائب الحسان لابن الصوري ص ١٤ و ٢٢ و ٥٤ والعلل المتناهية ج ١ ص ٢٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٢٦ وحلية الأولياء ج ٣ ص ٣٤٥ والتنكيح والإفادة ص ٤٦ و ٤٤ وتثبيت الإمامة ص ٥٧ وأعلام الحديث ج ٣ ص ١٦٣٧ والمعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصديقي ج ١٦ ص ٥٠ ومعجم الشيوخ لابن جميع الصيدائي ج ٢٤٠ والمغازي النبوية للزهري ص ١١١ والأسرار المرفوعة ص ٢٧٢ والسيرة النبوية لأبي حاتم البستي ص ٣٦٧ ورياض النفوس ج ١ ص ٥٨ ومعتقد أبي إسحاق الشيرازي ص ١٠٦ والدر الملتقط ص ٤٩ وسلوك المالك ص ١٩٣ وعلم الحديث لابن تيمية ص ٢٦٦ والثقات ج ١ ص ١٤١ واللائي ليموت بن المزرع (مطبوع في نوادر الرسائل) ص ١٠٠ ومختصر سيرة الرسول لمحمد بن عبد الوهاب ص ١٥٤ وفضائل الصحابة للنسائي ص ١٤ و ١٣ والفصول في سيرة الرسول لابن كثير =

ما جرى في غزوة تبوك:

ومن النصوص التي ذكرت هذا الحديث الشريف وحددت حصوله في غزوة تبوك نشير - على سبيل المثال - إلى ما يلي:

١ - خرج الناس في غزوة تبوك، فقال علي «عليه السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله»: أخرج معك؟

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: لا.

فبكى علي «عليه السلام»، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي؟! إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفة^(١).

٢ - وقالوا: لما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك،

= ص ٩٢ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٩ ص ٢٩١ والوسيلة للموصلي ص ١٦١
 والمسند للحميدي ج ١ ص ٣٨ والجواهر الثمين ج ١ ص ٥٩ والإحسان بترتيب
 صحيح ابن حبان ج ٨ ص ٢٢١ وج ٩ ص ٤١ والتبر المذاب ص ٣٩ والزبرجد على
 مسند أحمد ج ٢ ص ١٦٧ والمجالسة ص ٤٧٤ والحدائق لابن الجوزي ج ١ ص ٤٠٨.
 (١) المعجم الكبير (مطبعة الأمة في بغداد) ج ١١ ص ٩٨ و (ط دار إحياء التراث
 العربي) ج ١٢ ص ٧٨ وراجع: مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٣٢٩ والعمدة
 لابن البطريق ص ٨٦ و ٢٣٩ وذخائر العقبى ص ٨٧ والبحار ج ٣٨ ص ٢٤٢
 وج ٤٠ ص ٥١ والمراجعات للسيد شرف الدين ص ١٩٧ و ١٩٨ و ٣٩٦
 ومسند أحمد ج ١ ص ٣٣١ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٣٣ ومجمع الزوائد ج ٩
 ص ١٢٠ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥٥٢ وخصائص أمير المؤمنين
 «عليه السلام» للنسائي ص ٦٤ وخصائص الوحي المبين لابن البطريق ص ١١.

استخلف علي بن أبي طالب «عليه السلام» على المدينة، فهاج المنافقون في المدينة، وفي عسكر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقالوا: كره قربه وساء فيه رأيه، فاشتد ذلك على علي «عليه السلام»، فقال: يا رسول الله «صلى الله عليه وآله» تخلفني مع النساء والصبيان؟! أنا عائد بالله من سخط الله وسخط رسوله.

فقال: رضي الله برضائي عنك فإن الله عنك راض، إنما منزلك مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي.

فقال علي «عليه السلام»: رضيت، رضيت^(١).

٣- وفي رواية سعد بن أبي وقاص: خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي

«عليه السلام»: أتخلفني مع النساء والصبيان؟!

فقال له «صلى الله عليه وآله»: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون

من موسى؟^(٢).

(١) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٣٤٧ وراجع مسند أبي يعلى ج ٢ ص ٦٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٨١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٣٣٢ والإعتقاد على مذهب السلف لأحمد بن الحسين البيهقي ص ٢٠٥ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ٢٨٦ ومعارج القبول ج ٢ ص ٤٧١ ومسند فاطمة للسيوطي ص ٦٢ والمعجم لابن المثنى التميمي ص ٢٣٠ وتحفة الأحوذ ج ١٠ ص ٢٢٩ وتلخيص المشابه في الرسم ج ٢ ص ٦٤٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٢٧ وتاريخ الأحمدي ص ٩٩ وفضائل الصحابة للنسائي ص ١٤ والإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (ط بيروت) ج ٩ ص ٤١ والحدائق لابن الجوزي ج ١ ص ٣٨٧ عن البخاري، ومسلم، والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧.

زاد في نص آخر قوله: قال: بلى يا رسول الله.

قال: فأدبر علي «عليه السلام» فكأنني أنظر إلى غبار قدميه يسطع^(١).

٤ - وفي نص آخر: عندما خلف علياً «عليه السلام» في المدينة، قال الناس: مله وكره صحبته.

فتبع علي النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى لحقه في بعض الطريق، فقال: يا رسول الله، خلفتني في المدينة مع النساء والذراري، حتى قال الناس مله وكره صحبته؟!.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: يا علي إني خلّفتك على أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟^(٢).

٥ - وفي نص آخر: أنه تبعه إلى ثنية الوداع وهو يبكي ويقول: يا رسول الله، تخلفني مع الخوالف؟!.

(١) مسند أبي يعلى ج ٢ ص ٥٧ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج ١ ص ٥١٣ و ٥٢٣ و ٥٣٣ والعمدة لابن البطريق ص ١٢٨ والبحار ج ٣٧ ص ٢٦٢ ومسند أحمد ج ١ ص ١٧٣ ومسند سعد بن أبي وقاص للدورقي ص ١٧٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٤.

(٢) مناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» ج ١ ص ٥٣١ و ٥٣٢ وفضائل الصحابة ص ١٣ ومسند سعد بن أبي وقاص ص ١٧٤ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤٤ و ١٢٠ و ٢٤٠ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص ٧٦ ومسند أبي يعلى ج ٢ ص ٨٦ والكامل ج ٢ ص ٤١٧ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٥١ و ١٥٢ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٣٤٤.

فقال: ألا ترضى أن تكون مني الخ..^(١).

٦ - عن زيد بن أرقم قال: لما عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لجيش العسرة، قال لعلي «عليه السلام»: إنه لا بد من أن تقيم أو أقيم.
قال: فخلّف علياً وسار. فقال ناس: ما خلفه إلا شيء يكرهه منه.
فبلغ ذلك علياً «عليه السلام»، فاتبع رسول الله «صلى الله عليه وآله»،
حتى انتهى إليه، فقال: ما جاء بك يا علي؟!
فقال: يا رسول الله، إني سمعت ناساً يزعمون أنك خلّفتني لشيء
كرهته مني.

قال: فتضحك إليه وقال: ألا ترضى أن تكون مني كهارون من
موسى، غير أنك لست بنبي؟!
قال: بلى يا رسول الله.
قال: فإنه كذلك^(٢).

٧ - وعن أبي سعيد: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»
في غزوة تبوك: اخلفني في أهلي.
فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله، إني أكره أن يقول العرب،
خذل ابن عمه، وتخلّف عنه.

(١) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٣٤٤ وتهذيب خصائص الإمام علي «عليه السلام»
ص ٥٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٣٤٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٤
وتثبيت الإمامة ص ٥٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٨٦ وراجع: مجمع
الزوائد ج ٩ ص ١١١ والمعجم الكبير ج ٥ ص ٢٠٣.

فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟!.

قال: بلى.

قال: فاخلفني^(١).

ونقول:

إن لنا مع هذا الحديث وقفات عديدة، قد ذكرنا فيها سبق بعضاً منها، ونذكر هنا بعضاً آخر، ونصرف النظر عن باقيها توخيّاً للأختصار..

الإستثناء منقطع:

قال علماؤنا الأبرار رضوان الله تعالى عليهم: إن حديث المنزلة يدل على: أن لأمر المؤمنين «عليه السلام» جميع منازل هارون من موسى إلا منزلة النبوة، واستثناء النبوة دليل العموم لجميع المنازل..

ومع غض النظر عن إفادة الإستثناء لذلك، فإن نفس إطلاق قوله: أنت مني بمنزلة فلان، لا بد أن يراد به أظهر منازل، وأقربها إلى فهم الناس بملاحظة حالة ذينك الشخصين مع بعضهما البعض، فإن كان قائل هذه الكلمة والداً أو ابناً، أو أخاً، حملت هذه الكلمة على هذه المعاني، أي أنه بمنزلة ولده، وأبيه، وأخيه.

وإن كان ذلك الشخص معلماً، فكذلك، وإن كان وزيراً وحاملاً لمسؤوليات التدبير، والرعاية، كانت له منزلته من هذه الناحية..

(١) مختصر تاريخ دمشق ج ١٧ ص ٣٤٧ والبحار ج ٢١ ص ٢٣٢ وج ٣٧ ص ٢٥٥
ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٧٣ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص ٥٧.

ومن الواضح: أن أظهر خصوصية كانت بين هارون وموسى هي أخوته له، وشد أزره، ووجوب طاعته، ووزارته، وشراسته في أمره وكونه أولى الناس به حياً وميتاً، حسبما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ هَٰؤُلَاءِ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾^(١).

فلا بد أن يراد بكونه بمنزلته هو هذه الخصوصيات، ولا سيما هاتان الخصوصيتان.

أما خصوصية النبوة، فهي غير مرادة قطعاً، لأنها خصوصية لا تعني موسى «عليه السلام» وإنما تعني الناس الآخرين، فاستثاؤها من المنازل من قبيل الإستثناء المنقطع، الذي جيء به إمعاناً في التوضيح، واستقصاء في دفع الشبهة.

وليس هذا من الإستثناء المتصل، فإن إشراك هارون في أمر موسى ليس من جهة جعل النبوة مناصفة بينهما، فإن ذلك مما لا يصح توهمه، إلا من جاهل. بل من جهة معونته له، ووجوب طاعته، وهو في موقع الأخ والوزير، حسبما أوضحته الآيات الكريمة..

هل حديث المنزلة خاص بأهل النبي ﷺ؟!

وزعموا: أن حديث المنزلة خاص بأهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا يعم الناس جميعاً، حيث إن بعض نصوصه تقول: فارجع، فاخلفني في أهلي وأهلك.. كما تقدم.

ونجيب:

أولاً: إن معظم نصوص غزوة تبوك لم تخص حديث المنزلة في استخلاف النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» على أهله «صلى الله عليه وآله»، بل أطلقت الخلافة.

فمن أين جاءت هذه الإضافة المشبوهة؟!.

ثانياً: إن حديث المنزلة بإطلاقه قد قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مواقف كثيرة كانت تبوك واحدة منها. فقد قاله في:

١ - يوم المؤاخاة الأولى^(١).

٢ - يوم المؤاخاة الثانية^(٢).

٣ - يوم تسمية الحسن والحسين «عليهما السلام»^(٣).

٤ - في حجة الوداع^(٤).

(١) راجع: البحار ج ٣٨ ص ٣٣٤ وج ٨ ص ٣٣٠ وإثبات الهداة ج ٣ باب ١٠ ح ٦١٩ و ٧٦١ وعن كنز العمال ج ١٥ ص ٩٢ وج ٦ ص ٣٩٠ وتذكرة الخواص ص ٢٣ وفرائد السمطين ج ١ ص ١١٥ و ١٢١ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ١٠٧ وينابيع المودة ص ٦٥ و ٥٧.

(٢) راجع: المناقب للخوارزمي ص ٧ وتذكرة الخواص ص ٢٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢١ ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٥ ص ٣١.

(٣) علل الشرائع ص ١٣٧ و ١٣٨ وينابيع المودة ص ٢٢٠ وفرائد السمطين ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٥.

(٤) البحار ج ٣٧ ص ٢٥٦ ودعائم الإسلام ج ١ ص ١٦ والأمالى للطوسي ص ٥٢١ والغدير ج ١ ص ٢٦٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان ج ٥ ص ٢٣١.

- ٥ - في منى^(١).
- ٦ - يوم غدیر خم^(٢).
- ٧ - يوم المباهلة^(٣).
- ٨ - غزوة تبوك.
- ٩ - عند الرجوع بغنائم خيبر^(٤).
- ١٠ - يوم كان يمشي مع النبي «صلى الله عليه وآله»^(٥).
- ١١ - في حديث لحمه لحمي، حين خاطب «صلى الله عليه وآله» أم سلمة بهذا القول^(٦).

- (١) البحار ج ٣٧ ص ٢٦٠ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٢٩ والدر النظيم ص ٢٨٤.
- (٢) البحار ج ٣٧ ص ٢٠٦ وتفسير العياشي ج ١ ص ٣٣٢ والاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٧٣ واليقين لابن طاووس ص ٣٤٨ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٤٥.
- (٣) البحار ج ٢١ ص ٣٤٣ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٤٢ والمناقب للخوارزمي ص ١٠٨ وعن الطرائف ج ١ ص ١٤٨ - ١٤٩ ح ٢٢٤ عن مناقب ابن المغازلي، وعن العمدة لابن البطريق ص ٤٦.
- (٤) الأمالي للصدوق ص ٨٥ وإثبات الهداة ج ٣ باب ١٠ ح ٢٤٣ والمناقب للخوارزمي ص ٧٦ و ٩٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٤٥ وكفاية الطالب ص ٢٦٤ وجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣١ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٤٤٩ وينابيع المودة ص ١٣٠ وكنز الفوائد للكرجكي ص ٢٨١ والمسترشد للطبري ص ٦٣٤ وروضة الواعظين ص ١١٢.
- (٥) وإثبات الهداة ج ٣ باب ١٠ ح ١٠٨.
- (٦) البحار ج ٣٢ ص ٣٤٨ وج ٣٧ ص ٢٥٤ و ٢٥٧ و ٣٣٧ وج ٣٨ ص ١٢٢ و ١٣٢ =

١٢ - يوم سد الأبواب^(١).

١٣ - يوم بدر^(٢).

١٤ - يوم نام الصحابة في المسجد^(٣).

١٥ - في قضية الإختصام في ابنة حمزة «عليه السلام»^(٤).

١٦ - يوم كان أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة في حضرة النبي «صلى الله

= و ٣٤١ وج ٤٠ ص ١٤ والأمالى للطوسي ج ١ ص ٤٩ وعن كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ الحديث رقم (٢٥٥٤) ومنتخب كنز العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٥ ص ٣١ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ٧٨ والمناقب للخوارزمي ص ٨٦ وينايع المودة ص ٥٠ و ٥٥ و ١٢٩ وجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١ وكفاية الطالب ص ١٦٨ (ط الحيدرية) وميزان الإعتدال ج ٢ ص ٣ وفرائد السمطين ج ١ ص ١٥٠ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٥٤٤ وعلل الشرائع ج ١ ص ٦٦ والتحسين لابن طاووس ص ٥٦٦ واليقين لابن طاووس ص ١٦١ و ١٧٣ و ٣٣٤ و ٤١٥ .

(١) ينايع المودة ص ٨٨ ومناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٢٥٥ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ٢٦٦.

(٢) المناقب للخوارزمي ص ٨٤.

(٣) كفاية الطالب ص ٢٨٤ والبحار ج ٣٧ ص ٢٦٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٣٩ والمناقب للخوارزمي ص ١٠٩ وكشف اليقين للعلامة الحلي ص ٢٨٢ وينايع المودة ج ١ ص ١٦٠.

(٤) الخصائص للنسائي (ط الحيدرية) ص ١٨ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ٣٣٨.

عليه وآله»، والنبي «صلى الله عليه وآله» متكئ على علي «عليه السلام»^(١).
وذلك كله يشير إلى أن علياً «عليه السلام» شبيه بهارون في جميع
مزاياه، وأظهرها وأشهرها شراكته في الأمر، ووزارته، وشد أزره، وإمامته
للناس في غياب أخيه موسى «عليه السلام».

ثالثاً: إنه لو كانت خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام» لرسول الله
«صلى الله عليه وآله» منحصرة في أهله «صلى الله عليه وآله» لوقعت
المنافات بين صدر الرواية وذيلها، فإن صدرها يقول: إنه يستخلفه في أهله،
وذيلها يجعله منه كهارون من موسى، مع أن هارون إنما خلف موسى في
قومه، لا في أهله.

وصرحت الآية: بأن موسى قد طلب من الله أن يجعل له هارون أخاً،
وشريكاً له في الأمر الذي هو إمامة الناس وقيادتهم..

لماذا خلف علياً عليه السلام في المدينة؟!:

قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه، ونعم ما قال:

«وقال: يا علي، إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك.

وذلك أنه «صلى الله عليه وآله» علم خبث نيات الأعراب، وكثير من
أهل مكة ومن حولها، ممن غزاهم، وسفك دماءهم، فأشفق أن يطلبوا

(١) راجع: كنز العمال (ط ٢) ج ١٥ ص ١٠٩ و ١٠٨ والمناقب للخوارزمي ص ١٩

وينابيع المودة ص ٢٠٢ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر

(بتحقيق المحمودي) ج ١ ص ٣٢١ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١١٠

والرياض النضرة (ط ٢) ج ٢ ص ٢٠٧ و ٢١٥.

المدينة عند نأيه عنها، وحصوله ببلاد الروم، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه لم يؤمن من معرّتهم، وإيقاع الفساد في دار هجرته، والتخطي إلى ما يشين أهله، ومخلفيه..

وعلم أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو، وحراسة دار الهجرة، وحياطة من فيها إلا أمير المؤمنين «عليه السلام»، فاستخلفه استخلاقاً ظاهراً، ونص عليه بالإمامة من بعده نصّاً جلياً، وذلك فيما تظاهرت به الرواية أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله «صلى الله عليه وآله» على المدينة حسدوه لذلك، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنها تتحرس به، ولا يكون فيها للعدو مطمع، فساءهم ذلك..

وكانوا يؤثرون خروجه معه، لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن المدينة، وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها..

وغبطوه «عليه السلام» على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر، فأرجفوا وقالوا: لم يستخلفه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إكراماً له، وإجلالاً ومودة، وإنما خلفه استثقلاً له..

إلى أن قال: فلما بلغ أمير المؤمنين «عليه السلام» إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم، وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، إن المنافقين يزعمون: أنك خلفتني استثقلاً ومقتاً؟!..

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: إرجع يا أخي إلى مكانك، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك. فأنت خليفتي في أهل بيتي، ودار هجرتي وقومي،

٢٧٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩
ألا ترضى أن تكون بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟!
الخ...^(١).

هل الرواية خاصة بتبوك؟:

وزعم بعضهم أن حديث المنزلة خاص بغزوة تبوك، ولا ربط له بها
بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإليك نص كلامه:
«هارون لم يكن خليفة موسى، لأنه مات قبل موسى، بل المراد
استخلافه بالمدينة حين ذهابه إلى تبوك، كما استخلف موسى هارون عند
ذهابه إلى الطور، لقوله تعالى: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾^(٢).
ونجيب:

أولاً: إن ذلك يؤدي إلى أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد أورد كلاماً
متناقضاً، فإنه إذا كان المقصود هو الحديث عن خلافته في حال حياته لم يكن
معنى لأن يقول: إلا أنه لا نبي بعدي، بل كان الأحرى أن يقول: إلا أنه لا
نبي معي..

ثانياً: لو كان المراد الخلافة في خصوص تبوك، فلا حاجة إلى تنزيه منزلة
هارون من موسى وإلا، فقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» استخلف
الكثيرين على المدينة في غزواته المختلفة، كغزوة الفتح، وبدر، وقريظة،
وخيبر.. و.. الخ.. فلماذا لم يجعل لهم منه منزلة هارون من موسى؟!

(١) البحار ج ٢١ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ والإرشاد ج ١ ص ١٥٦ إضافة إلى مصادر كثيرة

ذكرناها في موارد سبقت.

(٢) الآية ١٤٢ من سورة الأعراف.

ثالثاً: إن العبرة إنما هي بعموم اللفظ، لا بخصوص المورد، فكيف إذا تضمن الكلام الإشارة إلى استمرار المنزلة المفعولة لأمير المؤمنين «عليه السلام» إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» حسبما ألمحنا إليه..

فاستخلاف موسى لهارون في قومه حين ذهب إلى الطور، لا يعني أن تكون منزلة أمير المؤمنين «عليه السلام» من النبي «صلى الله عليه وآله» خاصة بحياة النبي «صلى الله عليه وآله»..

ويشير إلى ذلك: أن إطلاق المنزلة المفعولة يستدعي أن يكون أمير المؤمنين «عليه السلام» بمنزلته هارون من موسى في شراسته معه في الأمر أيضاً، والشريك في الأمر هو الأولى بمتابعة أمور شريكه في حياته، وبعد وفاته، فلو أن موسى مات قبل هارون، فإن هارون سيكون أولى بأخيه من جميع بني إسرائيل، وسيقوم مقامه في كل شيء... وذلك ظاهر..

ويشهد لذلك: أن أجداً لا يدعي أن آية: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾^(١) خاصة بحياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد انقطع ذلك بعد وفاته..

قريش هي البلاء:

وقد صرحت بعض روايات غزوة تبوك: أن علياً «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «زعمت قريش أنك خلفتني استثقلاً لي»^(٢).

(١) الآية ٣٨ من سورة الشورى.

(٢) المسترشد ص ١٢٩ و ٤٤٤ والإرشاد ج ١ ص ١٥٦ وذخائر العقبى ص ٦٣ والمستجد من الإرشاد ص ٩٥ و ٩٦ والصراط المستقيم ج ١ ص ٣١٦ والبحار ج ٢١ ص ٢٠٨ و ٢٤٥ وج ٣٧ ص ٢٦٧ والغدير ج ٣ ص ١٩٨ والمناظرات في =

وقد ورد في الجزء الثالث والعشرين ما يؤيد هذا الزعم فراجع^(١).

ومن الواضح: أن قريشاً كانت تتقصد أمير المؤمنين «عليه السلام» بالأذى، حتى شكاهها علي «عليه السلام» مرات ومرات، ودعا عليها أيضاً فقال: «اللهم عليك بقريش، فإنهم قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وصغروا عظيم منزلتي»^(٢)..

وقد كانت قريش كلها مع بني أمية على خلاف مع أمير المؤمنين «عليه

= الإمامة ص ٢١٤ والثقات ج ٢ ص ٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٣١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٨ وعن البداية والنهاية ج ٥ ص ١١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٤٦ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٢٧ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ٢٥٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤١ ونشأة التشيع والشيعة ص ١٠٩ وكتاب السنة ص ٥٨٦ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٤٤ وقصص الأنبياء للراوندي ص ٣٤٩ وشرح الأخبار ج ٢ ص ١٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٨٣ وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٧٨ والثقات ج ٢ ص ٩٣ وكشف اليقين للعلامة الحلي ص ١٤٥.

(١) راجع الفصل الرابع: «حديث العترة هو القصص الحق».

(٢) راجع: راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) الرسالة رقم ٣٦، وقسم الخطب رقم (٢١٢) و (٣٢) و (١٣٧) وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٩٦ وج ٢ ص ١١٩ والغارات ج ١ ص ٣٠٩ وج ٢ ص ٤٥٤ و ٤٢٩ و ٤٣٠ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٧٤ فما بعدها، والبحار (ط قديم) ج ٨ ص ٦٢١ والإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٥. وراجع كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام ج ١ ص ١٧٥ و ١٧٦ للإطلاع على مصادر أخرى.

الفصل السادس: هكذا يكيدون علياً عليه السلام ٢٧٩
السلام»^(١).

وقد أجمعت قريش على حربه بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، كما
أجمعت على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما قاله «عليه السلام»
في رسالته لأخيه عقيل.
وإن كانت بعض المصادر بدلت كلمة «قريش» بكلمة «العرب»^(٢).

(١) الغارات ج ٢ ص ٥٦٩ وراجع ص ٤٥٤.

(٢) راجع النص المذكور، سواء فيه كلمة «قريش» أو كلمة «العرب» في المصادر
التالية: المعيار والموازنة ص ١٨٠ وراجع: الغارات للثقيفي ج ٢ ص ٤٢٩ - ٤٣٠
وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ١١٨ - ١١٩ وأنساب الأشراف (ط مؤسسة
الأعلمي) ج ٢ ص ٧٤ - ٧٥ والأغاني (ط ساسي) ج ١٥ ص ٤٦ والبحار (ط
حجري) ج ٨ ص ٦٢١ و ٦٧٣ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٩٥ ونهج
السعادة ج ٥ ص ٣٠٠ وسفينة البحار ج ٢ ص ٢١٥ وأشار إليها في العقد الفريد
(ط دار الكتاب) ج ٢ ص ٣٥٦ وج ٣ ص ٥٠٤، وذكرها أيضاً في الدرجات
الرفيعة ص ١٥٥ - ١٥٧.

وفي الإمامة والسياسة (ط سنة ١٩٦٧م) ج ١ ص ٥٣ - ٥٤ وقاموس الرجال ج ٦
ص ٣٢٣ عنه أن عقيلاً قد التقى بعائشة، وطلحة، والزبير، أيضاً.. وهذا كذب
لأن طلحة والزبير كانا قتلا قبل غارة الضحاك بسنوات!! ولا يخفى سر زيادة
ذلك في رسالة عقيل..

ولكنه قال: إن العرب أجمعت على حربه النخ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

والصلاة والسلام

على سيدنا محمد وآله

وبعد

فإن

الحمد لله الذي جعل

العلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

والعلم نوراً للإنسان

الفصل السابع:

أحداث جرت في الطريق إلى تبوك

عبدالسلام احمد

مدرسہ اسلامیہ دارالعلوم دیوبند

دعوها فإنها مأمورة:

عن عبد الله بن سلام: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما مر بالخليجة في سفره إلى تبوك قال له أصحابه: المبرك يا رسول الله، الظل والماء^(١). وكان فيها دوم وماء.

فقال: «إنها أرض زرع نفر»، دعوها فإنها مأمورة - يعني ناقته.

فأقبلت حتى بركت تحت الدومة التي كانت في مسجد ذي المروة^(٢).

إنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يعلم الناس: أن عليهم أن يتحاشوا الإضرار بأمالك الناس، وأن لا يتخذوا من جهادهم وتضحياتهم سبباً لاستسهال ذلك، وأن لا يستفيدوا من تهيب الناس من قوتهم أو من كثرتهم، أو حتى من موقعهم، ولو كان هو موقع النبوة سبيلاً لإلحاق الأذى بممتلكات الآخرين، حتى لو أظهر الآخرون الرضا بذلك..

هذا ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهم عن الناقة: «دعوها فإنها مأمورة»، مع أنه كان يكفي أن يخبرهم بضرورة حفظ الزرع ويأمرهم بالإبتعاد واختيار موضع آخر..

(١) أي: هلمَّ إلى الظل والماء.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٦ عن الطبراني، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٩٣.

وذلك ليشير إلى: أن الله تعالى يسدده، ويحفظه، من أن يقع في خلاف الواقع، ولو في الحال التي يعذره الناس فيها، زاعمين أنه غافل، فإن الله تعالى يسدد نبيه ليصيب الواقع فيما يرتبط بحقوق الله تبارك وتعالى، وحقوق الناس.. فلا يخطئ ولا يسهو، ولا ينسى، ولا يغفل عن حق أحد، ولا يقصر في حق الله.

كما أنه في الجانب الآخر لا يأكل، ولا يلبس، ولا يشرب، ولا يمارس أي شيء إلا إذا كان حلالاً في الظاهر وفي الواقع على حد سواء.. ولهذا البحث مجال آخر.

النبي ﷺ يأكل هريسة اليهود:

وقالوا: لما نزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وادي القرى أهدى له بنو عريض اليهودي هريسة، فأكلها، وأطعمهم أربعين وسقاً، فهي جارية عليهم إلى يوم القيامة.

وقال محمد بن عمر: فهي جارية عليهم إلى الساعة^(١).
وعن ابن عمر قال: أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجبنة في تبوك، فدعا بالسكين، فسمى وقطع، رواه أبو داود^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٦ عن الواقدي.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٣ وج ٧ ص ١٩٧ عن أبي داود، وفي هامشه عن

الطبراني في المعجم الكبير ج ١١ ص ٣٠٣ وراجع: سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٢

ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٧ ص ٢٩٤ وإمتاع الأسع ج ٧ ص ٢٩٣

وج ١٤ ص ٢٩٨.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٢٨٥
ونقول:

١ - الهريسة هي طعام يعمل من الحب المدقوق بالمهراس واللحم^(١)، ونحن نعلم أنه لا يجوز أكل غير المذكى من اللحم وفق الشرائط الشرعية، ومنها كون الذابح مسلماً.

٢ - وإذا كان اليهود لا يتحاشون عن مباشرة النجاسات، المبينة في الشرع الإسلامي، لأنهم لا يدينون بالإسلام، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يأكل ما يلامسونه برطوبة مسرية، فكيف إذا قلنا بنجاسة الكتابي؟ على أن الأنفحة التي يصنع بها الجبن تؤخذ من حيوان محكوم بأنه ميتة، لأن الذابح يهودي، ولا شك في نجاسة الميتة، ونجاسة ما يلامسها، حتى وإن كان طاهراً في نفسه، كالأنفحة..

٣ - لماذا يطعم رسول الله «صلى الله عليه وآله» اليهود هذه الأوسق من التمر؟ ومن الذي أجراها عليهم حتى الساعة، أو إلى يوم القيامة؟! ولو أطعمه يهود المدينة هريسة أو جبناً، هل كان يجري عليهم مثل ما أجرى على يهود وادي القرى؟ وهل؟ وهل؟..

خرص رسول الله ﷺ:

قال أبو حميد الساعدي: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عام تبوك حتى جئنا وادي القرى، فإذا امرأة في حديقة لها، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأصحابه: «اخرصوا».

٢٨٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

فخرص القوم، وخرص رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشرة أوسق.
وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» للمرأة: «احفظي ما يخرج منها
حتى أرجع إليك إن شاء الله تعالى».

ولما أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غزوة تبوك إلى وادي
القرى قال للمرأة: «كم جاءت حديقتك؟»

قالت: عشرة أوسق خرص رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

ويواجهنا هنا سؤالان، هما:

١ - ما الذي أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعمله هذا؟!

٢ - لماذا فعل ذلك في طريق تبوك، لا في المدينة؟!

تجربة بلا سوابق:

فأما بالنسبة إلى السؤال الثاني، فنقول:

لعل المراد هو إجراء التجربة في موقع بعيد عن السوابق الذهنية
للناس، حيث إن الناس يتسامعون بمقادير محاصيلهم في كل عام،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٦ عن أحمد، ومسلم، وابن أبي شيبة، وقال في
هامشه: أخرجه ابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٥٤٠ ومسلم ج ٤ ص ١٧٨٥ (١١)،
وأحمد ج ٥ ص ٤٢٤ والبيهقي في السنن ج ٤ ص ٢٢ وفي الدلائل ج ٤ ص ٢٣٩.
وراجع: صحيح البخاري ج ٢ ص ١٣٢ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٥٢ وعمدة
القاري ج ٩ ص ٦٤ وصحيح ابن خزيمة ج ٤ ص ٤٠ وصحيح ابن حبان ج ١٠
ص ٣٥٥ وج ١٤ ص ٤٢٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٦ وإمتاع الأسعاع ج ١٤
ص ٤٢.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٢٨٧
ويقايسون فيما بينها، ويعرفون ولو على نحو التقريب غلة أراضيهم، بما لها
من نوع تربة، وبملاحظة سائر العوامل المؤثرة مثل طبيعة الجو والهواء في
حرارته وبرودته، وسائر تقلباته، فإن ذلك قد يؤثر بنحو أو بآخر على
مقادير المحاصيل، وفي جودتها ورداءتها، وما إلى ذلك.

فلعله «صلى الله عليه وآله» أراد لفت نظر أصحابه إلى هذا الأمر
بصورة عملية ليؤكد قناعتهم به، ولكي يعطي القاعدة والضابطة للناس
كلهم، ويدفعهم ذلك إلى أن يدققوا ولا يتعسفوا في تعاملهم مع الناس في
أمثال هذه الأمور، فإن التزام وتيرة واحدة في التعامل لربما تنتهي بهم إلى
الظلم والأذى.

إمتحان التخرج:

وهذا بالذات يمثل إجابة مقبولة على السؤال الأول..

يضاف إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يشاركهم في الخرص
بنفسه، لكي لا يحزنهم تعرضهم لهذا الإمتحان، الذي سيظهر إخفاقهم فيه،
فإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» معهم، فسوف لا يرون في هذا
الإمتحان أي حرج، ولا يشعرون بالأذى أو بالمهانة أو ما إلى ذلك.
فالإمتحان شرف وكرامة، وهو سبب تكامل، وسبيل سمو ورفعة،
وطريقة تعليم، والسقوط فيه ليس سقوط ذل، وإنما هو سقوط الطائر،
ليلتقط الحبة التي يحتاج إليها، ثم يطير بها محلقاً إلى سماء الفضل والكمال
لتكون تلك الحبة زاداً وعوناً له، وقوة، وسبب حياة.

جَنِّي بِصُورَةِ حَيَّةٍ:

وفي الطريق إلى تبوك عارض الناس في مسيرهم حَيَّةً ذُكِرَ مِنْ عَظَمِهَا وَخَلَقِهَا، فانصاع الناس عنها، فأقبلت حتى واقفت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو على راحلته طويلاً، والناس ينظرون إليها، ثم التوت حتى اعزت الطريق، فقامت قائمة، فأقبل الناس حتى لحقوا برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لهم: «هل تدرون من هذا؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلِّي يستمعون القرآن، فرأى عليه من الحق - حين ألمَّ به رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يسلم عليه، وها هو يقرؤكم السلام، فَسَلَّمُوا عليه.

فقال الناس جميعاً: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته^(١)..

ونقول:

١ - قد يقال: إن الأحاديث الشريفة قد دلت على أنه لم يؤذن للجن بالظهور للبشر^(٢)، فما معنى أن يظهر هذا الجني للناس في هذه المناسبة..

(١) المغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٠ عنه وعن أبي نعيم في دلائل النبوة، وابن كثير، والخصائص الكبرى للسيوطي. وراجع: إمتاع الأسماع ج ٢ ص ٥٨ وج ٥ ص ٢٧٣ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٦ و ١٢٤ .

(٢) البحار ج ١٩ ص ١٠٤ وج ٥٨ ص ٢٩٩ وج ٦٠ ص ٨٣ و ٢٧٣ وعلل الشرائع ج ١ ص ٩٨ وكنز الدقائق ج ١ ص ٢٢٣ وتفسير القمي ج ١ ص ٣١١ ونور الثقلين ج ١ ص ٥٢ والصافي ج ١ ص ١٠٨.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٢٨٩
فقد روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال في حديث: «واجعل
بين الجن وبين خلقي حجاباً، ولا يرى نسل خلقي الجن، ولا يؤانسونهم،
ولا يخالطونهم».

وقال الطحاوي حول قتل الحيات: «لا بأس بقتل الكل، لأنه «عليه
الصلاة والسلام» عاهد الجن ألا يدخلوا بيوت أمته، ولا يظهروا أنفسهم،
فإذا خالفوا فقد نقضوا العهد، فلا حرمة لهم»^(١).

فإن قيل: إن هذا الجنى لم يظهر على صورته الأصلية.. وإنما ظهر
بصورة حية، فهو لم يخالف ما أخذ عليه..

فالجواب: أن العبارة تقول: إنه لم يؤذن للجن بالظهور على أية صورة
كانت، أي حتى لو كانت صورة حية..

غير أن ذلك لا يمنع من أن يعصوا ويخالفوا القرار التشريعي الإلهي،
كما لا يمنع من أن يأذن الله تعالى لبعضهم بالظهور تأكيداً للحق، ونصرة
لأهله، ولذلك لا يبقى مجال للإعتراض بأن لو قبلنا بهذه الإجابة، فسوف
تواجهنا طائفة من الروايات تقول: إن بعض الجن قد ظهروا للنبي «صلى
الله عليه وآله»، أولاً لإمام «عليه السلام» تأييداً له، وتقوية ليقين الناس
بصحته ما جاء به..

٢ - إن هذا الحديث يدل على أن الجن مكلفون بالعمل بالرسالة
الإسلامية، والإيمان برسول الله «صلى الله عليه وآله». كما هو الحال بالنسبة

(١) البحر الرائق ج ٢ ص ٥٣ وتكملة حاشية رد المحتار ج ١ ص ١٠٢ وحاشية رد
المحتار ج ١ ص ٧٠٢.

للأنس، ولهذا شواهد كثيرة من الآيات والروايات..

لا تدخلوا مساكن ثمود:

وعن عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي كبشة الأنباري، والزهري، وأبي حميد الساعدي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما مر بالحِجْر تقنع بردائه وهو على الرحل، فاتضع راحلته حتى خلّف أبيات ثمود، ولما نزل هناك سارع الناس إلى أهل الحِجْر يدخلون عليهم، واستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا ونصبوا القدور باللحم.

فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنودي في الناس: الصلاة جامعة، فلما اجتمعوا قال «صلى الله عليه وآله»: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم، ولا تشربوا من مائها، ولا تتوضأوا منه للصلاة، واعلفوا العجين الإبل».

ثم ارتحل بهم حتى نزل على العين كانت تشرب منها الناقة، وقال: «لا تسألوا الآيات. فقد سألتها قوم صالح، سألوها نبيهم أن تبعث آية، فبعث الله تبارك وتعالى لهم الناقة، فكانت ترد هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب مياههم يوماً، ويشربون لبنها يوماً، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهدم الله تعالى من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله تعالى.

قيل: من هو يا رسول الله؟

قال: «أبو رغال». فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه، ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم؟!.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٢٩١

فناداه رجل منهم: تعجب منهم؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ألا أنبئكم بأعجب من ذلك؟

رجل من أنفسكم، فينبئكم بما كان قبلكم، وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا
وسددوا، فإن الله تعالى لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي الله بقوم لا يدفعون
عن أنفسهم بشيء».

وإنها ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقوم من أحد، ومن كان له
بعير فليوثق عقاله، ولا يخرج من أحد منكم إلا ومعه صاحب له».

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا رجلين
من بني ساعدة، خرج أحدهما لحاجته، والآخر في طلب بعيره، فأما الذي
خرج لحاجته، فإنه خنق على مذهبه - أي موضعه الذي ذهب إليه - وأما
الذي خرج في طلب بعيره، فاحتلمته الريح حتى طرحته بجبلي طيء،
الذين يقال لأحدهما: أجا، ويقال للآخر: سلمى.

فأخبر بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: ألم أنهكم عن أن
يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه، ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفي،
وأما الآخر فإن طيئاً أهده لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رجع إلى
المدينة^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٦ و ٤٤٧ عن مالك، وأحمد، والبخاري،
ومسلم، وابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج ٨ ص ١٢٥
(٤٤١٩) ومسلم ج ٤ ص ٢٢٨٦ (٣٨ و ٣٩ / ٢٩٨٠) وأحمد ج ٢ ص ٩ و ٥٨ و
٧٢ و ٧٤ و ١١٣ و ١٣٧ والبيهقي في الدلائل ج ٥ ص ٢٣٣ وفي السنن ج ٢
ص ٤٥١ والحميدي (٦٥٣) وعبد الرزاق (١٦٢٥) والطبراني في الكبير ج ١٢ =

الإستسقاء.. ونزول المطر:

قالوا: ونزلوا الحِجْر، فأمرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن لا يحملوا من مائها شيئاً، ثم ارتحل، ثم نزل منزلاً آخر وليس معهم ماء. فشكوا ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقام فصلى ركعتين، ثم دعا فأرسل الله سبحانه وتعالى سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها.

فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك، قد ترى ما دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمطر الله علينا السماء. فقال: إنما أمطرنا بنوء كذا وكذا.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(١).

ذكر ابن إسحاق: أن هذه القصة كانت بالحجر.

وروي عن محمود بن لبيد، عن رجال من قومه قال: كان رجل من المنافقين معروف نفاقه يسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» حيثما سار، فلما كان من أمر الحِجْر ما كان، ودعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين دعا، فأرسل الله تعالى السحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا أقبلنا عليه نقول: ويحك، هل بعد هذا شيء؟

= ص ٤٥٧ وانظر الدر المنثور ج ٤ ص ١٠٤.

وراجع: البحار ج ١١ ص ٣٩٣ والعرائس للثعلبي ص ٤٣ وعن مجمع البيان ج ٤ ص ٤٤١ - ٤٤٣.

(١) الآية ٨٢ من سورة الواقعة.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٢٩٣
قال: سحابة مارة^(١).

وعن عمر بن الخطاب قال: خرجنا إلى تبوك في يوم قيظ شديد، فنزلنا منزلاً، وأصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى أن كان الرجل يذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبتة ستقطع، حتى أن كان الرجل لينحر بعيره، فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر: يا رسول الله، إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله تعالى لنا.

قال: «أحب ذلك»؟

قال: نعم.

فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلت ثم سكبت، فملئوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٨ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٣ عن ابن أبي حاتم، والمغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠٠٩. وراجع: المحلى لابن حزم ج ١١ ص ٢٢٢ والبحار ج ٢١ ص ٢٥٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٠ والكمال في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٣ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ١١٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٤٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٠٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٧ و ٤٤٨ عن أحمد، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في السنن ج ٩ ص ٣٥٧ وفي الدلائل ج ٥ ص ٢٣١ وابن خزيمة (١٠١)، وابن حبان، ذكره الهيثمي في موارد الظمان (١٧٠٧) وانظر مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٩٥. وراجع: تحفة الأحوذى ج ٨ =

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: خرج المسلمون إلى تبوك في حر شديد، فأصابهم يوم عطش حتى جعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها، ويشربوا ماءها، فكان عسرة في الماء، وعسرة في النفقة، وعسرة في الظهر^(١).

ونقول:

السنة الإلهية باقية:

إن مرور النبي «صلى الله عليه وآله» من أبيات ثمود، وإظهاره هذه الحشية والإشفاق من المرور بمساكن الظالمين التي حل العذاب بأهلها قبل مئات أو آلاف السنين يشير إلى أن السنة الإلهية في الطغاة والعصاة لم تبطل، بل هي لا تزال جارية وسارية، فعلى الناس أن يحاذروا من الوقوع فيها وقع فيه أسلافهم، وعليهم أن يراجعوا حساباتهم، ويدققوا في مواقفهم ومسيرهم

= ص ٤٠٤ وصحيح ابن حبان ج ٤ ص ٢٢٣ ونصب الراية ج ١ ص ١٩٢ وموارد
الظمان ج ٥ ص ٣٥٢ وكتر العمال ج ١٢ ص ٣٥٣ وجامع البيان للطبري ج ١١
ص ٧٦ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ١٠٥ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣٣٣ وزاد المسير
ج ٣ ص ٣٤٨ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٢
ص ٤١١ وتفسير الثعلبي ج ٣ ص ٢٢٤ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٨٦ وفتح القدير
ج ٢ ص ٤١٤.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٧ وفي هامشه عن: دلائل النبوة للبيهقي ج ٥
ص ٢٢٧. وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤
ص ١٦.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٢٩٥
ومسارهم، حتى لا ينتهي بهم الأمر إلى ما انتهى إليه أسلافهم.

تجسيد الحدث:

ثم إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرو لهم ما جرى على قوم صالح بنحو يفيد في تكوين تصورات، وإحداث انفعالات يتوقع أن تبخر وتلاشى، تبعاً لتلاشي تلك الصور التي استحضرت بواسطة حديث يتلى، وخبر يروى..

بل هو «صلى الله عليه وآله» قد ربط لهم الصورة الذهنية بأمور عينية واقعية، لها مساس بأشخاصهم، حين تركهم ينقلون الماء من آبار ثمود، ويعجنوا بها عجينهم، وينصبوا القدور المملوءة باللحم والماء، ثم ينادي فيهم بالصلاة جامعة، وقد كان ذلك بعد منعهم من الاستفادة من الماء في ذلك المكان كله، ثم أمرهم بأن يعلفوا العجين الإبل..

أي أنه لم يكتف بمنعهم من الاستفادة من الماء الذي تعبوا بحمله، بل ألحق به ما اختلط به، مما تعبوا في الحصول عليه، وفي حمله، ونقله، ويرون أنفسهم بأمس الحاجة إليه، للغذاء والبقاء..

مع أنه «صلى الله عليه وآله» حين وصل إلى تلك المساكن كان يعلم أن الناس المتعبين الذين يسرون في حر الهاجرة في تلك الصحراء القاحلة، سوف يتهافتون على الماء، وسيبادرون للاستفادة منه في إعداد أطعمتهم، وفي تبردهم، وغسلهم وشربهم، ولكنه لم يحذرهم منه، ولم يذكر لهم شيئاً في هذا السياق.. بل سكت حتى بلغ بهم التعامل مع ذلك حداً جعله محط أنظارهم، ومهوى أفئدتهم..

ولعله لو كان قدّم لهم النهي عنه، لوجد فيهم من يستسيغ مخالفته، ويكون حالهم حينئذ حال طالوت مع جنوده، حيث قال لهم: ﴿...إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ...﴾^(١).

آثار السخط الإلهي:

إن هذه القضية قد أظهرت أن آثار سخط الله تبارك وتعالى قد تمتد عبر الأجيال والأحقاب إلى آلاف السنين، ولأجل ذلك نلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يصلي صلاة المختار في أرض خسف بها، بل هو يسرع السير ليتجاوزها، ثم يصلي أو يعيد ما كان قد صلاه في حالة الإضطراب.. وفي هذه المرة أيضاً نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» حين مر بالحجر، تقنع بردائه، واتضع راحلته (أي خفض رأس بعيره) حتى خلف أبيات ثمود وراء ظهره..

كما أنه قد نهى أصحابه عن دخول مساكن ثمود، ومنعهم من شرب ماء تلك البقعة، ومن الوضوء به، ومن استعماله في سائر المجالات..

مساكن ثمود:

إن النهي عن دخول مساكن ثمود، وقول الرواية: حتى خلف أبيات ثمود، يدل على أن تلك المساكن كانت لا تزال ماثلة للعيان، رغم مرور السنين والأحقاب..

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٢٩٧

في حين أننا نجد كثيراً من الآثار التي لها هذا المقدار من القدم مطمورة بالتراب الذي تحمله الرياح من هنا وهناك.. وهذا يؤكد القناعة بأن ذلك من التدبير الإلهي، ومن أسباب الهداية، أو إقامة الحجة على من تأمل وتفكر، ولاحظ وتدبر..

عليّ عليه السلام هو المقصود:

إن سياق الكلام المنقول عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو يعلن منعهم من دخول مساكنهم، يعطي: أنه لم يكن يأمن على قومه من أن يصيبهم ما أصاب قوم ثمود، ولذلك منعهم من دخول مساكنهم إلا أن يكونوا باكين أن يصيبهم ما أصابهم، ولا يصيبهم من ذلك إلا إذا فعلوا كفعلهم، ولذلك قال لهم: لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح.. أي لا تفعلوا كما فعل أولئك..

ثم إنه بين لهم: أن أمرهم أعجب من أمر قوم صالح، فإن رجلاً سيكون من أنفسهم، سوف ينبؤهم بخبر ما كان قبلهم، وما هو كائن بعدهم.

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» اقتصر على ذكر هذه العلامة لذلك الرجل، ولم يبين ماذا سيصنعون به، وكيف سيكون حالهم معه، وإنما اكتفى «صلى الله عليه وآله» بأمرهم بالاستقامة والسداد..

ولعله لأجل أن لا يتوهموا الجبرية في هذا الأمر، ولكي يفسح المجال لهم للتوبة والعودة والإنابة، مبيناً لهم: أنهم إن لم يستقيموا على المحجة ولم يسددوا، فسينالهم العذاب كما نال قوم صالح حين عقروا الناقة.. ولا يعبأ

الله بعدا بهم شيئاً..

ثم أثبت لهم صحة كلامه هذا بأن أخبرهم بما سيجري في تلك الليلة مباشرة، مما لا يمكن أن ينال علمه إلا الله تبارك وتعالى.. وأمرهم بأمره.. وقد ظهر صدق كلامه «صلى الله عليه وآله» في تلك الليلة، وجرى عليهم نفس ما وصفه لهم.. فهل من معتبر؟!

علي عليه السلام يخبر بما كان وبما يكون:

هذا وقد صرح التاريخ بأن الذي كان يخبر الناس بما كان وما يكون هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وقد بلغ من كثرة إخباره: أن صاروا يتهمونه بالكذب، فقد:

١ - سمع أعشى همدان (وهو غلام) حديثه «عليه السلام»، فاعتبره حديث خرافة^(١).

٢ - وكان قوم تحت منبره «عليه السلام»، فذكر لهم الملاحم، فقالوا: قاتله الله، ما أفصحه كاذباً^(٢)..

وهناك قضية أخرى تشبه هذه القضية أيضاً، فراجعها^(٣)..

٣ - وحين أخبر الناس بأنه لو كسرت له الوسادة لحكم بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية إلا وهو يعلم أين ومتى، وفي من نزلت.

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٨٩ والبحار ج ٣٤ ص ٢٩٩ وج ٤١ ص ٣٤١.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ١٣٦.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ١٣٦.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٢٩٩

قال رجل من القعود تحت منبره: يا الله وللدعوى الكاذبة^(١).

وكان ميثم التمار يحدث ببعض العلوم والأسرار الخفية، فيشك قوم من أهل الكوفة، وينسبون أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى المخارقة، والإيهام، والتدليس الخ^(٢)..

وقال «عليه السلام»: «والله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم مائة، ثم لو شئت لحدثتكم إلى أن تغيب الشمس، لا أخبركم إلا حقاً، ثم لتخرجن فتزعمن: أني أكذب الناس وأفجرهم..»^(٣).

وقال مخاطباً أهل العراق: «ولقد بلغني أنكم تقولون: علي يكذب! قاتلكم الله»^(٤)..

وقد تحدث ابن أبي الحديد عن أن قوماً من عسكر أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي «صلى الله عليه وآله» من أخبار الملاحم، والغائبات. وقد كان شك منهم جماعة في أقواله، ومنهم من

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ١٣٦.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٩١ والبحار ج ٣٤ ص ٣٠٢.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ١٢٨.

(٤) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج ١ ص ١١٩ وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص ٩٩ والإختصاص ص ١٥٥ عن كتاب ابن دأب، والإرشاد للمفيد ص ١٦٢ والفصول المختارة ص ٢٦٢ والإحتجاج ج ١ ص ٢٥٥ وينايع المودة ج ٣ ص ٤٣٥ والبحار ج ٣٤ ص ١٠٣ و ١٣٦ وج ٣٥ ص ٤٢١ وج ٣٨ ص ٢٦٩ وج ٤٠ ص ١١١ وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ١٢٧ ونهج الإيمان ص ١٦٤ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» ج ١ ص ٣٢١.

واجهه بالشك والتهمة^(١)..

أبو بكر هو الوسيط:

ولا نتفاجأ إذا كان أبو بكر هو الوسيط الذي طلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يدعو الله أن يسقيهم، فهناك اعتبارات عديدة لا بد من النظر إليها، فلاحظ ما يلي:

١ - إن حديث النبي «صلى الله عليه وآله» عن شخص يحدثهم بما كان وبما هو كائن، إنما هو حديث عن إنسان يملك علماً خاصاً، ليس لأحد منهم كلهم أي سبيل إليه، فهو رجل متصل بالغيب، وقد اختصه الله بما لم يعطه أحداً من خلقه، إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون سواه..

٢ - إن هذا العلم هو ما نسميه بعلم الإمامة، وهو أحد سبيلي معرفة شخص الإمام. والسبيل الآخر هو النص..

٣ - إنه «صلى الله عليه وآله» تحدث عن رجل غائب، وحذر جميع من حضر من مغبة الخروج على جادة الإستقامة والسداد بمخالفته، وأن عاقبة ذلك ستكون هي عذابهم، ولا يعبأ الله تعالى بهم..

ولا تعذب الأمة بمخالفة أحد إلا إن كان نبياً، أو وصي نبي..

٤ - ومن جهة أخرى فإننا نلاحظ: أن الذي غاب بإذن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه الغزوة هم أمير المؤمنين «عليه السلام»، والضعفاء، والنساء والصبيان، والذين لا يجدون ما يحملهم عليه. والمنافقون..

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣٠١
وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لواحد من هؤلاء فقط، وهو
ذلك المأذون له بالبقاء، والمنصوب من قبله على المدينة: إنه منه بمنزلة
هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعده..

٥ - ويلاحظ أيضاً: أن الذي جاء يطلب الماء من رسول الله «صلى الله
عليه وآله» هو نفس ذلك الذي يتزعم المعارضة لأمر المؤمنين «عليه
السلام»، ويخطط لانتزاع الأمر منه فور وفاة رسول الله «صلى الله عليه
وآله»، وهو لما يدفن.. والناقل لهذا الحديث أيضاً هو نصيره ونظيره،
ووزيره، وخليفته من بعده..

وهو يطلب ذلك تحت وطأة عطش كان نتيجة لما جرى في الحجر،
حيث أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عن أمر الإمام والإمامة حسبها
أوضحناه..

٦ - لقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يرى حال أصحابه، وجهدهم
وعطشهم ومعاناتهم، ولكنه لم يبادر إلى مد يد العون لهم، ولا اكثرث
بحالهم، بل تجاهل هذا الحال، حتى جاؤوه هم وطلبوا منه ذلك.

ولا شك في أن النبي «صلى الله عليه وآله» ليس قاسياً عليهم بل كان
رحيماً بهم عطوفاً عليهم كما قال الله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، فلماذا غص النظر حتى كانوا هم
المطالبين له بالتدخل، وكان الوسيط خصوص أبي بكر.

فإن ذلك يدلنا على أن ثمة سياسة إلهية حكيمة وفاضحة لنوايا

مكتومة، كان لا بد من العمل على فضحها، والحر تكفيه الإشارة..

تلميح.. كأنه تصريح:

إن حديث الناقة، وعقرها، وصالح وقومه.. ثم تحذير النبي «صلى الله عليه وآله» لقومه من أن يصيبهم ما أصاب قوم صالح، ثم ذكره لرجل منهم، يخبرهم عن الماضي وعما يأتي. وأن سلوكهم معه إن لم يكن على طريق الإستقامة والسداد، فإن الله تعالى سيعذبهم، ولا يعبأ بعذابهم شيئاً..

إن هذا الحديث لم يكن مجرد تلويح، بل هو قد انتهى إلى التصريح، لمن راجع ذاكرته، وراقب أقوال الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» التي كان يقرن فيها قاتل علي «عليه السلام» بعافر ناقة صالح^(١)..

أبو رغال:

وأما بالنسبة لأبي رغال فقد قدمنا بعض الحديث عنه في الجزء الخامس والعشرين في فصل «قبر أبي رغال» ولا نرى ضرورة للإعادة..

(١) راجع: العقد الفريد (ط دار الشرفية بمصر) ج ٢ ص ٢١٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٥٩١ ط مصطفى الحلبي وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٤ ص ٣٣٢ عن بحر المناقب لابن حسنويه، ومقاصد المطالب ص ١١ والبدء والتاريخ ج ٥ ص ٦١ ونهاية الأرب ج ٢ ص ١٩٠ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٧ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١٣ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٣ وتلخيص المستدرک للذهبي ج ٣ ص ١١٣ ونظم درر السمطين ص ١٢٦ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١١٣ والمناقب للخوارزمي ونور الأبصار (ط دار العامرة بمصر) ص ٩٨.
والروايات في ذلك كثيرة جداً لا مجال لاستقصائها، ولا ضرورة لإحصائها..

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣٠٣

المعجزة تلو المعجزة:

ولم يقتصر الأمر على هذا الذي جرى في الحجر، بل استمرت المعجزات والكرامات لرسول الله «صلى الله عليه وآله» تلح على ضمير الناس، وتقتحم عليهم خلواتهم التأملية، لترسخ لديهم اليقين، ولتؤكد الحجة بالحجة، ولتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة أهل المطامع والأهواء، هي السفلى، فجاء استسقاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليروي الناس من ظمأهم بعد أن منعوا من ماء الحجر، تأكيداً على أن الله الذي منعهم هو الذي يعوضهم بدعوة من نبيّه، ليؤكد لهم بذلك صدقه وقداسته، ويلزمهم بالحق، ولو كانوا كارهين..

مواصلة المسير دون ماء:

وقد أمرهم النبي «صلى الله عليه وآله» بالإرتحال، وأن لا يحملوا معهم من ماء الحجر شيئاً..

وطبيعي أن يثير هذا فيهم الهواجس والوساوس، وأن يتنامى خوفهم ويزداد كلما أوغلوا في تلك الصحراء القاحلة حيث تزداد احتمالات هلاكهم وما معهم من دواب، من شدة العطش.

ولا بد أن يرتبط ذلك كله بصورة العذاب الذي صبه الله تعالى على ثمود، وآثار هذا الغضب الإلهي التي لم تنته حتى بعد مضي آلاف السنين، ويقع الأمر الذي طالما أرعبهم، وأقضى مضاجعهم ألا وهو العطش الشديد، المنذر بالموت. ويتعاضم هذا الخطر ويزداد، وظهر لهم أن لا ملجأ من الله إلا إليه..

٣٠٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

وتعلقت القلوب، وانشدت الأنظار إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وطلبوا منه أن يغيثهم بدعوة منه يرفعها إلى الله تعالى، ليسقيهم الماء، تفضلاً منه، وكرامة لرسوله «صلى الله عليه وآله»..

ولم يصل بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلاة الإستسقاء، بل اكتفى برفع يديه نحو السماء، فلم يرجعها حتى قال له الكريم: خذ، وأرخت السماء عزاليها، وسكنت عليهم ما قسمه الله تعالى لهم.. ولم يتجاوز المطر العسكر..

وطبيعي أن تكون الفرحة عارمة، وأن يكون الشعور بالإمتنان عظيماً.. وذلك كله يحتم عليهم أن لا ينسوا ما بينه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم من لزوم الإستقامة، وتحري الصواب حين يكون معهم من يخبرهم بما كان وبما هو كائن.. وأن لا يتخلوا عنه، وإلا، فإن عليهم أن يواجهوا العذاب الأليم، والغضب الإلهي العظيم..

لا يدري النبي ﷺ أين ناقتة!!

ثم إنهم رؤوا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» سار حتى إذا كان ببعض الطريق متوجهاً إلى تبوك فأصبح في منزل، فضلت ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

قال محمد بن عمر: هي القصواء..

فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمارة بن حزم، وكان عقيباً بدرياً، قتل يوم اليمامة شهيداً، وكان في رحله زيد بن اللصيت، أحد بني قينقاع، كان يهودياً، فأسلم، فنافق، وكان فيه خبث

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣٠٥

اليهود وغشهم، وكان مظاهراً لأهل النفاق، فقال زيد وهو في رحل عمارة بن حزم، وعمارة عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»: محمد يزعم أنه نبي، وهو يخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقتة!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعمارة عنده: «إن منافقاً قال: هذا محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم بأمر السماء، ولا يدري أين ناقتة، وإني والله لا أعلم إلا ما علمني الله تعالى، وقد دلني الله عز وجل عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا، لشعب أشار لهم إليه، حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها». فذهبوا، فجاءوا بها.

فرجع عمارة إلى رحله فقال: والله، العجب لشيء حدثناه رسول الله «صلى الله عليه وآله» آنفاً عن مقالة قائل أخبرها الله تعالى عنه، قال كذا وكذا للذي قال زيد.

فقال رجل ممن كان في رحل عمارة - قال محمد بن عمر: وهو عمرو بن حزم أخو عمارة - ولم يحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»: زيد والله قائل هذه المقالة، قبل أن تطلع علينا.

فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه، ويقول: يا عباد الله، إن في رحلي لداهية وما أشعر، أخرج يا عدو الله من رحلي فلا تصحبني.

قال ابن إسحاق: زعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل متهماً بشراً حتى هلك^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٨ و ٤٤٩ عن الواقدي وابن اسحاق، وراجع:

تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٥٠.

ونقول:

قد تكرر في الغزوات المختلفة ذكر ضلال ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودلالة النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه عليها، وظهور أن الله تعالى مسدّد نبيه بالوحي، وتؤكد بوار كيد المنافقين، وافتضاح أمرهم.. وهذا بالذات، هو ما جرى في غزوة تبوك، كما قررته الرواية الآتفة الذكر..

طعن المشككين والمنافقين:

ويلاحظ: أن طعن المنافقين، واليهود والمشككين في رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتركز على موضوع علم النبي «صلى الله عليه وآله» بالغيب، فيَتَّخَذُ من ضياع ناقته ذريعة للتشكيك بالنبوة، عن طريق إثارة الشبهة بعلمه بمكان ناقته، فإن جهله - بزعمهم - بمكان ناقته دليل عدم نبوته.. وهم يرسلون هذا الأمر إرسال المسلمات.. وكأنه مما تحكم به العقول أو تقضي به فطرة الناس، كل الناس، حيث يقدم اليهودي للمشرک، وللمسلم هذا الأمر على أنه أمر بديهي وأنه دليل قاطع على ذلك.

ولم ينقل لنا أنه «صلى الله عليه وآله» ناقشهم في هذا الأمر، أو رده عليهم، بل هو يستجيب لما يقتضيه هذا التحدي، ويخبرهم بمكان الناقة، ويصف لهم حالها، وما آل إليه أمرها بدقة.

وبظهور صدقه في ذلك كله يظهر الله تعالى للملأ كيدهم، ويفتضح به كذبهم، ويبور سعيهم، فإن كيد الشيطان كان ضعيفاً..

بل إنه «صلى الله عليه وآله» يقرّ ويؤكد اتصاله بالله، وأنه يتلقى علمه

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣٠٧
منه تبارك وتعالى، وأن هذا الذي يخبرهم به قد تلقاه منه سبحانه..

سياسة إظهار نفاق أهل النفاق:

وقد أظهرت قصة الناقة: أن كل الذي يجري، إنما هو بعين الله تبارك وتعالى، ولعله كان يهدف:

أولاً: إلى ترسيخ إيمان الناس، ولا سيما الذين دخلوا في الإسلام بعد فتح مكة، بفتح نوافذ لهم على الغيب الإلهي، وتقريبهم من حقائقه، من خلال تجسيده لهم في مفردات حسية وحاضرة..

ثانياً: إنه يريد أن يبين للناس أن أهل الريب والنفاق لا يزالون يعيشون بينهم، وأنهم يسعون للكيد لهذا الدين وأهله، وأن على الناس أن يتنبهوا لذلك، لكي لا يقعوا في المآزق والمهالك، التي ربما يكيدهم بها أولئك الحاقدون، ولا سيما مع اقتراب رحيل رسول الله «صلى الله عليه وآله» عنهم، وهو كان يعلم بحقيقة ما يحاك ويدبر للاستئثار بأمر الناس بعده..

ولعل نداء عمار بن حزم حين اكتشف الأمر: إن في رحلي لداهية، وما أشعر، يصلح للتدليل على أن هذه السياسة قد آتت ثمارها، وأن هذا من بعض آثارها.

النبي ﷺ يأتيهم بآيات عوف:

عن المغيرة بن شعبه قال: لما كنا فيما بين الحِجر وتبوك ذهب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لحاجته، وكان إذا ذهب أبعد، وتبعه المغيرة بماء بعد الفجر - وفي رواية: قبل الفجر - فأسفر الناس بصلاتهم، وهي صلاة الفجر حتى خافوا الشمس، فقدموا عبد الرحمن بن عوف، فصلى بهم.

٣٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

فحملت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إداوة فيها ماء، وعليه جبة رومية من صوف، فلما فرغ صببت عليه فغسل وجهه، ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة، فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما، فأهويت لأنزع خفيه، فقال: «دعها فإنني أدخلتها طاهرتين»، فمسح عليهما.

فانتھينا إلى عبد الرحمن بن عوف، وقد ركع ركعة، فسبح الناس لعبد الرحمن بن عوف حين رأوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كادوا يفتنون.

فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص وراءه، فأشار إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن اثبت.

فصلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» خلف عبد الرحمن بن عوف ركعة، فلما سلم عبد الرحمن تواثب الناس، وقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقضي الركعة الباقية، ثم سلم بعد فراغه منها، ثم قال: «أحسنتم، أو قد أصبتم - فغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها - إنه لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمتة^(١)».

ونقول:

أولاً: إن هذا الخبر وإن كان يراد له أن يسجل فضيلة لعبد الرحمن بن عوف، من حيث إن من يصلي النبي «صلى الله عليه وآله» خلفه يكون له

(١) المغازي للواقدي ج ٣ ص ١٠١٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٩ عن ابن سعد، وعن مسلم. وسيأتي مصادر ذلك في فصل: «عزل أبي بكر عن الصلاة».

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣٠٩

مقام ليس لغيره. ولكنه سيضيّع على أولئك المتحذلقين أنفسهم استدلالاً آخر يعز على قلوبهم، ولطالما حاولوا تشييده وتأكيدهِ وتعظيمه... وهو أنهم قد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» صلى خلف أبي بكر في مرضه الذي توفي فيه^(١). وأن ذلك يدل على صحة خلافة أبي بكر بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذ كيف لا نرضى لدينا من رضى الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» لدينا..

فإذا كان «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك^(٢). فإن استدلالهم هذا الأخير يسقط عن الاعتبار، ويصبح أبو

(١) راجع: البحار ج ٢٨ ص ١٦٤ و ١٦٥ والشرح الكبير لابن قدامة ج ٢ ص ٤٩ وكشاف القناع ج ١ ص ٥٨٠ ونيل الأوطار ج ٣ ص ١٨٤ ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٤٣ وسنن الترمذي ج ١ ص ٢٢٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٨٣ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٦ وفتح الباري ج ٢ ص ١٣٠ و ١٤٦ وعمدة القاري ج ٥ ص ١٨٧ و ١٨٨ و ١٩١ وتحفة الأحوذى ج ٢ ص ٢٩٦ و ٢٩٧ ومسند أبي يعلى ج ٦ ص ٣٩٩ وشرح معاني الآثار ج ١ ص ٤٠٦ والمعجم الصغير ج ١ ص ١٧٨ ومعرفة السنن والآثار ج ٢ ص ٣٦٠ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢٢ ص ٣١٧ وكنز العمال ج ٨ ص ٢٠ وفيض القدير ج ٥ ص ٣٧٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢٢٢ و ٢٢٣ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٦ و ج ٩ ص ٢٩٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢١ ص ٣٧ و ٢٩١ و ج ٥١ ص ١٧٣ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ١٧٦ و ١٧٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٥٥ وإمتاع الأسماع للمقرئ ج ١٤ ص ٤٦٠ و ٤٦٤ و ٤٦٥ والسيرة النبوية ج ٤ ص ٤٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ١٩٥.

(٢) راجع: المصنف لابن أبي شيبة ج ٢ ص ٢٢٩ والمواقف للإيجي ج ٣ ص ٦٠٩ =

٣١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

بكر، مثل عبد الرحمن بن عوف، من هذه الجهة. فلماذا يُقدّم عليه وعلى غيره، ولا سيما مع وجود النص على الغير في حديث المنزلة وحديث الغدير، وغير ذلك..

ولا يختلفون أيضاً في أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر عمرو بن العاص

= و ٦١٠ ونصب الراية ج ٢ ص ٣٢٣ وفيض القدير ج ٥ ص ٣٧٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٢٩ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٧٩ و ٨٠ وتحفة الأحوذى ج ٢ ص ٢٩٤ ج ١٠ ص ١٧١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٩ وج ٨ ص ١٩٤ وج ١٠ ص ٤٩٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٦٤ و ٤٦٨ والخصائص الكبرى للسيوطي ج ١ ص ٤٥٨ والمنتظم ج ٥ ص ٣٤ وصفة الصفوة ج ١ ص ٣٤٩ والبحار ج ٢٨ ص ١٦٥ و ١٧٠ ومسند أحمد ج ٤ ص ٢٤٧ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٩٥ وتنوير الحوالك للسيوطي ص ٥٩ والمسترشد للطبري ص ١٣٣ والتمهيد لابن عبد البر ج ١١ ص ١٥٩ وج ٢٢ ص ٣٢٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٧ ص ١٩٦ وتهذيب الكمال ج ١٤ ص ١٠٢ وأمالى المحاملي ص ٢٥٨ والمعجم الكبير ج ٢٠ ص ٤٢٧ و ٤٣٣ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٢ ص ٢٩٠ و ٤٠١ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ١ ص ١١٦ وكشف المشكل ج ١ ص ٢١٦ وكتاب الأم للشافعي ج ١ ص ١٨٢ و ٢٠٣ ونيل الوطار ج ٣ ص ٢١١ وفتح الباري ج ٢٣ ص ١٤٦ وكنز العمال ج ٩ ص ٦١٤ وفيض القدير ج ٥ ص ٣٧٨ والأحكام لابن حزم ج ٢ ص ٢١٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٥ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ والإصابة ج ٤ ص ٢٠٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٨ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٥٧ وج ٦ ص ٣٦١ وج ١٤ ص ٤٥٨ و ٤٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤٠ وتلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي ج ١ ص ٨٣.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣١١

على أبي بكر وعمر، وجماعة من المهاجرين والأنصار، وكان عمرو يؤمهم طول زمان إمارته في الصلاة عليهم، ولم يدل ذلك على فضله عليهم في الظاهر، ولا عند الله تعالى على حال من الأحوال. ولم يوجب تقدمه عليهم بالخلافة.

ثانياً: إن صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» خلف أي كان من الناس، لا تعني أن ذلك الرجل يملك المواصفات التي تؤهله لمقام الإمامة والخلافة، لأن إمامة الجماعة لا تحتاج إلى علم شامل، ولا إلى شجاعة، ولا إلى معرفة بشؤون المسلمين، ولا إلى تدبير، ولا إلى فضل، ولا إلى غير ذلك من شرائط، ومواصفات معتبرة في من يتولى شؤون الأمة.

ثالثاً: إن هؤلاء يقولون: إنه لا تشترط في إمامة الجماعة التقوى، ولا الإجتنب عن المحرمات والمآثم، ويزعمون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «صلوا خلف كل بر وفاجر»^(١).

(١) راجع: جامع الخلاف والوافق للقمي ص ٨٤ وفتح العزيز للرافعي ج ٤ ص ٣٣١ والمجموع للنووي ج ٥ ص ٢٦٨ ومغني المحتاج للشربيني ج ٣ ص ٧٥ والمبسوط للسرخسي ج ١ ص ٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج ١ ص ٢٢٩ وبدائع الصنائع للكاشاني ج ١ ص ١٥٦ والجواهر النقي للمارديني ج ٤ ص ١٩ والبحر الرائق ج ١ ص ٦١٠ وتلخيص الخبير لابن حجر ج ٤ ص ٣٣١ ونيل الأوطار ج ١ ص ٤٢٩ وشرح أصول الكافي ج ٥ ص ٢٥٤ والإفصاح للمفيد ص ٢٠٢ والمسائل العكبرية للمفيد ص ٥٤ والطوائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس ص ٢٣٢ وغوالي اللآلي ج ١ ص ٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ١٩ وعمدة القاري ج ١١ ص ٤٨ وتأويل مختلف الحديث لابن قتبية ص ١٤٥ وسنن الدارقطني ج ٢ ص ٤٤ وتنقيح التحقيق في أحاديث =

ولكنهم يشترطون العدالة والعلم، و.. و.. في إمامة الأمة..

رابعاً: إن حديث صلاة أبي بكر بالناس، ثم برسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يثبت من الأساس، فإن بعض الروايات قد صرحت: بأن عائشة هي التي أمرت أباها بالصلاة^(١)، وليس رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكي يقال: كيف لا نرضى لدينانا من رضىه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لدينا..
خامساً: قد صرحت الروايات أيضاً: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزل أبا بكر عن الصلاة، وصلى هو مكانه رغم مرضه الشديد^(٢)..

= التعليق للذهبي ج ١ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ ونصب الراية للزليعي ج ٢ ص ٣٣ و ٣٤ والدرية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج ١ ص ١٦٨ والجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٩٧ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٤ وكشف الخفاء للعجلوني ج ٢ ص ٢٩ و ٣٢ وشرح السير الكبير للسرخسي ج ١ ص ١٥٦ والدرية في تخريج أحاديث الهداية ج ١ ص ١٦٨ وتلخيص الحبير ج ٢ ص ٣٥ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ج ١ ص ١٥٤ والعلل المنتاهية لابن الجوزي ج ١ ص ٤٢٢ و ٤٢٥ والمقاصد الحسنة للسخاوي ج ١ ص ٤٢٦.

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ١٩٧ وج ١٤ ص ٢٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٦٢٠ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص ٣٩٩ ونهج السعادة للمحمودي ج ٥ ص ٢٦٨ والبحار ج ٢٨ ص ١٥٩. وسيأتي مصادر أخرى لهذا الحديث في فصل: «عزل أبي بكر عن الصلاة».

(٢) راجع: البحار ج ٢٧ ص ٣٢٤ وج ٢٨ ص ١١٠ وج ٨٥ ص ٩٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣ والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص ٣٠٧ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص ٣٩٩ ومواقف الشيعة ج ٣ ص ٤٣٨ وقاموس الرجال للتستري ج ١١ ص ٢٣٥.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣١٣

سادساً: لماذا قدّم الناس عبد الرحمن بن عوف، ولم يقدموا أبا بكر، أو عمر، فإن هؤلاء يدّعون أنها أفضل من ابن عوف؟! أو لماذا لم يقدموا عثمان، فكذلك أيضاً حسب ما هو مقرر عندهم؟!..

سابعاً: قد صرحت رواية المغيرة بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تأخر عن صلاته حتى خاف الناس من طلوع الشمس قبل رجوعه، فقدموا عبد الرحمن بن عوف..

وهذا غير مقبول، ولا معقول منه «صلى الله عليه وآله»، لأنه يتضمن اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بالتفريط في صلاته الواجبة، وأنه ليس من الذين هم على صلاتهم يحافظون.

وقد كان قيام الليل واجباً على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكان يصلي الفجر، فلماذا لم يتهياً لصلاة الصبح قبل أن يحين وقتها..

ثامناً: إن من غير المقبول ولا المعقول أن يسافر النبي «صلى الله عليه وآله» لحاجته بمقدار مسير أكثر من نصف ساعة ذهاباً، ومثلها إياباً، فيبدأ سفره من الفجر أو قبله، وتأخر عودته إلى الوقت الذي يخشى فيه من طلوع الشمس، والناس ينتظرونه لصلاة الصبح.

تاسعاً: إن الإستعانة في الوضوء للصلاة مكروهة، فعن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: خصلتان لا أحب أن يشاركني فيهما أحد: وضوئي فإنه من صلاتي، وصدقتي فإنها من يدي إلى يد السائل، فإنها تقع في يد الرحمان^(١).

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٤٧٨ و (ط دار الإسلامية) ج ١ =

وروى الحسن بن علي الوشا: أنه دخل الإمام الرضا «عليه السلام» وبين يديه إبريق يريد أن يتهياً منه للصلاة، فدنوت منه لأصّب عليه فأبى ذلك، فقال: مه يا حسن.

فقلت له: لم تنهاني أن أصب على يدك؟ تكره أن أؤجر.

قال: تؤجر أنت، وأؤزر أنا.

فقلت: وكيف ذلك؟

فقال: أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وها أنا ذا أتوضأ للصلاة وهي العبادة، فأكره أن يشركني فيها أحد^(١).

ورووا: أن عمر رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستقي ماء

= ص ٣٣٦ والخصال للصدوق ص ٣٣ والنوادر للراوندي ص ١٩٠ والبحار ج ٢٣ ص ١٢٨ ج ٧٧ ص ٣٢٩ وج ٩٣ ص ١٢٨ و ١٧٨ وكتاب الطهارة للشيخ الأنصاري ج ٢ ص ٤٠١ و (ط ق) ج ١ ص ١٥٠ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٣٤٤ و ٣٤٦ وسنن النبي للطباطبائي ص ٢٧٦ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ٢٦١ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢ ص ٢٧٢ وتفسير العياشي ج ٢ ص ١٠٨ وجواهر الكلام ج ٢ ص ٣٤٣.

(١) الكافي ج ٣ ص ٦٩ وتهذيب الأحكام ج ١ ص ٣٦٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٤٧٧ و (ط دار الإسلامية) ج ١ ص ٣٣٥ والبحار ج ٤٩ ص ١٠٤ وج ٨١ ص ٣٤٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢ ص ٢٧٢ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج ٢ ص ١٥٣ وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣١٦ ومستند الشيعة ج ٢ ص ١٥٧ وجواهر الكلام ج ٢ ص ٣١٢ و ٣٤٣ وكتاب الطهارة للأنصاري ج ٢ ص ٣٩٩ و (ط ق) ج ١ ص ١٤٩.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣١٥
لوضوئه فبادره يستقي له، فقال له: «مه يا عمر، فإني أكره أن يشركني في
طهوري أحد».

أو: «لا أحب أن يعينني على وضوئي أحد».

أو: «أنا لا أستعين في وضوئي بأحد»^(١).

فلماذا لا ينزه النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه عن هذا المكروه في غزوة
تبوك أيضاً، فيخالف طريقته ويستعين بالمغيرة؟! مع أن رسول الله «صلى
الله عليه وآله» قال: ابن سمية (أو عمار) ما عرض عليه أمران قط إلا اختار
الأرشد منهما (أو أرشدهما)^(٢) فإن كان هذا حال عمار فكيف بالنبي الأعظم

(١) راجع: مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٢٧ ومسند أبي يعلى ج ١ ص ٢٠٠ وعمدة القاري ج ٣
ص ٦١ وكنز العمال ج ٩ ص ١٤٤ و ٢٠٧ و (ط مؤسسة الرسالة) ج ٩ ص ٤٧٢
والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ج ٣ ص ٥٣ وتحفة المحتاج ج ١
ص ١٩٠ والبيان والتعريف ج ٢ ص ٢٧٠ وحاشية ابن عابدين ج ١ ص ١٢٦
والمطالب العالية لابن حجر ج ٢ ص ٣٠٥ والفردوس بمأثور الخطاب لابن شيويه
الدلمي ج ٥ ص ٣١٠ وتلخيص الحبير ج ١ ص ٩٧ وخلاصة البدر المنير في تخريج
كتاب الشرح الكبير ج ١ ص ٤٠ ونيل الأوطار ج ١ ص ٢١٩.

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ٣٨٩ و ٤٤٥ ج ٦ ص ١١٣ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٣٣٢
والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٨٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٧٢ وتحفة الأحوذى
ج ١٠ ص ٢٠٣ وج ١٠ ص ٢١٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٢٣ والجامع
الصغير ج ٢ ص ٤٩٥ وكنز العمال ج ١١ ص ٧٢١ و ٧٢٣ وفيض القدير ج ٢
ص ٧٣ وج ٥ ص ٥٦٧ والجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٨١ ومعجم الرجال
والحديث لمحمد حياة الأنصاري ج ١ ص ٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٣
ص ٤٠٤ و ٤٠٧ وأسد الغابة ج ٤ ص ٤٥ والأعلام للزركلي ج ٥ ص ٣٦ =

«صلى الله عليه وآله»؟!

عاشراً: لماذا يحمل له الأداة المغيرة بن شعبة، وهو الرجل المعروف بالغدر، وقد أسلم بعد أن فتك بثلاثة عشر رجلاً، غدرًا، حسداً، وأخذ أموالهم، لكي يأمن من ملاحقة أهلهم وعشائرتهم له^(١)..

= وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٥٧٥ والمسانيد لمحمد حياة الأنصاري ج ١ ص ١٣٨ و ٢٠٤ و ٣٢٨ وعلل الدارقطني ج ٥ ص ٢٣٣ والمراجعات ص ٣١٩ و ٣٢٠ والغدير للأميني ج ٩ ص ٢٦ و ٢٥٩ وج ٩ ص ٣٢٥ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٩٨ وأعيان الشيعة ج ٨ ص ٣٧٣ ووقعة صفين للمنقري ص ٣٤٣.

(١) راجع: فتح الباري ج ٥ ص ٢٤٩ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٣ و ١١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٠٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ١١٧ والغارات للثقيفي ج ٢ ص ٨٣٣ و ٨٣٤ وعون المعبود ج ٧ ص ٣١٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٦٩٨ والبحار ج ٢٠ ص ٣٦٩ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٧٩ وراجع: نيل الأوطار للشوكاني ج ٨ ص ١٨٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٣١٢ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٩ وصحيح البخاري ج ٣ ص ١٨٠ وسنن أبي داود ج ١ ص ٦٢٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١١٣ و ٢١٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٣٦٩ و ٣٧٦ وإمتاع الأسماع ج ٩ ص ١٠ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٣٦ وصحيح ابن حبان ج ١١ ص ٢٢١ والمعجم الكبير ج ٢٠ ص ١٢ وشرح النهج ج ٢٠ ص ٨ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ١٩٦ وتفسير الميزان ج ١٨ ص ٢٦٦ وجامع البيان ج ٢٦ ص ١٢٨ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٢٠٠ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٢ والدرر المشور ج ٦ ص ٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ٢٢٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٣٢.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣١٧

وكيف قبل المسلمون أن ينفرد المغيرة المعروف بغدره برسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يوجد فيهم من يتبرع بالقيام بهذا الأمر دونه..

حادي عشر: ما معنى قول الرواية: إنه «صلى الله عليه وآله» قد غبطهم حيث صلوا الصلاة لوقتها، وقال لهم: أحسستم. فإن المفروض: أنه «صلى الله عليه وآله» قد صلاها أيضاً لوقتها، بل هو قد صلاها معهم..

وإن كان المقصود: أنهم قد صلوها في أول وقتها، فغير صحيح، لأنهم ما صلوها إلا بعد أن خافوا الشمس أن تطلع..

على أن هذه الغبطة إنما يصبح لها معنى لو كانوا لم يضيعوا فضيلة أول الوقت، حيث يكونون قد فازوا بما لم يفز به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فغبطهم من أجل ذلك كله، لكن ذلك لم يحصل..

إلا إن كان المقصود: أنه غبطهم على عدم تفريطهم بصلاتهم، وإن كان هو «صلى الله عليه وآله» قد أدرك هذه الصلاة أيضاً.

قضاء النبي ﷺ في قضية:

عن يعلى بن أمية قال: أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأجير له قد نازع رجلاً من العسكر، فعضه ذلك الرجل، فانتزع الأجير يده من فم العاض، فانتزع ثنيته.

فلزمه العاض، فبلغ به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقمت مع أجيري لأنظر ما يصنع، فأتي بهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «أيعد أحدكم فيعض أخاه كما يعض الفحل»؟

فأبطل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما أصاب من ثنيته، وقال: «أفيدع

يده في فيك تقضمها كأنها في فم فحل يقضمها»؟^(١).

ونلفت النظر هنا إلى قوله «صلى الله عليه وآله»: «يعض أخاه كما يعض الفحل»، وقوله: «تقضمها كأنها في فم فحل يقضمها»، حيث إنه «صلى الله عليه وآله» يجسد بكلامه هذا القسوة البالغة، لمن يجب أن يعامل بأعلى درجات الرحمة والرفق، وهو الأخ.. ليظهر للناس أن فعله سمح وقبيح، تنفر منه النفوس، وذلك مبالغة منه «صلى الله عليه وآله» في زجره عن مثل هذا العمل..

النبي ﷺ يردف سهيل بن بيضاء:

عن سهيل بن بيضاء: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أردفه على رحله في غزوة تبوك، قال سهيل: ورفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوته: «يا سهيل».

كل ذلك يقول سهيل: يا لبيك يا رسول الله، ثلاث مرات.

حتى عرف الناس أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريدهم، فانشئ عليه مَنْ أمامه، ولحقه مَنْ خلفه من الناس، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرمه الله على النار»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٤٩ و ٤٥٠ عن البخاري، وغيره وفي هامشه عن البخاري (٤٤١٧) و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٣٠. وراجع: كتاب الأم للشافعي ج ٧ ص ١٥٨ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٤٧ والمعجم الكبير ج ٢٢ ص ٢٥٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥٠ عن أحمد، والطبراني، والواقدي، وفي هامشه =

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣١٩
ونقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد - فيما يظهر - أن يواجه الناس بحقيقة أن ما يكونه يخالف ما يظهره.. وأن عليهم أن يزيلوا جميع رواسب الشرك من عقولهم، وأن يخلصوا لله سبحانه، فهو «صلى الله عليه وآله» يتجنب إظهار أية إشارة من شأنها أن تثير الشبهة في أمرهم، حتى إنه لا يوجه إليهم خطابه، بل يتظاهر بأنه يريد بخطابه سهيل بن بيضاء، متعمداً أن يعرفهم أنه يريد منهم أن يسمعوا ما سيقوله.. لأنه ينادي برفع الصوت، مع أن سهيل بن بيضاء كان أقرب من غيره إليه، ويحييه سهيل بن بيضاء، ولكنه لا يكثرث للإجابة بل يكرر النداء..

وبعد أن تأكد أن الناس قد أدركوا أنه يريد أن يقول شيئاً، وأنه يريد لهم أن يسمعوا ما يقول.. أطلق كلمته، التي توجههم إلى ضرورة التزام خط التوحيد بمعناه الدقيق والعميق.. لأنه هو الذي يضمن سلامة مسيرهم نحو الله تبارك وتعالى وفق ما رسمه من أحكام وما حدده من شرائع، حيث لا يبقى لغيره تعالى أي دور في حياتهم، وأي تأثير في حرف تصرفاتهم ومواقفهم بالاتجاهات الخاطئة، حيث الهلاك والبوار، والتعرض لغضب الجبار، واستحقاق العقاب بالنار..

النبي ﷺ ينام عن الصلاة:

عن عقبة بن عامر قال: خرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في

= عن: مسند أحمد ج ٥ ص ٣١٨ و ٢٣٦ وابن حبان، وعن مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٥٢ والطبقات الكبرى لا سعد ج ٣ ص ٤١٥ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٥٨.

٣٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

غزوة تبوك، فلما كان منها على ليلة استرقد رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح، قال: «ألم أقل لك يا بلال: اكلاً لنا الفجر؟!».!

فقال: يا رسول الله ذهب بي النوم، وذهب بي مثل الذي ذهب بك.
قال: فانتقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من منزله غير بعيد، ثم صلى، وسار مسرعاً بقية يومه وليلته، فأصبح بتبوك^(١).
ونقول:

١ - إن هؤلاء المخذولين يحاولون التسويق عمداً لأمر محدّد تجاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ربما ليبرروا مخالفات من يحبونهم من الحكام والخلفاء، الذين كانوا لا يهتمون بصلاتهم، وعباداتهم، وبرعاية أحكام الله تبارك وتعالى في مواقفهم، وسياساتهم، وسائر تصرفاتهم..
فأراد أتباعهم ومحبوهم أن يبرروها لهم ويخففوا من وقع الاعتراضات عليهم بنسبة نظائر تلك المخالفات الشنيعة، والتهاون بأحكام الله تبارك وتعالى إلى النبي المعصوم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين..
ولكي يتم لهم ما يريدون، يحاولون تكرير نسبة هذه القبائح إليه «صلى الله عليه وآله» في المناسبات المختلفة حتى ليحسب الناظر: أن هذا الأمر مشهود ومرصود منه «صلى الله عليه وآله»، وأنه من عاداته التي يتكرر

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٥١ عن البيهقي، والدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ٢٢٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥١ ص ٢٤٠ وراجع: إمتاع الأسماع ج ٢ ص ٥٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٤ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١١.

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٣٢١
صدورها منه باطراد..

وما نُسبُ النوم عن صلاة الصبح إليه «صلى الله عليه وآله»، التي تكررت في جملة من أسفاره إلا واحدة من هذه المفردات الكثيرة، وقد حافظوا فيها حتى على الأشخاص، وعلى الكلمات كما يعلم بالمراجعة والمقارنة..

وكنا قد تعرضنا لتفنيد هذه الترهات والأباطيل حين الحديث عن رجوعه «صلى الله عليه وآله» من غزوة خيبر، وفي مواضع أخرى، وهانحن نواجهها بعينها في غزوة تبوك، فيرجى من القارئ الكريم أن يراجع ما ذكرناه حول هذه الأفيكة في المواضع التي سلفت من هذا الكتاب..

لا يورث رزاقا ولا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى لا يورثه غيره

... ولا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى

بأنه لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى

بأنه لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى

بأنه لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى

... ولا يورثه غيره

بأنه لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى

بأنه لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى

بأنه لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى

بأنه لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى لا يورثه غيره بل يورثه الله تعالى

... ولا يورثه غيره

...

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

رسالة

رسالة

رسالة

١ • الفهرس الإجمالي

الفصل الحادي عشر: الكيد السفيفاني في حديث المباهلة ٥ - ٥٨

الباب التاسع: ... إلى حجة الوداع

غزوة تبوك في القرآن الكريم ٦١ - ٦٦

الفصل الأول: الإعداد والإستعداد ٦٧ - ٣٨

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة ٩٩ - ١٣٤

الفصل الثالث: النفير العام ١٣٥ - ١٦٢

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والبقاؤون واللاحقون .. ١٦٣ - ٢١٠

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا .. وحديث كعب بن مالك . ٢١١ - ٢٥٨

الفصل السادس: هكذا يكيدون علياً عليه السلام ٢٥٩ - ٢٨٠

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك ٢٨١ - ٣٢٢

الفهارس: ٣٢٣ - ٣٣٥

٢ = الفهرس التفصلي

الفصل الحادي عشر: الكيد الشيعاني في حديث المباهلة

- ٧ إهمال ذكر علي عليه السلام: ٧
- ٩ أبو بكر وعمر وحفصة وعائشة في المباهلة: ٩
- ١١ البعض يفتت ويناقش: ١١
- ١٧ المباهلة بأعز الناس: ١٧
- ١٩ وأنفسنا: ١٩
- ٢٠ مساواة علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله: ٢٠
- ٢٢ سبب إثارة الشبهات: ٢٢
- ٢٣ تناقضات الشعبي: ٢٣
- ٢٣ الأمر الأول: النموذج الحي: ٢٣
- ٢٥ الأمر الثاني: التخطيط.. في خدمة الرسالة: ٢٥
- ٢٩ الأمر الثالث: سياسات لا بد من مواجهتها: ٢٩
- ٢٩ عنصر المرأة: ٢٩
- ٣١ الحسان أبناء النبي صلى الله عليه وآله: ٣١
- ٣٣ عود على بدء: ٣٣
- ٤١ الخطة.. ومواجهتها: ٤١
- ٤٢ أمثلة تاريخية هامة: ٤٢

٣٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

مفارقة: ٤٧

من مواقف الإمام الحسن عليه السلام: ٤٨

والإمام الحسين عليه السلام أيضاً: ٥٣

الإمام السجاد ابن رسول الله ﷺ: ٥٤

خطبة زينب وسواها: ٥٥

على خطي النبي الأكرم ﷺ: ٥٦

الباب التاسع: تبوك.. وإلى حجة الوداع

غزوة تبوك في القرآن الكريم: ٦١

الفصل الأول: الإعداد والإستعداد

تبوك علم لا ينصرف: ٦٩

سبب تسمية الغزوة بتبوك: ٧٠

الأولى: فسبها رسول الله ﷺ: ٧٠

الثانية: تسمية العين تبوك: ٧٥

تاريخ غزوة تبوك وهي آخر مغازيه: ٧٦

إما تبوك، وإما الهلاك: ٧٧

لماذا كانت غزوة تبوك؟! : ٧٨

١ - النبي ﷺ ليس ألعوبة بيد اليهود: ٧٨

أهداف هذه الفرية: ٨٦

٢ - الأخبار الكاذبة هي السبب: ٨٧

٣ - تعويض قريش عن متاجرها: ٨٨

٤ - هلكت أموالهم: ٩٥

الفصل الثاني: تجهيز جيش العسرة

- ١٠١..... المنفقون في جيش العسرة:
- ١٠٤..... عثمان يجهز جيش العسرة:
- ١٠٧..... مناقشة النصوص:
- ١٠٧..... أبو بكر ينفق ماله كله:
- ١٠٩..... كعب بن عجرة كان عثمانياً:
- ١٠٩..... حديثهم يكذب بعضه بعضاً:
- ١١٠..... لم يكن في تبوك عسرة مالية:
- ١١٦..... تجهيز عثمان لجيش العسرة خرافة:
- ١١٧..... تناقض الروايات:
- ١١٩..... أبو بكر أعطى ماله كله:
- ١٢٠..... حديث المناشدة باطل:
- ١٢٣..... بئر رومة:
- ١٢٣..... لا توجد أموال بهذا الحجم:
- ١٢٤..... عثمان والعدل الإلهي:
- ١٢٨..... هل كان عثمان من الأجواد؟!:
- ١٢٨..... من أين لك هذا؟!:
- ١٢٩..... الإستفاقة المتأخرة:
- ١٢٩..... هل هذا تعريض بأبي بكر؟!:
- ١٣١..... الإغراء بالمعاصي:
- ١٣١..... العسرة لم ترتفع بما فعل عثمان:

٣٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

عثمان يعطي من بيت المال: ١٣٢

الفصل الثالث: النفير العام

إعلان المسير، لماذا؟! : ١٣٧

تكاليف الحرب على المحاربين؟! : ١٤٢

الإستنفار العام: ١٤٣

العدد، والعدة، والألوية، والرايات: ١٤٤

توزيع الرايات، واللواء الأعظم مع أبي بكر: ١٤٦

خمسة وعشرون رجلاً مؤمناً فقط: ١٤٦

لا تقتل معي فتدخل النار: ١٤٨

مشاركة العبد بدون إذن سيده: ١٤٨

ثنية الوداع: ١٤٩

أبو بكر يصلي بالناس: ١٥١

الألوية.. والرايات: ١٥٣

خبير الفرار من الزحف: ١٥٤

بركات غزوة تبوك: ١٥٦

ابن أبي في أحد كما في تبوك: ١٥٧

نتائج تبوك معلومة سلفاً: ١٦٠

الفصل الرابع: المتخلفون والمعذرون والجكاؤون واللاحقون

أبو ذر يلحق بالنبي ﷺ: ١٦٥

لا فرق بين أبي ذر وغيره: ١٦٧

فسيحقه الله: ١٦٨

٣٣١	الفهارس ..
١٦٨	مقايسة بين نوعين من الناس:
١٦٩	كن أبا ذر:
١٦٩	يموت وحده، ويبعث وحده:
١٧٠	أبو خيثمة وعمير بن وهب أيضاً:
١٧٣	البكاؤون الذين لا يجد ما يحملهم عليه:
١٧٧	النبي ﷺ لا يجد ما يحمل عليه أبا موسى، ثم يجد:
١٧٩	لا حافظة لكذب:
١٨٠	والله لا أحملكم على شيء:
١٨١	المتخلفون والمُعذِّرون مِنَ الْأَعْرَابِ:
١٨٣	بنو غفار هم المنافقون المُعذِّرون:
١٨٣	التزوير في حديث المخذلين:
١٨٦	تضخيم القضية لماذا؟!:
١٨٩	حقيقة القضية:
١٩٥	الجد بن قيس يرفض المشاركة في تبوك:
١٩٨	لعلك تحقب من بني الأصفر:
٢٠٠	النبد الاجتماعي للمتخلفين:
٢٠١	النبي ﷺ يحرق بيت سويلم على المنافقين:
٢٠٢	أسئلة هامة وأجوبتها:
٢٠٤	أهل مسجد الضرار:
٢٠٦	طعن أبي موسى برسول الله ﷺ:
٢٠٧	إذا كان قد ابتاعهن من سعد:

٣٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٩

كاد المريب أن يقول خذوني: ٢٠٨

هل منعهم النبي ﷺ؟! ٢٠٨

النبي ﷺ يحث في يمينه: ٢٠٨

الفصل الخامس: الثلاثة الذين خلفوا .. وحديث كعب بن مالك

أبو لبابة وأصحابه: ٢١٣

الثلاثة الذين خلفوا: ٢١٥

خلفوا أم تخلفوا؟! ٢٢٨

خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً: ٢٢٩

خذ من أموالهم صدقة: ٢٣٠

إختلاف الروايات: ٢٣١

اختلاف الروايات في الثلاثة الذين خلفوا: ٢٣٢

هل كفر المتخلفون؟! ٢٣٤

ألا نبشر كعب بن مالك؟! ٢٣٤

لم يعاتب الله أحداً تخلف عن بدر: ٢٣٤

مبررات المتخلفين: ٢٣٦

حبسه برداه، ونظره في عطفه: ٢٣٧

الصدق والكذب في كلام كعب بن مالك: ٢٣٨

مفارقة مرفوضة: ٢٣٩

الثلاثة لم يتوبوا: ٢٤٠

لا يثق بما يختاره له النبي ﷺ: ٢٤١

لماذا كعب دون سواه؟! ٢٤٣

٣٣٣	الفهارس ..
٢٤٣	يوم التوبة خير يوم:
٢٤٤	كعب لا يملك إلا ثوبيه:
٢٤٥	أمن عندك؟! أم من عند الله؟!:
٢٤٥	النبي ﷺ يأمر كعباً بإمساك ماله؟!:
٢٤٦	الإنسجام بين طلحة وبين كعب:
٢٤٧	كعب وكتاب ملك غسان:
٢٤٩	أسئلة حاسمة حول الرسالة:
٢٥٠	من المكلف بمقاطعة المتخلفين؟!:
٢٥٢	كعب بن مالك ليس كأبي ذر:
٢٥٣	الجهاد فرض عين أو فرض كفاية:
٢٥٥	كعب بن مالك يحتاج إلى أوسمة:

الفصل السادس: هكذا يكيدون علياً عليه السلام

٢٦١	علي عليه السلام خليفة النبي ﷺ في أهله:
٢٦٣	حديث المنزلة كما روي:
٢٦٥	ما جرى في غزوة تبوك:
٢٦٩	الإستثناء منقطع:
٢٧٠	هل حديث المنزلة خاص بأهل النبي ﷺ؟!:
٢٧٤	لماذا حلف علياً عليه السلام في المدينة؟!:
٢٧٦	هل الرواية خاصة بتبوك؟:
٢٧٧	قريش هي البلاء:

الفصل السابع: أحداث جرت في الطريق إلى تبوك

- ٢٨٣ دعوها فإنها مأمورة:
- ٢٨٤ النبي ﷺ يأكل هريسة اليهود:
- ٢٨٥ خرص رسول الله ﷺ:
- ٢٨٦ تجربة بلا سوابق:
- ٢٨٧ إمتحان التخريج:
- ٢٨٨ جني بصورة حية:
- ٢٩٠ لا تدخلوا مساكن ثمود:
- ٢٩٢ الإستسقاء.. ونزول المطر:
- ٢٩٤ السنة الإلهية باقية:
- ٢٩٥ تجسيد الحدث:
- ٢٩٦ آثار السخط الإلهي:
- ٢٩٦ مساكن ثمود:
- ٢٩٧ عليّ عليه السلام هو المقصود:
- ٢٩٨ عليّ عليه السلام يخبر بما كان وبما يكون:
- ٣٠٠ أبو بكر هو الوسيط:
- ٣٠٢ تلميح.. كأنه تصريح:
- ٣٠٢ أبو رغال:
- ٣٠٣ المعجزة تلو المعجزة:
- ٣٠٣ مواصلة المسير دون ماء:
- ٣٠٤ لا يدري النبي ﷺ أين ناقتة!!

٣٣٥ ..	الفهارس ..
٣٠٦ ..	طعن المشككين والمتافقين:
٣٠٧ ..	سياسة إظهار نفاق أهل النفاق:
٣٠٧ ..	النبي ﷺ يأتى بآبى عوف:
٣١٧ ..	قضاء النبي ﷺ في قضية:
٣١٨ ..	النبي ﷺ يردف سهيل بن بيضاء:
٣١٩ ..	النبي ﷺ ينام عن الصلاة:

الفهارس:

٣٢٥ ..	١ - الفهرس الإجمالي ..
٣٢٧ ..	٢ - الفهرس التفصيلي ..